المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التسعين

١ فبراير سنة ١٩٣٧ — ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٥

السماء والارض

تجتمعان في المطياف

المرتب والمطياف يبرهان حقيقة الاجرام الثانية

إن تاريخ الارض ومصيرها مرتبطان بتاريخ الشمس ومصيرها. هذه حقيقة أدركها الانسان، ادراكاً عامّاً، منذ أشرق في ذهنه نور الإدراك. ولكن ألوفاً من السنين انقضت قبلما خطر لهُ انهُ قد يجد في ذلك الاتون المحتدم تفسيراً لبعض المشكلات العقلية التي تمضُّهُ. كيف السبيل الى دراسة بناء الشمس، وهي تبعد عنا ثلاثة وتسعين مليوناً من الاميال، وقطرها أقل من مليون ميل قليلاً (٨٦٤٠٠٠ ميل) فحجمها يفوق حجم الارض الف الف مرّة، وحرارتها تتراوح من ٦٠٠٠ درجة مئوية على سطحها الى نحو ٤٠ مليون درجة مئوية في باطنها

ليس بالعجيب، والمصاعب هي ما هي، ان تظهر أمنية كهذه الامنية، متعذرة على ذكاء الانسان وحيلته الواسعة. وكأن الفيلسوف أوغست كونت كان يفكّر في هذا عند ما قال: «ثمة أمور لا بدَّ للانسان من أن يبقى جاهلاً لحقيقتها مثل معرفة تركيب الشمس والاجرام السماوية من ناحيته الكيمياوية». ان ذلك الفيلسوف الكبير، لم يدرك، والعلم الحديث لم يزل

في جهنم ، ان التلبّث العلميّ عمل محفوف بالخطر . ذلك أن الانسان بفضل المرقب والمطياف والمطياف الشمسي المصوّر وغيرها من وسائل البحث الحديث ، جاء بالكواكب الى سطح الارض وحلّل بناءها وعرف عناصرها وقاس درجات حرارتها وبردها

في تاريخ هذا البحث الفتّان ، يومان خالدان يفصل بينهما نحو قرنين من الزمان ، أولهما يوم حلّ نيوتن الفيلسوف الطبيعي الأشهر ضوء الشمس الى ألوانه الستة . وثانيهما يوم تمكّن كيرشوف الالماني ، من البحث في تركيب الشمس وكأنهُ يبحث في تركيب جسم كيماويّ في المعمل

كان قد سبق الاكتشاف الذي تمّ لنيوتن الانكليزي ، مكتشفات كثيرة مهّدت لهُ السبيل . ففي سنة ١٨٠٢ ، تحوّل ولستن Wollaston أحد أعضاء الجمعية الملكية بلندن من ممارسة الطب الى البحث في الطبيعة والكيمياء وبدأ يدرس طيف ضوء الشمس جنباً الى جنب مع ضوء الشرارات الكهربائية والغازات المضيئة . وكان يمرّ الضوء المخترق لغاز من الغازات في شق ضيق ، فيفوز بطيفهِ ، أي بالألوان التي يتألف منها . فتبين لهُ ان الضوء الساطع من لهب غاز من الغازات ، يحدث طيفاً تقطّعهُ خطوط لامعة . ثم ثبت لهُ ان لكل غاز خطوطاً يتميز بها وتختلف عن خطوط الآخر ، فبخار الصوديوم يحدث خطًّا لامعاً اصفر اللون ، وبخار البوتاسيوم يحدث خطًّا لامعاً بنفسجيّ اللون

في هذه الملاحظات ، بدء علم من أشهر العلوم الحديثة وأعظمها فائدة في الفلك والطبيعة والكيمياء وهو علم الحلّ الطيفي

وما انقضت عشر سنوات او اكثر قليلاً ، على مكتشفات ولستن حتى جاء رجل الماني يدعى فرونهوفر Fraunhofer وكان صانع نظارات ولا علم لهُ بمكتشفات ولستن ، فباحث من هذا القبيل ، فأفضت بهِ مباحثهُ الى اكتشاف ظاهرة جديدة لاحظها ولستن اولاً وهي رؤية مئات من الخطوط السود في طيف الشمس . فصنع خريطة لطيف الشمس ، ورسم في مناطقها الملونة المختلفة ، ثلاثمائة واربعاً وعشرين خطًّا اسود ، شاهدها فيها

هوذا اكتشاف ظاهرة كبيرة الشأن ، ولكن فرونهوفر صانع النظارات ، تعجز عن فهمها . كان قد جال في خاطرهِ ، ان لهذه الخطوط صلة بطبيعة الضوء ، ولكنهُ لم يرَ سبيلاً الى تعليلها . وانقضت اربعون سنة ، وهذا الاكتشاف مطويٌّ ، ثم جاء انكليزي يدعى ستوكس Stokes

فكشف عن مفتاح لفهم هذه الخطوط فهماً صحيحاً. ذلك انهُ وجد انهُ اذا اخترق ضوء الشمس بخارٌ ملح يدخل الصوديوم في تركيبه، ظهر في طيف ذلك الضوء خطّان اسودان، مكان الخطين اللامعين اللذين يظهران في الطيف المتولد من ضوء بخار الصوديوم - اي ان بخار الصوديوم امتصَّ من ضوء الشمس اللون الذي يطلقهُ هو، عند اشتعاله، فترك محلّ الخطين الاصفرين، خطين مظلمين. وبذلك فهمت خطوط فرونهوفر السود. واذن يمكن ان يقال، ان الابخرة التي في الفضاء بين الشمس والباحث تمتص من ضوء الشمس الخطوط الملونة او اللامعة التي تحدثها في الطيف، تاركةً في الطيف خطوطاً مظلمة

وفي السنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتاب داروين في « اصل الانواع » صنع كيرشوف وهو في معمل بنسن الكيماوي في هيدلبرج، آلة جديدة يتبين بها العناصر من مراقبة خطوطها، وأطلق عليها اسم سبكترسكوب، اي آلة الطيف وقد ترجمناها بلفظ «مطياف». يؤخذ الضوء — في هذا الجهاز — من اي مصدر متوهج، فيمرّ في شقّ ضيق ثم تجمعهُ عدسات خاصة في شعاعة واحدة قبل ان يخترق موشوراً يفرقهُ الى الالوان التي يتألف فيها، وهذا هو الطيف. والطيف يظهر على لوحة خاصة في المطياف، حيث تدوّن طول الامواج الخاصة بكل لونٍ من الالوان. فيستطيع الباحث ان يقول اذن في طيف هذا الضوء كذا خطوطاً في منطقة اللون الاصفر، وكذا خطوطاً في منطقة اللون البنفسجي. ثم عمد كيرشوف الى ضوء الشمس فجعلهُ يخترق بخارات عناصر ومواد مختلفة، قبل حلّيه حلاً طيفيًّا ومراقبة الخطوط السود التي تظهر في مناطق الالوان المختلفة، فأفضى به بحثهُ هذا الى اكتشاف ناموس عام هو الآتي: «ان غازاً متوهجاً يمتص من أشعة الضوء المنطلقة من مصدر حامٍ للضوء تلك الاشعة التي يطلقها هو» فالحديد مثلاً اذا احمي حتى يصبح في حالة بخارية ووضع بين الشمس والمطياف، امتصَّ من ضوء الشمس الذي يخترقهُ الامواج التي يطلقها هو، فاذا حلَّ ضوء الشمس بعد ذلك في المطياف ظهرت خطوط مظلمة، في المنطقة التي تظهر فيه الخطوط اللامعة الخاصة بالحديد

وما كاد يذاع هذا الاكتشاف، حتى أدرك العلماء مقتضياته. هنا مفتاح، يفتح لهم المغلق من اسرار السماء، ويدلُّهم على تركيب الابخرة التي تحيط بالشمس. فالسماء والارض التقتا في

معمل كيرشوف بل في مطبوعه. وقد بلغ من حماسة العلامة هلمهلتز ان قال : « ان هذا الاكتشاف قد أثار من اعجاب الناس ما لم يثره اكتشاف آخر لانهُ يمكننا من الصعود الى عوالم كانت ابداً محجبةً عنا » . ولا ريب في ان فكر هلمهلتز كان متجهاً ، عندما فاه بهذا القول ، الى بناء الشمس والكواكب

وكذلك نهضت نبوءة الفيلسوف كونت . ان هذه الخطوط المظلمة في طيف الشمس ، تدلُّ على وجود أبخرة معدنية وغير معدنية فيها . ذلك اننا اذا عرفنا الخطوط الطيفية التي يمتاز بها عنصر من العناصر التي على الارض ، أمكننا بامرار ضوء الشمس في بخار ذلك العنصر ، ان نعرف ، هل هو داخل في تركيب الشمس او لا . ولولا الجدال الذي اثارتهُ نظرية التطوُّر العضوي التي بسطها داروين في كتابه ، لما انصرف اهتمام الناس حينئذٍ عن اكتشاف خطير ، كاكتشاف كيرشوف هذا

ومن ثمَّ اكبَّ كيرشوف على دراسة هذه الخطوط المظلمة عدداً وموقعاً فبخر الحديد والكلسيوم والمغنيزيوم والباريوم والنحاس والسترنتيوم والزنك والصوديوم والنيكل والكروم والكادميوم والمنغنيس وفلزات اخرى في حرارة الضوء القوسي وصنع خرائط للخطوط اللامعة في طيفها . ثم قابل ذلك بمواقع الخطوط المظلمة في طيف ضوء الشمس ، متبيِّناً المواقع التي تتوافق فيها الخطوط اللامعة بالخطوط المظلمة ، فاستدلَّ من الخطوط اللامعة الخاصة او المميزة لعنصر ما ، على وجود ذلك العنصر في الغلاف الغازي الذي يحيط بالشمس ، وهو متأكد مما يفعل تأكد استاذه بعض من العناصر التي تدخل في تركيب مركَّب على سطح الارض

وبذلك ولد علم الفلك الطبيعي والكيمياوي المعروف الآن باسم Astrophysics فخلب هذا البحث ألباب طائفة كبيرة من العلماء فأقبلوا على دراسة الشمس والنجوم لمعرفة العناصر التي تدخل في تركيبها بالمقابلة مع العناصر الداخلة في تركيب الارض . فلم يعزوا في خلال بحثهم الطويل على عنصر واحد فيها ليس لهُ على الارض ما يقابلهُ ، فأقاموا الدليل على الوحدة المادية الكونية . أن الانسان وسائر الاشكال الحية والجامدة ومادة الشمس والكواكب والسيارات والمذنبات والعوالم الجزرية في رحاب الكون النائية ، تواءمها جميعاً العناصر الكيمياوية التي نعرفها

ولكن قبل انقضاء سنة ١٨٦٨ اعلن اكتشاف آثار الحواطر . ذلك ان باحثين ، لاحظا

ظاهرة جديدة ولكنّ كلاً منهما لاحظها على حدة. كان احدهما السيو بيير جول سيزار جانسن محل موسيو فرنسي ، وكان مديراً لرصد كسوف كلي في غنتور في بلاد الهندستان . والآخر نورمن لكير احد كتاب وزارة الحربية البريطانية حينئذٍ . لاحظ كلٌّ منهما بضعة خطوط لامعة في طيف الشمس . وكان «لكير» أسبقهما إلى القول بان هذه الخطوط اللامعة لا تقابل خطوط اي عنصر معروف على الارض . فكان ذلك غريباً ، لانهُ اذا صحَّ ، عنى ان في الشمس او في اكليلها عناصر ليست على الارض . فأطلق على هذا العنصر اسم هليوم (وهو مشتقٌّ من هليوس وهو لفظ يوناني يعني الشمس) . وقد ظلَّ هذا العنصر مجهولاً على الارض الى منتصف العقد الاخير من القرن الماضي اذ اكتشفهُ رمزي الكيماوي الانكليزي . ومن العجيب ان سبيلهُ الى اكتشافهِ كان اسلوب الحلّ الطيفي . فقد تبين في طيف مركّب كان يعالجهُ خطوطاً تقع من الطيف حيث الخطوط الخاصة بالهليوم — العنصر الشمسي — فأدرك ان الهليوم موجود على الارض وبالحلّ الكيماوي تمكن من استفرادهِ وهو الآن من اهم المواد الغازية ولاسيما في البلونات ، لانهُ خفيف وغير قابل للالتهاب

وقد كشف حتى الآن نحو ستين عنصراً في الشمس وكلٌّ منها لهُ ما يقابلهُ على الأرض

كانت سنة ١٨٦٨ التي كشف فيها عنصر الهليوم في الشمس ، تاريخاً ذا شأن في دراسة الشمس من ناحيتها الطبيعية لان العلامة جورج الري هايل وُلد فيها ، وهو أحد نوابغ هذا العلم وباعث الحياة والنشاط فيهِ بمخترعاتهِ ومكتشفاتهِ الباهرة

كان من المتوقع لهذا الفتى ، ان يخلف أباهُ في عملهِ الصناعي الكبير — مدير شركة مصنع للرافعات — ولكنهُ نشأ راغباً في البحث العلمي ، وتبيَّن والدهُ فيهِ هذه الرغبة فأثنى عليهِ وشجعهُ . قيل ان أباهُ رآه يميل الى البحث الميكروسكوبي في الحيوانات المائية ، فقال لهُ انهُ اذا والى دراستهُ بطريقة منظمة فانهُ يتاح لهُ مجهراً متقن الصنع قوي العدسات . وكذلك تقلَّب الفتى في أنحاء العلم من الحيوانات المائية الى الحفريات القديمة الى التجارب الطبيعية والكيماوية ، وكان والدهُ في كلٍّ منها مرشداً حكيماً ، يحثهُ على الاجادة ويشجع عزمهُ بما يهديهِ اليهِ من أدوات البحث والتجريب . وأخيراً خلب عقل الفتى لبُّهُ ، فأقبل عليهِ بكل ما في عقلهِ وجسمهِ من شغف وقوة

وكان لا يزال في السادسة عشرة من عمره عند ما بقي لهُ والدهُ مرقباً — تلسكوباً — على سطح الدار، ففرّ الفتى بعيد ذلك ان يتفق حياتهُ في دراسة الاجرام السموية، ولكنهُ أدرك من بدء حياته العلمية ادراكاً واضحاً الهدف الذي ينبغي ان يسير اليهِ. فان رصد الاجرام واحصاءها وتدوينها في الخرائط عملٌ لهُ قيمة عظيمة. ولكن ما ابغي، هو سلسلة من التجارب تسير بنا خطوة خطوة في ترقية العلم الجديد المعروف بعلم الفلك الطبيعي astrophysics وهو دراسة الاجرام الفلكية بالمطياف spectroscope والمطياف الرسّام spectrograph. فرأى كتابٌ لكير في الحل الطيفي وطيفة الشمس وكتاب يونغ في الشمس، فاذكت مطالعتها حماستهُ فصنع مطياقاً بنفسهِ وجرّب بهِ تجاربهِ الاولى بطيف اللهب والشرر ثم بطيف الشمس

وكان في جامعة جونز هبكنز الاميركية عالم طبيعي من الطبقة الاولى يدعى رولند (Henry A. Rowland) وكان هذا العالم قد ابتدع طريقة تمكنهُ من تخطيط لوح من الزجاج او المعدن، خطوطاً دقيقة متلازّة متوازية حتى تمكن من صنع ٢٤ الف خط متوازية متساوية البعد بعضها عن بعض في ما مساحته بوصة مربعة. فالزجاج المخطط بهذه الطريقة، أنفع في حل ضوء الشمس الى الالوان المركب منها، من الموشور الزجاجي. وبهِ استعان رولند على صنع خريطتهِ المشهورة لطيف الشمس، واليهِ استند هايل في حل بعض ألغازها

كانت الشمس في نظر العلماء حينئذٍ محاطة بطبقات من الغازات الشفافة أعمقها طبقة تعرف باسم « فوتوسفير » اي الطبقة النيّرة وهي بيضاء الضوء، وفوقها طبقة أخرى مضيئة توامها ابخرة العناصر الثقيلة وتدعى « الطبقة الماكة » فطبقة ثالثة توامها ابخرة العناصر الخفيفة كالايدروجين والهليوم والكلسيوم عمقها مئاية آلاف ميل وتدعى « الكروموسفير » اي الطبقة الملوّنة وخارج هذه طبقة تعرف بالاكليل توامها غازات لطيفة تعكس الضوء وتفرقهُ وتمتد مسافة ملايين من الاميال. وكان تركيب هذه الطبقات حينئذٍ وكنانها محجباً بحجب الخفاء

وكان في جامعة برنستن في ذلك الوقت استاذ للفلك يدعى يونغ، انصرف عن التبشير الى علم الفلك، فأصبح في طليعة الفلكيين الاميركيين الذين عنوا عناية خاصة بمباحث جانسن ولكير في الحل الطيفي. فحجّ اليهِ هايل الشاب، ورأى في مرصدهِ مشهداً من مشاهد الطبيعة الرائعة

فمن الالسنة المتدلعة من قرص الشمس ، فجزم انبرهُ هناك وقرّر أن يصرف بقية حياته في البحث الفلكي

كانت هذه الالسنة تندلع من قرص الشمس بسرعة ٢٥٠ ميلا في الثانية وتمتدُّ الى بعد ٤٠٠ الف ميل . فسأل نفسهُ كيف تكون هذه الالسنة ومن اين تستمدُّ هذه النيران الهائلة الوقود وما تأثيرها في الارض . أسئلة كان العلم لا يملك حينئذٍ الاجوبة الشافية عنها . قال هايل في نفسهِ : « أن هذه البوتقة النارية قد تمهّد لنا السبيل لمشاهدات وتجارب ، لاقبل لنا بمثلها في معاملنا على سطح الارض» حيث يتعذّر علينا التفوز بدرجات عالية من الحرارة والضغط تقارب درجاتها على سطح الشمس

كان فاسيا بوس قد ذكر في سنة ١٧٣٣ انهُ شاهد ألسنة الشمس وهو يرصدُ كسوفاً كليًّا . ثم وصفها بايلي الانكليزي وصفاً دقيقاً بعد مشاهدتها في اثناء رصدهِ لكسوف كلي وقع في ٨ يوليو سنة ١٨٤٢ . وكان بايلي هذا مُعمّراً وفلكيًّا هاوياً . ومع وصفهِ الدقيق لما شاهد عجز عن فهم سرها . فمثلما هو وغيرهُ من علماء ذلك العهد الى القمر ، الاَّ انَّ التدقيق في دراستها في اثناء كسوف وقع في سنة ١٨٦٠ أثبت انها تندلع من الشمس لا من القمر

ولكن اذا شاء العلماء ان يفهموا هذه الظاهرة العجيبة ، فلا يسعهم الا كتفاء برصدها ثوانٍ معدودة عند وقوع كسوف كلي ، ولا بدَّ من ابتداع وسيلة تمكنهم من دراستها في كل ساعة من ساعات النهار ، وذلك بحجب الضوء الباهر المنبث من قرص الشمس . هذه المسألة حيَّرت هايل وهو لا يزال طالباً في معهد ماسشوستس التكنولوجي . وكان جانسن قد بحث في الموضوع فتبين في طيفهِ خطوطاً لامعة عرف انها خاصة بأحد الالسنة المندلعة من قرص الشمس ، فصاح اني أستطيع ان ارى هذه الخطوط في غير وقت الكسوف ، وبتغيير موقع مطيافهِ تمكن من تخطيط صورة لسان منها وعرف انهُ في الغالب مكون من الايدروجين لان خطَّ الايدروجين كان أبرزها في طيفهِ . ثم أقبل عجز على الطريقة نفسها فوسع الشق الذي يدخل منهُ النور فتمكن من رؤية لسان كامل كأنهُ يراهُ من نافذة

ثم حاول يونغ بعد ذلك أن يصوّر احد هذه الالسنة بالمصوّرة الضوئية فكانت الصورة غير واضحة فأهمل التصوير كوسيلة من وسائل البحث في هذه الظاهرة الشمسية . ولكن هايل اكبَّ على البحث

عن طريقة تمكنهُ من هذا التصوير. وكان هدفهُ الفوز بصورة لقرص الشمس والالسنة متدلعة منهُ ، وان يتم لهُ ذلك في رابعة النهار . وكان في احد الايام راكباً مركبة تقلهُ كهربائية في شيكاغو اذ خطرت لهُ طريقة لحل المعضلة التي تعنّتهُ ، ولكنهُ لم يعلم حينئذٍ ان هذا الخاطر نفسهُ كان قد خطر لغيرهِ من الباحثين وان احداً منهم لم يفز بتحقيقهِ

كان الخاطر بسيطاً . قال هايل : اصنع شقاً سعتهُ جزء من مائة جزء من البوصة في قطعة من الورق المقوّى واسلك بهِ بين عينك ومصباح كهربائي فلا ترى الاّ جانباً فقط من السلك المتوهّج . فاذا هززت الشق بان لك السلك المتوهج كلهُ . فما تحتاج اليهِ لتصوير الشمس ، جهاز نضعهُ بين الشق المتذبذب والعين يحجب عنا كلّ الضوء الاّ الضوء المنطلق من عنصر واحد

وعلى أساس هذا الخاطر صنع هايل جهازهُ المشهور المعروف باسم مطياف الشمس المصوّر او مصوّرة الطيف الشمسي Spectroheliograph بعد ما لاقى مصاعب لا توصف في صنعهِ فتغلب عليها ببراعتهِ وذكائهِ ومثابرتهِ . وفي ٧ مايو سنة ١٨٩١ تمكن هايل من ان يصور صورة واضحة لاحد ألسنة الشمس في رابعة النهار بجهازهِ هذا

فلما ظهر الواح التصوير الضوئي وتبيّنها غلب عليهِ الفرح فأراها لصديقيهِ واستاذيهِ المرتاين بوغ ورولند . فاتفق من ذهنيهما اي شك في دقة الطريقة الجديدة ونجاحها . وكذلك تمّ على يدي هايل وهو في الثالثة والعشرين ، آية من آيات الظفر العلمي في العصر الحديث

بل ان هذا الجهاز كان فاتحة عهد جديد في دراسة الشمس من ناحيتها الطبيعية . وما ذاع نبأهُ حتى دعاهُ السر وليم هجنس Huggins رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني لعرض صوره هذه على اعضاء المجمع . وكان بين الحاضرين العالم الفرنسي هنري الكسندر ديلاندر مدير مرصد المالك الطبيعي في مودون على مقربة من باريس . وخرج ديلاندر من الاجتماع عائداً الى مرصده حيث والى مباحثهُ فلم تنقض بضعة شهور حتى أيّدت النتائج التي وصل اليها كل ما قالهُ هايل

هوذا الابواب قد تفتحت والشمس قد استسلمت للمطياف وللمصوّرة الطيفية ، والعلماء لن يقفوا عند تصوير ألسنتها المتدلعة من حواشيها مكتفين بما دنصوا ، بل لا بد من مهاجمة وجهها لكشف ما يخفيهِ من اسرار وراء ذلك الضوء الباهر المنبعث منهُ . وغرائب ما كشفوهُ عليهِ وفيهِ موضوع بحثنا القادم

من أقاصيص

بوشكين

١٧٩٩ — ١٨٣٧

حليم دمري

اذا ما بدأت القصة فنحن في بيت « نارموث » الضابط في حرس القصر يجتمع وطائفة من اصدقائه في ليلة شتوية حيث يلعبون الورق ولقد ظلوا الى الخامسة صباحاً ولما يتناولوا بعد طعام العشاء. فأما الطعام فقد أعد واختلف اللاعبون الى المائدة يلتهمونه التهاماً . فاذا ما بدأت « الشمبانيا » تصبُّ في الأقداح فقد حي بينهم النقاش وطمى واتك لتسمع احدهم يسأل « سورين » عما ربحه فيقول لهُ « انهُ خسر كالمعتاد . انهُ ليس لهُ حظ وسوف يظل حاذقاً لا يضارب على انهُ كثيراً ما يخفق في لعبه » ويقول لهُ أحد الضيوف « وما رأيك في هرمان » وهو يعني احد الضباط من فرقة المهندسين « انهُ لم يلمس في حياته ورقة من ورق اللعب . بل لم يراهن . ولكنهُ شغوف بأن يجلس اليناحتى الساعة الخامسة في الصباح ونحن نلعب »

فاجابه هرمان : إن الورق يستهلني كثيراً على انني لن احتمل ضياع حاجة في سبيل متعة غير محققة

وتحدث تومسكي قائلاً « ان هرمان رجل المانيٌ دأبه الاقتصاد . وهو لا يحملني على شيء من العجب ولكن الشخص الذي لا استطيع ان افهمهُ أو اسبر غوره هو جدتي « الكونتيس حنه فيدورفنا »

فصاح به الضيوف جميعاً « وكيف كان ذلك » ؟ فأجاب : « لستين عام مضت زارت جدتي وزوجها باريس ولقد أتاح لها جمالها الرائع ان تصبح حديث الناس . فلقد كان بعضهم يتسابقون وراء عربتها لكي يرنوا اليها وليروا « زُهرة روسيا » تلك التي افتتن بحبها « الكردينال ريشيليو » ذلك الوزير العظيم الذي أوشك من فرط هيامه بها أن ينتحر . وكانت جدتي تشهد المواند الخضراء . فخسرت مرة مبلغاً كبيراً لدوق أورليان . ولما عادت الى منزلها أخبرت جدي بذلك وطلبت اليه توفية المبلغ . وكان يخشاها ويفرق من سطوتها وبأسها ويذل منها منزلة العبد للسيد . غير انهُ لما سمع بخسارتها الفادحة تجاوز حده وأنهمها في شيء من الرقض أن ما تحمله من اوراق يثبت ان وجودها في تلك الفترة في باريس كلفهما قرابة نصف مليون في مدى

ستة اشهر وان ذلك مما يحمده ايضاً على الرغم الباب . فعند ذلك لطمته على صدام أذنه لطمة كادت تصمه . ونامت بمعزل عنه تلك الليلة . وفي الصباح عادت عليه الطلب فوجدته على الرفض مصرًّا . ولما انقطع أملها من ناحيته أخذت تفكر في الخلاص من ذلك المأزق وتذكرت رجلاً نبيلاً كانت تروى عنهُ احاديث كثيرة هو الكونت سان جرمان وكان معروفاً بحدة الذكاء وكانوا يزعمون انهُ يكتشف «اكسير الحياة» و «حجر الفلاسفة» . ومهما يكن من أمر هذه المزاعم فلقد كان رجلاً خلاب الحديث فتان المؤانسة وجيهاً في كافة المجالس والمجتمعات . وكانت جدتي تعلم انهُ ثري . فأزمعت أن تلتجىء اليهِ واستدعته فأسرع اليها وحدثته عن قسوة زوجها ووحشيته بأفظع عبارة . وطرحت عليهِ أعباء حاجتها الفادحة فأطرق الرجل ملياً ثم قال : اني قادر على انقاذك بالمال ولكن اعلم انك لن تستريحي بعد ذلك حتى تردديه اليّ فكأني سأخرجك من مأزق لأوقعك في آخر وعلى ذلك فسأطلعك على وسيلة تستردين بها خسارتك عن طريق المقامرة

قالت جدتي : ولكن يا عزيزي الكونت اني لا املك من المال شيئاً . فكيف أقبل على اللعب وانا مفلسة ؟ . فقال سان جرمان « لا حاجة بك الى المال . تفضلي عليّ بالاصغاء »

ثم افضى اليها بسر غريب يتمنى لو يعرفه اي سنا أو يشتريه بكل ما يملك من ثروة فذهل السامعون لهذا النبأ واشتدت بهم الرغبة في المعرفة وأشعل توسكي سيجاراً وشرع يدخن ثم استأنف الحديث قائلاً : « في تلك اليوم ذهبت جدتي الى قصر فرساي للمقامرة وافتتح الدوق اورليان اللعب . فاعتذرت جدتي عن توفية دينها له ألطف اعتذار ثم بدأت تلعب ضده فاختارت ثلاث ورقات فلعبتها واحدة تلو الاخرى فربحت الثلاث جميعاً وبذلك استردت جدتي ما كانت قد خسرتهُ في الليلة السابقة مشفوعاً بارباح طائلة »

قال أحد الضيوف «من عجب ان يكون لك جدة كهذه ثم يسيل ان تستخرج منها هذا السر العظيم» . «هذا ضرب من المحال . لقد كان لجدتي أربعة بنين أحدهم والدي . ما منهم الا مقامر معاصر ومع ذلك فقد أبت ان تبوح لأيهم بذلك السر على ما فيه لهم من نفع وجدوى . ولكن عمي الكونت ايفان اليفش حدثني الحديث الآتي : وهو ان المرحوم تشابلتسكي الذي مات فقيراً بعد أن خسر الملايين على المائدة الخضراء فقد مرة ثلثمائة الف روبل فكاد يجن حزناً وغماً فرثت له عمتي فأعطتهُ ثلاث ورقات وأمرتهُ ان يلعبها على التوالي وأخذت عليهِ عهد الله وميثاقه ان لا يبوح بالسر وان لا يعاود اللعب بعد ذلك ما عاش . فمضى تشابلتسكي الى خصمه ولاعبه فأخطر على الورقة الأولى خمسين الف روبل فربحت ثم ضاعف المبلغ على الورقة الثانية فربحت وضاعف على الثالثة فربحت وبذلك استرد فوق ما كان قد خسره : والآن ايها السادة قد ان لنا ان نتصرف فقد آذن الفجر ان يلوح والديك ان يصيح . . . » فشرب الجميع سؤر أقداحهم وتوادعوا ثم افترقوا

— ٢ —

كانت الكونتيس العجوز حماة بوسكي جالسة في غرفة التواليت امام مرآتها ومن حولها ثلاث وصائف يضمن بخدمتها . وكانت الكونتيس قد فقدت كل أثر من آثار جمالها الباهر ولكنها لم تفقد عادات شبابها المتدثر من التجمل والزينة . وكانت تجلس قرب النافذة وصيفة لها حسناء تشتغل على منسج التطريز . تلك هي « ليزا ڤيتا » التي كانت تسدد نظرها نحو النافذة من حين الى حين ثم ألقت نسيجها وأطلت من النافذة . ولم تكن الابرة حتى ارتفع لها في اقصى الطريق ضبط فتى في زي الضباط المهندسين . فاحمر وجهها خجلاً وتناولت نسيجها واستأنفت عملها على المنسج وفي هذه اللحظة عادت الكونتيس العجوز مستكملة اللباس والزينة . وتحدثت الى ليزا ڤيتا في ان تأمر الخدم باعداد المركبة ليخرجا في نزهة : ولقد قامت الفتاة عن منسجها متناقلة الخطا كمن به ذهول ووقفت حائرة فلمحت الكونتيس هذا فقالت: « ليزا ڤيتا . ماذا بك وما خطبك؟ أبك صمم أم ذهول؟ . نادي الخدم ومُري باعداد المركبة في الحال »

انطلقت ليزا ڤيتا بسرعة وفي هذه الاثناء دخل أحد الخدم فقدم للكونتيس بضعة كتب هدية من الامير « پول الكسندروفتش » ودعت الكونتيس وصيفتها لقراءة ما بالكتاب فاذا بدأت ان تقرأ فقد شعرت الكونتيس بأن موضوع الكتاب لا يعنيها لانه سخف ومن سقط المتاع ولقد أثبت الكونتيس وصيفتها لتأخرها في ارتداء ملابسها وعابت عليها تكرارها التأخير عند خروجها

كانت الكونتيس متغيرة المزاج لم يهدأ لها بال . فما كادت « ليزا ڤيتا » تصل الى غرفتها حتى هبت الكونتيس الى جرس الغرفة تقرعه قرعاً مستمراً . فهجم ثلاث وصائف من باب وخادم من باب آخر . وصاحت الكونتيس قائلة « لقد أصبحت في قصري لا أطاع أو يسمع لي قول أو يؤبه لي . أين ليزا ڤيتا؟ ألا خبروها انني قد عيل صبري في انتظارها . . . » وهنا عادت ليزا ڤيتا تحمل معطفها وقبعتها فقالت الكونتيس . لقد طال غيابك يا ليزا ڤيتا . واراك تكثرين من امر الزينة والتجمل اكثر مما ينبغي ومن يا ترى تنوين اقتناصه . . ؟ ثم ما رأيك في جو اليوم . . ؟ ارى انه يوم عاصف فقالت ليزا ڤيتا . كلا يا سيدتي انه يوم هادىء ساكن الريح . وقال ذلك جميع الخدم ايضاً . وقالت الكونتيس : انه ليوم قطرير عبوس. ألا تحسون الريح والبرد القارس. أعروا الخيل من السرج فلا سبيل الى الخروج اليوم . فتألمت الوصيفة ليزا ڤيتا لهذه الحياة المليئة بالمناقضات الأليمة

— ٣ —

قبل وقوع هذه الحوادث بأسبوع كانت ليزا ڤيتا جالسة الى نافذتها في صباح يوم جميل تطرز على منسجها فمالت منها الفتاة الى الطريق فوقع بصرها على فتى من فرقة الضباط

المهندسين . وكان واقفاً لا يبدي حراكاً يطيل النظر الى نافذتها . فنكست رأسها وأقبلت على عملها . وبعد خمس دقائق أطلت ثانية من النافذة فاذا الفتى الضابط لم يبرح مكانهُ ولا يزال موكلاً طرفهُ بالنافذة . ولما لم يكن من شأنها مغازلة الضباط الناظرين الى نافذتها فقد شغلت بعملها في شيء من النشاط ومضت ساعتين كاملتين من دون ان ترفع رأسها . ثم دق جرس الغداء فنهضت وتركت نسيجها . ثم خرجت منها الفتاة الى الطريق فاذا الضابط لم يغادر موقعهُ فاشتد عجبها من ذلك . وبعد الغداء عادت الى النافذة وهي تحمل شكًّا وقلقاً ولظرت ولكنها لم تجد للضابط أثراً فصرفت من ذهنها شبحهُ وتناستهُ

وبينا هي تهم بالركوب مع الكونتيس بعد ذلك بيومين أبصرت الضابط نفسهُ خلف باب المركبة تماماً تتوقد عيناه السوداوان من خلال لثامه فأوجست منهُ خيفة لغير علة واضحة وأخذت تحلم من المركبة والرعب يرجف أوصالها . ولما عادت الى المنزل أسرعت الى النافذة فاذا الضابط في موقفه القديم يديم اليها النظر . فارتدت منقبضة وتملكها نوع غريب من الشعور لم تدرك لهُ معنى . ومن ثمَّ فصاعداً لم يمض يوم الا ظهر ذلك الضابط تحت النافذة في الساعة المعهودة فنشأ بين الفتاة وبينه نوع من التعارف الصامت والصحبة الخرساء . فكانت اثناء عملها على المنسج تحس ريحه وتشعر بروحه ثم ترفع رأسها لتنظر اليهِ وجعلت نظراتها تزداد على مرّ الايام وكان الفتى قد فطن الى هذا فارتاح اليه وكأنهُ يرسل من عينيه معاني الشكر والغبطة وكانت الفتاة تبصر احمرار وجهه كلما تلاقت الحاظهما . وبعد اسبوع بدأت تبتسم لهُ

ولعل هذا الحديث يفهمنا ان ذلك الفتى هو « هرمان » الذي ورد ذكره في أول هذه القصة وعُرف بأنهُ من فرقة الضباط المهندسين

— ٤ —

كان هرمان ابن رجل ألماني استوطن روسيا وتجنس بالجنسية الروسية وكان قد ورث عن أبيهِ ثروة لا بأس بها . وكان شديد الاقتصاد في النفقة يجتزىء من مرتبه ولا يمس ميراثه وكان جم الحشمة والوقار بعيد المطامح والمطامع لهُ من قوة عزيمته وحزمه اشد رادع وقامع لشهواته فكان من فرط ميله للمقامرة لم يمس ورق اللعب قط . وكانت قصة الورقات الثلاث قد أثرت في نفسه أشد تأثير وأشغلت خياله فجعل يسهر الليالي لا يفكر في غير ذلك ثم بحث عن قصر الكونتيس حتى عرف مكانهُ وأبصر الفتاة لمرة ثانية وهي تطرز على منسجها فأزمع ان يصل اليها مهما كلفه ذلك ليتخذها سلماً للوصول الى سيدتها الكونتيس لكي يعرف سر الورقات الثلاث منها طوعاً او كرهاً ثم كان من امر وقوفه ازاء النافذة ومخالسته النظرات للفتاة وتحديه اياها ما كان

تحدثنا في ان الكونتيس بعد ان امرت باعداد المركبة عادت وامرت ثانياً بفك الحبل

ولكنها ما لبثت ان امرت باعدادها ثانياً . وكذلك لم تكد ليزا ڤيتا تنزع معطفها وقبعتها حتى أُمرت بلبسهما ثانياً وخرجت مع سيدتها للنزهة ولم تكد العربة تبدأ في السير حتى لمست يد ليزا ڤيتا يد أخرى والقت فيها ورقة فأخفتها في قفازها وظلت طول النزهة لا تسمع ولا تعي ولا تفقه . وكلما القت عليها الكونتيس سؤالاً — وما كان اكثر ما تسأل — اجابتها اما بالصمت وإما بما هو ابعد من الصمت من جواب سخيف خارج عن الموضوع حتى ضجت الكونتيس وانهالت عليها سباباً وشتماً

ولما عادت ليزا ڤيتا من النزهة اسرعت الى فض تلك الرقعة التي وصلتها من هرمان . فاذا بها قطعة من ملطفته وهيلده سداها الحشمة ولحمتها الادب . فطربت لهذا الطرب كله على ان سرورها كان مشوباً بنوع من القلق والاضطراب لارتباطها لاول مرة بشاب غريب بعلائق سرية خصوصية وقد كان في شدة جرأة ذلك الشاب ما اخافها وأرهبها فأخذت تنقف نفسها على طيشها وغرورها . ولم تدر ماذا تصنع أتهجر النافذة والجلوس اليها ؟ فتقطع آمال الشاب بهذا الجفاء ؟ أم ترد اليه رسالته فتبتئسه أم تجيبه عنها جواب رفض وإباء ؟ وبعد طول الحيرة والتردد حررت له الرقعة الآتية : « لاشك عندي ان غرضك شريف وانك لا تود ان تؤذيني بما يحرجني أو يسيء الى سمعتي غير انى لا أحب ان يكون بدء تعارفنا بهذه الطريقة التي سلكتها »

ولما ظهر هرمان في اليوم الثاني تحت النافذة ألقت بالرقعة على الطريق . فسرعان ما التقطها وذهب بها الى محل حلوى ففض غلافها فألفى داخلها رسالته مردودة والجواب عليها وكان قد توقع ذلك فانقلب الى داره وذهنه مشغول بما كان يدبره من الدسيسة . ولقد أرسل لها فتاة حائكة بعد ثلاثة أيام برسالة منهُ ففضتها وهي ترجو ألاّ تكون من غريم يطالب بدين . ولقد أحبت ان تكرر الرسالة متجاهلة صاحبها ولما كان هرمان يطلب لقاءها فقد ازعجها وقاحة هذا الطلب وصاحت قائلة ان تلك الرسالة لم تكن لها فقالت لها الفتاة . ولماذا مزقتها إذن ؟ لقد كان ينبغي ان تردها الى صاحبها . . . فارتبكت ليزا ڤيتا امام هذه الملاحظة الدقيقة وقالت أرجوك ألاّ تأتيني بأية رسالة أخرى وخبري مرسلك ان هذا عار عليه . ولم يكن هرمان بالرجل الذي تصده مثل هذه الصدمة . فأصبحت ليزا ڤيتا لا يمر يوم الاّ اتتها منهُ رسالة مشحونة بآيات الوله والصبابة والاستعطاف فكانت تمر على عزيمته وصلابة ارادته وطمحات خياله الجامح الشرود الذي لا ترده شكيمة أو يثنيه عنان . أما الفتاة فقد وهنت امام هذا السيل الجارف فأذعنت واستكانت ولم تعد تقوى على رد تلك الرسائل . بل جعلت ترتاح اليها وتجد لها حلاوة في سمعها وبدأت تجيبهُ على رسائله وكانت ردودها تزداد على الايام اطناباً واسهاباً وورقة وغزلاً الى ان القت اليه من نافذتها ذات صباح بالرسالة الآتية : « في هذه الليلة ستقام حفلة راقصة في دار السفارة وستشهد الكونتيس هذه الحفلة وسأظل معها هناك الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وسيبقى المنزل خالياً الاّ من

البواب وهذا دأبه الثماس . فاطرق المنزل الساعة الثانية عشر . فاذا عز بك أجد في الساحة فاجعل حجتك السؤال عن الكونتيسة وارجع بسلام واكثر من التنظر ألا يمر بك أحد فاصعد الى غرفة الكونتيس تجد بها حاجزاً خلفهُ بابان فافتح الباب الايسر يؤدي بك الى دهليز في اقصاه سلم يفضي الى غرفتي فتنظرني بها »

وفي الساعة الثانية عشر صعد هرمان سدة الباب ودخل الساحة المشرقة بالمصابيح الوضاءة ولم يجد أثراً للحارس فرقى السلم حتى بلغ حجرة الكونتيس التي بها مضجعها . فألفى في احدى زواياه شبه محراب مزدانًا بصور القديسين وتماثيل القديسات يثيره مصباح من الذهب الابريز وحول الحجرة تمارق وأرائك عليها وتير الوسائد وقد نسلت اصباغها لتقادم العهد ورقمت عليها يد القدم سطور الوحشة والكآبة وكان على أحد الجدران صورتان من صنع المصورة الباريسية المشهورة « ليبا » احداهما تمثل رجلاً ربعة بادناً أشقر يناهز الاربعين في حلة عسكرية خضراء هو « زوج الكونتيس المتوفى » والصورة الاخرى تمثل الكونتيس في صباها. وفي جوانب الغرفة تماثيل شتى من الشبه والخزف والصيني وساعات وصناديق بها حلي وزخارف ومراوح وشتى اصناف من اللعب والتحف

وقف هرمان خلف الحاجز فألفى لدى ظهره سريراً من الحديد وعلى يمينه باب المقصورة الخاصة بالكونتيس وعلى يساره الباب المؤدي الى الدهليز ففتحه فأبصر السلم المفضي الى حجرة الوصيفة ليزافيتا والكنهُ أغلقهُ ولبث بمكانه . مرَّ الوقت بطيئاً وكان الكون ساكناً وظل هرمان واقفاً مستنداً الى رف الموقد الخامد ودقت الساعة الواحدة ثم نصفاً ثم اثنتين واذ ذاك سمع وقع حوافر وصرير عجلات من أقصى مسافة فاعترته رجفة شديدة وهزة عنيفة وتقدمت المركبة ثم وقفت . وسمع حركات الوصائف بالقصر غاديات رائحات في هرج ومرج . وأشعلت المصابيح وتألقت أضواؤها ودخل حجرة الكونتيس ثلاث وصائف وعلى أثرهن الكونتيس وقد احياها التعب . فهالكت على كرسي وهي أشبه بالاموات منها بالاحياء . ونظر هرمان من خلال الحاجز فأبصر ليزافيتا عن كثب وقد ولجت الباب الأيسر وصعدت في السلم المؤدي الى حجرتها. فأحس نوعاً من الالم والندم على بغيائه اياها وغدره بها ولكنهُ ما لبث ان قسى قلبه وكتم صوت ضميره وعاد الى جموده

خلعت الكونتيس ثياب الزينة وارتدت جلباب النوم وجلست الى النافذة بعد ان صرفت الوصائف واطفأت المصابيح الا قنديلاً ضئيلاً كامد الشعاع . وكانت الكونتيس مصابة كالعجائز بالارق فلبثت مكانها من النافذة صفراء الوجه والبشرة كانما غمست في حوض من الكركم تحرك شفتاها وتترجح بخفة ويسرة . وكانت عيناها الكليلتان الثقيلتان تهان على ذهول وتدله

وكأن اهتزاز جثتها وعدة كهربائية منبعثة من أحشائها . ولكن وجهها المنكب تحرك بغتة موقف ارتعاش الشفتين وبدت أمارات الحياة في عينها . ماذا جرى ؟ لقد ظهر امامها جل غريب مجهول . . . وقال هرمان لها « لاتخافي لست بضارك . لقد جئت اسألك حاجة . » فنظرت اليه العجوز في صمت كأنها لم تفهم مقالته وظن هرمان أنها مبتلاة بالصمم فأدنى فمه من أذنها وأعاد ما قالهُ فعادت العجوز في صمتها

وقال هرمان « ان في مقدورك اسعاد حياتي وترفيه عيشي . فني استطاعتك ان تسمي لي ثلاث ورقات من ورق اللعب » . وهنا سكت هرمان اذ بدا لهُ ان العجوز بدأت تفهم كلامه وكأنها كانت تعالج سكرة من سكرات الألم أو الموت ثم تعالج نفسها على ان تهيء للجواب. فقالت لهُ « لم يكن ذلك الا من باب المزح والفكاهة »

فأجابها هرمان « كلا ان الامر جد لاهزل فيه . اذكري صاحبك تشابلتسكي الذي اقلت عثرتهُ وفرجت غمته وأعنته على استرداد خسائره الا تستطيعين تسمية هذه الورقات. » فعادت العجوز في سكوتها وهنا خر هرمان راكعاً تحت قدميها وقال « لمن تدخرين هذا السر لذريتك واحفادك وقد أغنام القديمة بالثروة الطائلة والنعمة الفسيحة. رحماك أيتها الكريمة . واذا كنت تعرفين شعور الحب — حب العاشقة لعشيقها والام لرضيعها والشقيقة لشقيقها. فأني استحلفك بعواطف العاشقة والوالد والشقيقة وبكل ما هو مقدس في الحياة الا ما أجبت دعائي وقضيت حاجتي »

كان ذلك والكونتيس صامتة لا تبس فعند ذلك ثار هرمان وصاح « ثبًّا لك من عجوز شوهاء لأرغمنك على الكلام أرغاماً وأخرج سدساً من جيبه . فبدت علامات القلق على العجوز فرفعت يديها كأنها تحاول القاء القذيفة واستلقت على ظهرها وبقيت مسلوبة النطق والحركة . فصاح هرمان وقبض على يدها أجيبي اني اسألك المرة الاخيرة . أجيبي ما هي الورقات الثلاث ؟ » فلم تحر جواباً وتأمل هرمان في وجهها فاذا هي جثة لا حراك بها

. . . . . .

كانت ليزافيتا جالسة في غرفتها وقد خلعت ذواتيها الحاسرتين على صدرها العاري وقد أرسلت الخادم ألا يعود بعد أن سألتها مراراً عما يمكنها أن تقضيه لها من حاجة وكانت تحمد الله كثيراً لان هرمان لم يحضر واستلقت على مقعد لتراجع ذكرى الحوادث الاخيرة . فلقد انقضت ثلاثة أسابيع منذ ما لمحت هرمان من النافذة ثم شرعا يتراسلان . انها لاتذكر انها حدثتهُ لساناً بلسان ولكنها عرفت اسمه من امضائه على الخطاب. وانها لتذكر المصادفة الغريبة ألا وهي ان في تلك الليلة الراقصة وتوسكي يرقص معها بعد ان تنحى عن الرقص مع البرنسيسة بولينا بدأ يذكرها بحبها لهرمان وهي تذكر هذا الحب فيقول توسكي لها « ان هرمان شخص

روسانتيكي وله وجه كتابليون ونفس كيفستوفيلس ونفسٌ ضميره يحمل وزر ثلاث جرائم . . ولماذا علت وجهك تلك الصفرة ؟ . . .

بعد فترة دخلت الاميرة بولينا وسيدتان . وتحدثت الاميرة مع ليزاڤيتا عن تومسكي ثم خرجت ورفيقتاها وتركن الفتاة تستعيد كلمات تومسكي شاردة الفكر لا يستقر لها حال أو يهدأ لها شعور . وفيما هي على هذه الحال اذا بالباب يقرع ويدخل منهُ هرمان . فتسأله في شيء من الحجب عن امره . فيجيبها انهُ كان في حجرة الكونتيس ولقد تركها وهي جثة بلاروح . . فتقول له . يا لله . ماذا تقول ؟ يخيل هرمان وقال انهُ يخشى ان يكون هو السبب . وأصغت الفتاة الى حديثه وفرائصها ترتعد وقص عليها ما كان من امره مع الكونتيس . فعرفت مرماه وتبينت هدفه ونهت ان تلك الرسائل الغرامية وان هذا الحب لم يكن مصدرها الخير والحب لذاته ولكن مصدرها الجشع وانها لم تكن الا آلة صماء في يد سارق أثيم . فذرفت دموع الندم مرة حارة وجعل هرمان ينظر اليها صامتاً وقلبه تهب الوساوس الأليمة

وقالت ليزاڤيتا . انك لوحش ضار . وبدأ الصبح يتنفس وقامت ليزاڤيتا فأرشدتهُ الى السلم السري وقد ضغط على يدها الباردة يودعها . ولما انكفأ هرمان في مساء اليوم التالي الى غرفته المطرح على مقعد بها منهوك القوى دون ان يزع ثيابهُ فاستغرق في النوم ولما أفاق من سجته كان الليل قد خيم وألقى القمر اشعته على ارجاء الغرفة . وانهُ لكذلك اذ فتح عليهِ باب الحجرة ودخلت امراة في ثوب ابيض فدنت منهُ واذا هي الكونتيس قائلة لهُ بصوت ثابت . « لقد جئتك على غير ارادة مني . ولكن امرت ان آجيء فجئت . سترع اذا اصبت الورقات الثلاث والآسية على التوالي — كل واحدة في ليلة . ثم لا تعيد الكرة والورقات هي ثلاثة وسبعة وآس . . . ولكن لا بد من ان تتزوج من ليزاڤيتا ايڤانوفنا »

لما ماتت الكونتيس كان هرمان ممن دهبوا لتأدية العزاء في الكنيسة فوقف يتلو الصلاة ويستغفر الله فيما فعلهُ من اثم وما ارتكبهُ من جرم . واخترق الصفوف وأقبل نحو النعش ونظر الى الجثة فاذا الكونتيسة يلوح عليها انها تنظر اليهِ في شيء من السخرية . . فاستولى عليهِ ذعر فارتد فزعاً فوقع مغشيًّا عليهِ . اما ليزاڤيتا فخرجت من الكنيسة وهي تحمل ألماً مبرحاً مرتجفة مهمومة

— ٥ —

كانت هنالك جمعية في موسكو يرأسها شيكالنسكي وهي تضم جبارة المقامرين وفي ذات ليلة قدم هرمان في صحبة تومسكي . وبدأ تومسكي يقدم هرمان الى شيكالنسكي وانضم هرمان الى جماعة المقامرين ودارت رحى الميسر وانتهى الدور الاول وبدأ شيكالنسكي يوزع الورق . فقال هرمان لهُ أتسمح لي ان آخذ ورقة . فانحنى شيكالنسكي راضياً . وقال هرمان . « اريد

الاشتراك » . وكتب ارقاماً بالصباشير على ظهر ورقة . فقال صاحب البنك « على اي مبلغ يا سيدي معذرة فاني قصير النظر » . فقال هرمان « على سبعة واربعين الف روبل اعني كل ما ورثته عن ابي » . وعند سماع هذه الكلمة انتفض جميع المقامرين والمتفرجين ولم يصدقوا نباه ولبثوا فترة في ذهول ودهشة . وقال تومسكي في نفسه : حقاً لقد تورط هرمن في تفكيره وخولط في عقله . وقال شيكالنسكي : « هذا مبلغ باهظ فلربما ان جازف مقامر باكثر من مائتين وخمسين روبل دفعة واحدة » فقال هرمان . قد يكون قولك حقاً ولكن أيقبل الرهان على هذا المبلغ ام لا ؟ فانحنى شيكالنسكي قبولاً وقال « اسمح لي مع مزيد ثقتي بتصريح اصدقائي اني لا أقامر الا على النقد الحاضر ولكن محافظة على اللعب اطلب اليك ان تضع المبلغ على ورقتك » . فأخرج هرمان بنكنوتاً اعطاه الى شيكالنسكي وألقى هذا بدوره عليه وأرفقه بورقة هرمان وشرع ينثر الورق فظهر على اليمين « تسعة » وعلى اليسار « ثلاثة » فقال هرمان ان ورقته رابحة . فأظهر الجميع عجبهم ودهشتهم وعبس وجه شيكالنسكي غير ان ابتسامته لم تفارق ثغره ودفع له مبلغ ربحه . وفي اليوم الثاني اشترك هرمان في الدور الثاني وبدأ ينثر الورق على رأس ماله وأرباح الامس فظهر على اليمين « عشرة » وعلى اليسار « سبعة » وهي الرابحة فضج المقامرون وبدأ القلق يساور شيكالنسكي وتناول هرمان ارباحه الجديدة وغادر المكان . وفي اليوم الثالث ترك الجميع اماكنهم وأحاطوا بمائدة هرمان وقد وقف ليلعب مع شيكالنسكي وهو على شدة تأثره لم يزل يفتر ثغره عن ابتسامته الطبية فتناول كل منهما رزمة من الورق وشرع شيكالنسكي يوزع ورقه ويداه ترتجفان فصاح هرمان بملء فيه « هذا هو الآس ! لقد ربح » فأجابهُ شيكالنسكي في شيء من الهدوء والاحترام . لا ياسيدي . . ان الذي في يدك ليس الآس ولكنهُ « ملكة البستوني » وقد خسرت . فانتفض هرمان ونظر الى الورقة فوجدها « ملكة البستوني . . . . ولكن من الذي غير الورقة . . . تلك لا شك قوة شيطانية . . . وأعاد النظر الى الورقة فاذا بها صورة الكونتيس وهي تبتسم له وتغمز له بعينيها في هزء وسخرية . فصاح وقد ملكه الرعب « الكونتيس العجوز » « الكونتيس العجوز » وشرع شيكالنسكي يجمع ارباحه ولبث هرمان فاقد الحركة برهة من الزمن . . . واستأنف شيكالنسكي اللعب مع المقامرين . اما هرمان فقد جنّ وهو الآن نزيل احدى الملاجيء الخاصة بمرضى العقول لا يعي قولاً أو يفهم أمراً ولسانه دائم الترديد « ثلاثة سبعة . ثلاثة سبعة ... ملكة البستوني . . . . . »

وزوجت ليزاڤيتا ايفانوڤنا من فتى وشيق ممن كانوا في خدمة الكونتيس وعاشت معه في كنف السعادة ورغد العيش

(١)

قسم الطفيليات

حديث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

استاذ الطفيليات في كلية الطب

— متى انشيء قسم الطفيليات في كلية الطب ، وما هي دائرة نشاطه ؟

١ — منذ انشاء مدرسة الطب في سنة ١٨٢٧ ، كان موضوع البحث في الطفيليات من أهم ما اشتغل به أساتذتها ، ومن أهم البحوث التي قاموا بها ، والاكتشافات التي عثروا عليها . لان أمراض البلاد الحارة الكثيرة الانتشار في مصر يرجع سبب أغلبها الى الطفيليات . ولكن في السنوات الأولى من تاريخ المدرسة كان البحث في الطفيليات عملاً شائعاً بين كثير من الاقسام ولم يكن لهُ قسم خاص بالذات . وأهم الاكتشافات في القرن الماضي كان حوالي سنة ١٨٥٠

ففي ذلك التاريخ ، وبالتحديد في سنة ١٨٥١ اكتشف الاستاذ تيودور بلهارس الاستاذ في مدرسة الطب المصرية في ذلك الوقت الديدان المشهورة باسمه والمسببة لمرض البلهارسيا الذي يصيب في الوقت الحاضر ٧٥ ٪ من المصريين . وكذلك اكتشف استاذه الاستاذ جرينجر الذي كان ناظراً لمدرسة الطب في ذلك العهد اكتشافاً من أعظم ما تمَّ في تاريخ طب البلاد الحارة . اذ انهُ بين لاول مرة علاقة ديدان الانكلستوما بالمرض المعروف بالانيميا المصرية او الرهقان المصري ووجد فيما بعد ان هذا المرض يصيب نصف سكان الكرة الارضية . وكذلك اكتشف بلهارس عدداً كبيراً من الطفيليات لأول مرَّة . وفي السنين الاخيرة من القرن الماضي بدأت أعمال الطفيليات تتركز في قسم التاريخ الطبيعي بمدرسة الطب وكان الاستاذ فيها المرحوم عثمان باشا غالب ولهُ بحوث هامة واكتشافات نقلت دائرة الطب إلى دائرة الزراعة ، فاكتشف دودة القطن وغيرها . وبعد ان ترك عمله في المدرسة لأسباب لا داعي لذكرها أنشيء في مدرسة الطب لاول مرَّة كرسيًّا لعلم الديدان الطفيلية وهو من أقدم الكراسي في العالم في هذا العلم ويرجع تاريخه الى سنة ١٨٩٦ وقد شغله اذ ذاك العالم العالمي المرحوم الاستاذ ارثر لوس الالماني . وإبان قيامه بالعمل اكتشف جملة اكتشافات تعد في الدرجة الأولى في أمراض البلاد الحارة وعلم الطفيليات فهو الذي اكتشف ان عدوى الانكلستوما تصل الى الانسان بطريق الجلد مما كان موضع الدهشة في العالم كله . ووجد فيما بعد ان هذا طريق تقيهُ كثير من الطفيليات مثل البلهارسيا . وقد ألغي هذا الكرسي التاريخي عند اعلان الحرب العالمية نظراً الى جنسية الاستاذ لوس وترك شاغراً يقوم بالتدريس

---

(١) تابع ما نشر في مقتطف يناير ١٩٣٧ عن « معاهد التعليم العالي » في مصر

فيه بين آونة وأخرى أشخاص يتدربون لمدد قصيرة من الجيش البريطاني، ومن وزارة الزراعة. وبعد الحرب أُلحق قسم الطفيليات بقسم الباثولوجيا حيناً من الزمن . وبعد تقرر أن تندب له الاستاذ الحالي (الدكتور خليل بك) من الخارج . وبعد تقرر ضمّ عند تعيين الدكتور خليل بك استاذاً لعلم الحياة الى هذا القسم اي ان الحالة صارت الى ما كانت عليه أيام المرحوم عثمان باشا غالب . وظلّ الامر كذلك الى ان انشئت الجامعة وحوّل قسم الحياة الى كلية العلوم ، فصار قسم الطفيليات قسماً مستقلاً الى الوقت الحاضر

— ما هي اهم النتائج العلمية لقسم الطفيليات في عهدكم الجامعي ؟

كان من نتيجة انشاء قسم الطفيليات في العهد الجامعي ان ابتدىء بتدريب عدد من الشبان النابهين في الفروع المختلفة في علم الطفيليات وهي في الوقت الحالي ستة اقسام والسياسة الجامعية ترمي الآن الى وجوب ايجاد باحثين من الاخصائيين في كل قسم منها . وهذه الاقسام هي :

١ — علم الطفيليات ذات الخلية الواحدة (البروتزوى)
٢ — علم الحشرات الطبية
٣ — الديدان — الترماتودا
٤ — الديدان الشريطية
٥ — الديدان الخيطية
٦ — القطريات التي تصيب الانسان

وقد قام كل واحد من الاخصائيين في هذه الاقسام المختلفة بعمل ابحاث واليدان واسع جداً في مصر لمجهوداتهم ومجهودات الآخرين . ومن الصعب حصر جميع المؤلفات والرسائل التي نشرت في العهد الاخير في مجالة مثل هذه فهي تزيد عن ١٦٠ رسالة . واعتقد ان اهم الاكتشافات من وجهة العلاج ومقاومة الامراض المتوطنة في مصر هي ما يلي

١ — علاج البلهارسيا بالمركب الجديد « النؤادين » الذي كان نتيجة ابحاث مشتركة بين اطباء قسم الطفيليات بكلية الطب ومعهد الابحاث بوزارة الصحة الذي يشرف عليه استاذ الطفيليات ايضاً — والاخصائيين الكيميائيين في معامل باير بالمانيا . وقد اشترت هذه الابحاث عدة سنوات

٢ — ادخال سمك الجمبوزيا الى مصر لمقاومة انتشار الملاريا وهذا السمك موطنه الاصلي اميركا الوسطى . ونقل الى اسبانيا وايطاليا لهذا الغرض . وأمكن ادخاله وتربيته واكثاره في مصر من سنة ١٩٢٦ . ولا يزال مستعملاً وقد أصاب استعماله قسطاً وافراً من النجاح

٣ — اكتشاف البعوض الناقل للملاريا وداء الفيل في مصر وتحديد نوعه واماكن توالده وبذلك أمكن مقاومته

٤ — اكتشاف تاريخ حياة الدودة التي تصيب الانسان في الامعاء وتسبب نوعاً من الاسهال او الدوسنطاريا اسمها (هتروفيس — هتروفيس) . وقد كانت هذه نتيجة ابحاث مستمرة استغرقت عشر سنوات

٥ — اكتشاف متاطق في القطر المصري موبوءة بالفرحة الشرقية ، (البلهارسيا) وتقرير الطريقة الجديدة ، في العلاج

٦ — ادخال علاج الانكلستوما برابع كلورور الكربون في القطر المصري ووضع التعليمات وتقرير الجرعات اللازمة لذلك . .

— هل للعمل في قسم الطفيليات صلة بالمشروعات التي ترمي الى اصلاح حال الفلاح في القرى المصرية ؟

— قد روعي منذ بدء العمل في قسم الطفيليات بكلية الطب في مصر عدم الاقتصار على المسائل النظرية البحتة كما يعمل في بعض المعاهد في البلاد الأخرى . بل انتهزت الفرص في كل وقت للاستفادة من الابحاث العلمية البحتة وتطبيقها والانتفاع بها في المعالجة ومنع الامراض وسبب ذلك ان الابحاث وتطبيقها في جميع فروع الطب ميسرة وتدور بكفاءة ممتازة واستعداد عظيم في كثير من الامم الاوربية . والاعتماد في مثل بلادنا هو على الاستفادة من النتائج التي يتوصل الباحثون اليها في الخارج

ولكن الامراض المتوطنة في مصر ليست موضع اهتمام كبير في البلاد الاوربية . ولا ينفق عليها من الاموال كل ما تحتاج اليه . ولا يتشيء لها من المعاهد ما يناسب اثرها في البلاد الحارة . والذي يقوم بمثل هذه الابحاث هي البلاد ذات المستعمرات التي تنتشر فيها بعض هذه الامراض . ولذلك كان من الواجب علينا في مصر أن نقوم بعمل الابحاث اللازمة للتخلص من الامراض المتوطنة في القطر المصري خصوصاً وان للعوامل المحلية تأثيراً عظيماً في انتشارها وتوطنها وأثرها في مقدرة السكان وكفاءتهم العقلية والبدنية . وهذا الواجب لا يمكن ان يقوم به إلا مصريون يقفون كل حياتهم ومجهوداتهم على هذا العمل . وهو ما نرجو أن تكون قد وفقنا اليه بعض التوفيق في قسم الطفيليات بكلية الطب ومعهد الابحاث في وزارة الصحة

وهذه الابحاث تتطلب نظراً الى طبيعتها التفلغل في القرى ودراسة جميع العوامل المختلفة التي تساعد على انتشارها وتبين طرق الاصلاح . ولذلك نشر بين وقت وآخر آراءنا في مقاومة هذه الامراض في القرى المصرية ووجه الاصلاح في نفس القرى خصوصاً من وجهة توفير المياه الصالحة للشرب والتخلص من الفضلات . . . الخ لأن هذه هي العوامل ذات الأثر الاول في انتشار امراض الطفيليات

دار الكتب المصرية

حديث الدكتور منصور فهمي بك

مدير دار الكتب

١ — ما هي أهم الاعمال التي تتوجه اليها دار الكتب العامة في مصر ؟

يبدو لي أن أول مهمة لدار الكتب المصرية ان تعمل جهدها لحفظ تاريخ البلاد ، بحفظ جميع الكتب والوثائق الخاصة به ، وكل ما يتصل بمصر وما يمتُّ اليها ، وعلى الأخص ما يصلها بتاريخها العربي ، وبما يناسب مقامها الحاضر كزعيمة للعروبة بين اقطارها وماحياء الآداب العربية ونشر موسوعاتها

والمهمة الثانية للدار ان تهيء جوًّا للبحث العلمي الخاص بحياة البلاد الاجتماعية وتاريخها الأدبي لكي يتنسم منهُ شباب الباحثين المصريين

والمهمة الثالثة هي أن تنظم الصلات العلمية بين المحيط الفكري في مصر وبين المحيط الفكري في البلدان الاخرى . فتكون الدار طريق أتصال بين البحاث المصريين ، ونظرائهم من الاجانب

وقد بدأ هذا الاتصال يتحقق ، فان الكثيرين من علماء الغرب والمستشرقين يشون دار الكتب للتزود بمعلومات شتى في التاريخ واللغة وغيرها ، لانهم يرون في دار الكتب المصرية اغنى مكتبة من نوعها في الشرق كله

وقد شجعنا توالي اقبال هؤلاء العلماء على الدار على ايجاد الرابط الفكري المنشود بين البحاث المصريين ، والاوربيين

وزيادة على ذلك فان مصر تعدُّ من أغنى بلاد العالم بوجود الأجانب فيها ، من شتى الاجناس وشتى الطبقات . وهؤلاء الاجانب المخلصون ، في حاجة الى تثقيف انفسهم بالاقبال على الكتب المختلفة المحفوظة في الدار . ولا شكَّ ، انهُ بتيسير سبيل التثقيف العام لهم في بلادنا تنشيء لهم نوعاً من الوطن الفكري فيشعرون نحونا بشيء من عرفان الجميل . وقد نستغل هذه الحالة ، فننشيء في بلادنا المضياف نوعاً من التآلف والتآخي بين المثقف الاجنبي المحلي ، وبين المثقف المصري ، وفي هذا ما يحقق لنا لوناً من ألوان الترابط الانساني المنشود

وكل ما قدمت يسار مهمة الدار العامة ، وهي نشر أنواع الثقافات بشتى المغريات والاساليب بين المصريين كافة ، وهم يعلمون الآن . وسيكون غداً ان القراءة الجدية الميسرة هي الجامعة العظمى الخالية من كل قيد الا قيد الرغبة ، وان الرغبة في القراءة الصالحة تخرج مجتمعاً ناضجاً موفور الاحساس بنفسه وبجماعته

ولست أشك ان هذا الاتجاه الذي تتوجه اليه دار الكتب ، يحتاج الى مزيد العناية بالدار نفسها ، فهي محتاجة ، الى بناء يتسع وهذه المهام المتعددة ، ويحتاج الى مال يغدق في سخاء للحصول على الوثائق والكتب وغير ذلك مما يصور حياتنا الفكرية والاجتماعية في ماضي مصر وحاضرها

وأملي وطيد في ان تقدر الامة والحكومة معاً ضرورة هذه العناية الواجبة

***

٢ — يقال ان المتعلمين المصريين اليوم اقل اقبالاً على القراءة الجدية من غيرهم في الامم الاخرى فما هو رأيكم في هذا القول . وما هي أهم الفوارق بين الشباب المثقف الآن ، والشاب المصري الذي كان يعيش قبل ربع قرن ؟

— دلت خبرتي على ان اكثر الشباب المحدثين في مصر ، وفي غيرها ، يميلون الى القراءات السهلة البسيطة ، ويغرمون بالمجلات والصحف الماجنة

ولعلّ بعض اصحاب الصحف انفسهم كانوا عاملاً كبيراً في ذلك لرأيهم على استغلال حب الفكاهة الغريزي في الانسان ومحاولة تحويل الآراء والافكار الى فكاهات . وعلى ذلك قد تعوّد الشاب الحاضر قلة الصبر عند القراءات الجدية

اما في مصر فأظن ان علماءنا وكتابنا لم يوفقوا توفيقاً كبيراً في جذب الجمهور المثقف الى المستوى المنشود من التعمق ، وكم كنت اتمنى ان يكثر عدد الكتّاب الذين تتوفر فيهم الدقة في الكتابة ، والقوة في التفكير الشخصي ، وحسن البيان

وانى ألاحظ ان كتّاب الجيل الماضي الذين قضوا وأذكر على سبيل التمثيل : قاسم امين ، ومحمد عبده ، وفرح انطون ، وشميل ، واليازجي ، وصرّوف ، والبستاني ، وزيدان ، والكواكبي ، واحمد فارس ، والخضري ، وحفني ناصف ، والسيد البكري ، وابراهيم المويلحي ، ومحمد المويلحي ، وحمزة فتح الله ، وحسن توفيق ، وغيرهم رحمهم الله ، كانوا اساتذة لجيل جادّ من الشبان ، لم يلههم زخرف الحياة الاجتماعية من سينما ورياضة وحياة سياسية موزعة ، عن التوفر

على القراءة والدرس الجدي، فنتج عن استاذية هؤلاء الكتّاب جيل هو الذي يعيش اليوم متجاوزاً مرحلة الشباب وهذا الجيل يشرف على جيل جديد لم يستقر قراره الثقافي بعد ولم يتجه وجهة معقولة . ففريق منهُ يؤمن بالغرب ايماناً شديداً ، ويزع الى التجديد دون احتياط ، وفريق يؤمن بالقديم ويود ان يفنى فيه . . .

واني أرى ان أولئك، وهؤلاء .. اي انصار الغرب بكل ما فيه ، وانصار القديم بكل ما فيه ، يسرفون على أنفسهم وعلى من يتصل بهم . فمن العسير ، بل من المستحيل أن تتحول البيئة المصرية الى بيئة اوربية ، تتجاهل ماضيها الثقافي . ومن المستحيل ايضاً ان تعيش مصر في ثقافة القديم الذي طواه الزمن . .

اما ما هو الطريق الذي ينبغي ان يُسلك ، وان يكون قبلة للجيل الجديد ، فهذا ما لا سبيل الى وصفه او تحديده الآن تحديداً دقيقاً . لأن الحالة وحدها هي التي تشقهُ . . . والحاجات الاجتماعية للأمة هي التي تمده . على اني ارجو ان يكون للجيل الناشيء من أبنائنا ثقافة تغذيها الطرافة والابتكار القائم على الشعور بالشخصية وعلى النقد الصادق والتقدير الصحيح لكل ما في الثقافتين القديمة والحديثة من شرّ او خير

ثم اني بعد ما قدمت أعود الى دار الكتب وأقول انهُ من حق الخدمات العلمية الخالصة التي تطمح الدار في تحقيقها أن توفر لها ولرجالها الادوات اللازمة ، والجوّ المهيأ باعداد الامكنة التي تصلح لايواء القراء والباحثين ، وتيسير سبيل البحث لهم

ولا نريد ، اذا ما سرنا شوطاً بعيداً ، في تحقيق هذه الغايات ، ان تكون العاصمة وحدها هي مستقر هذه الجهود الثقيفية ، بل نطمح في ان يسري نشاط الدار الكبرى من القاهرة الى الاقاليم ، فتصل من حياتها حياة في المكتبات الاقليمية تخدم قضية الثقافة العامة ، وتحبب هؤلاء الساكنين بالمدن الصغيرة في القراءة . وقد ييسر هذا توحيد الاشراف على دور الكتب وربط بعضها ببعض

***

وانهُ ليروقني على ذكر نشر المكتبات وحسن الاشراف على مهامها ان أوجه النظر الى ان اتجاه التربية الحديثة في البلاد التي تقدمتنا يشعر بالعناية بأمر التثقيف والتعليم عن طريق المكتبات وأظن انهُ سيكون لهذا السبيل شأنه في المستقبل القريب. ولذلك لا أغالي اذا كنت ألح في طلب العناية بأمر المكتبات عناية تظهر في حسن الاشراف وحسن تخير الكتب وتيسير ما يحدث أثراً صالحاً في القراءة الراقية وهو ما نصل لهُ الآن بدار الكتب بعناية الله تعالى ومعونة أولي الامر

دار العلوم

حضرة صاحب العزة مرقص بك
ناظر مدرسة دار العلوم

الأسئلة

١ — نريد معرفة ملخص سريع عن تاريخ دار العلوم العليا منذ نشأتها حتى الآن ، مع بيان تعدد طلابها ، ومتخرجيها

٢ — هل اتصل معهدكم بمعاهد الدراسات الشرقية في الشرق والغرب ، وما هو نوع هذا الاتصال

٣ — ما هو سر التضال بين الأزهر والجامعة المصرية ودار العلوم ، وإلام ينتهي ؟

٤ — ما هي النتائج العلمية والأدبية التي وصل اليها معهدكم خلال دراساته الطويلة ؟

***

تلك هي الأسئلة التي وجهها اليناه المقتطف ، ونحن نشكر لهُ في شخص محرره عنايته بتدوين تاريخ المعاهد العالية المصرية ، وما أشد حاجة الناس اليها في هذا الوقت ، وهي فكرة جيدة .

ولعلّ أهم الأسئلة بعد السؤال الأول — هو السؤال الرابع ، وما كان أغنانا عن الخوض فيه لبداهته ، لولا رغبة المحرر في انسجام المواد التي سبق نشرها عن المعاهد الأخرى بالمجلة وها نحن أولاء نذكر شيئاً عن الأسئلة الأربعة

— ١ —

« دار العلوم » اسم أطلقهُ المرحوم علي مبارك باشا مدير « ديوان المدارس » في عهد المغفور لهُ الخديو اسماعيل باشا سنة ١٨٧١ على المدرج « الانفيلاد » بسراي دوب الجامع الذي كان يحتفل فيه بالامتحانات السنوية أمام سمو الخديوي أو نائبه ترغيباً في طلب العلم وتنشيطاً للمتعلمين إذ ذاك

رأى — رحمهُ الله — أن يشغل هذا المدرّج بقية أيام السنة بالقاء دروس عالية عامة على طلبة الفرق العالية بمدارس الهندسة والحقوق والمساحة

ولنظراً لما تجدد من المكاتب الأهلية « المدارس » وحاجتها الى معلمين ذوي كفاية للقيام بوظائفهم — فكّر في تأليف فرقة منتخبة من طلبة الأزهر الشريف يعيَّن لهم مدرسون للتدريس في هذا المكان المسمى « دار العلوم »

ويقال أن الغرض الذي رمى اليه المرحوم علي مبارك باشا من إنشاء دار العلوم والعناية بها ، هو تقريب مسافة الخلف بين معلمي اللغة العربية في المدارس وهم من الازهر الشريف ، وزملائهم من مدرسي الجغرافيا والكيمياء وغيرها

فأراد أن يتزوّد الفريق الأول من العلوم الكونية بما يبعده عن الغفلة والتحرج في العقائد ، وبما يساعده على أداء مهمته ومزاولة عمله على الوجه المرضي ، وقد تمّ له ما أراد

وصار العمل بذلك سنة ١٨٧٢ حيث انتخب من الطلبة اثنين وثلاثين طالباً شكلت المدرسة منهم ومن خمسة من المدرسين كان من بينهم ثلاثة من مشهوري علماء الازهر الشريف . ووضعت المدرسة تحت ملاحظة المرحوم حامد نايزي افندي وكان معاوناً بدار الكتب المجاورة لدار العلوم

وبذلك تكون دار العلوم أول مدرسة مصرية أنشئت لتخريج المعلمين

لم يكن للمدرسة يوم انشائها مكان إلاّ تلك الردهة المدرّجة التي كانت تسمى « دار العلوم » وبقيت بها حتى انقسمت الى فصول دراسية سنة ١٨٧٤ فنقلت الى الجانب الجنوبي من سراي درب الجماميز ثم نقلت من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٣ الى درب الجنينة ثم عادت الى درب الجماميز حتى سنة ١٨٩٧

وفي أول اكتوبر سنة ١٨٩٧ نقلت الى بعض حجرات من الجانب الشمالي بمدرسة المبتديان « الناصرية » وكانت في المكان الذي به المدرسة السنية الآن

وفي سنة ١٩٠٠ شيد لها بناء مخصوص من طبقة واحدة في مكانها الحالي من حي المنيرة وكان يحيط به أراض زراعية وبساتين . فنقلت اليه من أول اكتوبر سنة ١٩٠١ وفي سنة ١٩٠٤ بني عليها طبقة ثانية توسيعاً لنطاق أعمال المدرسة، ولما أنشئت تجهيزيتها سنة ١٩٢٠ احتاج الامر الى توسيع بنائها فأضيف اليه جزء عظيم حوى مطعماً ومطبخاً وثلاثة مدرجات في الجزء الشمالي الشرقي خلفها

وقد بقي اسم « دار العلوم » علماً على تلك المدرسة من وقت افتتاحها حتى أول مارس سنة ١٨٩٥ حيث سميت « مدرسة المعلمين الناصرية » وأسندت إدارتها الى حضرة امين بك « باشا » سامي واستمرت بهذا الاسم حتى سنة ١٩٢٠ وهي السنة التي أنشئت فيها التجهيزية فعاد اليها الاسم القديم « دار العلوم »

وقد أخذت المدرسة تسير في طريق الرقي الطبيعي حتى وصلت الى ما هي عليه الآن ، إذ أصبحت تضم بين جدرانها من الطلاب ٤٥٧ طالباً ومن المدرسين ٣٨ مدرساً ولها ناظر ووكيل وضابطان وكاتبان

وقد بلغ عدد المتخرجين فيها حتى آخر العام الماضي ٢٤٣٥ منهم ١٤٣ تخرجوا في سنة ٣٥ — ٣٦

اما المواد الدراسية فكانت دعامتها العلوم الشرعية والعلوم العربية وفنون الأدب وعلوم التربية مع بعض المواد الضرورية لتثقيف المعلم كالعلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية مضافاً اليها لغة أجنبية « التركية او الفرنسية او الانجليزية » وكان تعليم اللغة الاجنبية أحياناً اختيارياً وآونة إجبارياً . وقد حذفت الرياضة منها بعد انشاء التجهيزية واضيفت اليها اللغات السامية

واما الاساتذة الذين تولوا تدريس المواد المختلفة فكانوا من أشهر اقطاب العلم والادب في مصر، نذكر منهم الفيلسوف الكبير المغفور له الشيخ حسن الطويل والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والاديب المعروف الشيخ حسين المرصفي والمفتي الشهير الشيخ حمزه فتح الله والاستاذ اسماعيل بك رأفت في التاريخ والجغرافيا . الخ الخ . وجميعهم أساتذتها الآن ممن تخرجوا فيها

وقد ابتدع اختيار طلابها من طلبة الأزهر الشريف بامتحان يعقد لهم عند الدخول ، حتى انشئت تجهيزية دار العلوم سنة ١٩٢٠ لتغذيتها ، وحصلت أول فرقة منها على شهادة الدراسة الثانوية « قسم ثان » سنة ١٩٢٤ فكونت القسم العالي من السنة المكتبية ١٩٢٤ — ١٩٢٥

واستمر العمل على ذلك حتى بدء السنة الدراسية الحاضرة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ حيث أتيح لحملة الشهادة الثانوية بالجامعة الازهرية ان يلتحقوا بها . وذلك بعد الغاء التجهيزية للمرة الاخيرة سنة ١٩٣٥

ومما تجب الاشارة اليه ان فريقاً من أتموا الدراسة بمدرسة القضاء الشرعي طلبوا ان يدخلوا امتحان « دار العلوم » للحصول على « المعادلة » في العلوم التي لم يدرسوها فقبل طلبهم وادوا الامتحان سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٦ وما بعدها كما ان كثيراً من طلبة المدرسة المذكورة قد ألحق بالدار بنظام خاص

وفي سنة ١٩٢٤ انشىء بالمدرسة قسم مؤقت من حاملي طلبة الازهر الشريف بجانب الاقسام الأخرى بالمدرسة

ومما يجدر ذكره انهُ يوجد الآن بين طلاب المدرسة نحو ٥٠ طالباً من الاقطار الاسلامية المختلفة يعنى بالأشراف عليهم أستاذ من أساتذة الدار

وقد حصل على اجازة التدريس في السنوات الثلاث الأخيرة من هؤلاء الطلبة ٢٦ طالباً منهم عشرة فلسطينيون ، وسوري، وأردني ، وحضرمي ، وستة عراقيون ، وسومطريتان ، وملايوي ، وطرابلسي ، وتونسي ، ومراكشي

هذا وتزمع الدار ان تسن للدراسة خطة جديدة تساير النهضة القائمة الآن وترمي الى توسيع افق الطلبة في الثقافة العلمية وتوجيههم في الفرق النهائية الى التخصص في اللغة العربية

وعلوم التربية ، ويكون أساس هذه الخطة جعل مدة الدراسة خمس سنوات بدلاً من اربع مع العناية بدراسة لغة أجنبية دراسة اجبارية

— ٢ —

قد كان لهذا المعهد اتصال بأشهر معاهد الدراسات الشرقية في اوربا بمن كان يختار من خريجيه لتدريس اللغة العربية في تلك المعاهد نذكر منها جامعات اكسفورد وكمبردج ومانشستر، ومدارس اللغات الشرقية ببرلين ولندن وباريس الخ الخ

وقد اتصل هؤلاء الاساتذة بالمستشرقين هناك وكان من نتائج ذلك ان نقلوا اليّا بعض أساليب هؤلاء المستشرقين في مباحثهم ، وبخاصة تأليف الادب العربي وتدريسه

وأول من نقل الى العالم العربي بعض هذه الاساليب المغفور له حسن توفيق العدل افندي وكان منتدباً لتدريس اللغة العربية بجامعة برلين ، فنقل طريقة الاستاذ بروكلمان في تأليف الأدب العربي عصراً عصراً ، بالطريقة التي يدرس بها الآن ، وله الفضل الاول في سن هذه الطريقة على جميع أساتذة الادب العربي . وهو ايضاً أول من ألف في تاريخ الادب على هذا النحو . وقد درس كتابه في مدرسة دار العلوم ، وسار على سنته استاذ الادب العربي في الدار المرحوم الشيخ محمد المهدي والشيخ احمد علي الاسكندري ومن جاراهما

وكان لاتصال خريجي الدار بالمعاهد الاوربية ، وبكبار المربين في اوربا ، أثر آخر في فنون التربية ، من هؤلاء المرحومون محمد فساد بك ، والشيخ شاويش بك ، وحسن توفيق افندي وغيرهم ، ممن نقلوا الى اللغة العربية كتباً في فنون التربية المختلفة تعتبر أساساً لنهضة هذه العلوم الآن

— ٣ —

اما سر الاتصال القائم الآن بين دار العلوم والازهر وكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فهو ما يظهر لنا في إبان هذه النهضة الحديثة ، من الرغبة في تفوق كل معهد من هذه المعاهد على غيره ، والمزاحمة في الحياة الفكرية والعملية ، مع ما هنالك من ضيق المجال في الحصول على وسائل العيش ، واحتلال المكان الاول في قيادة النهضة الادبية . وهذا النضال نضال شريف ، يبشر بحياة جدية علمية أدبية سيتولاها بلا شك النابغون من خريجي هذه المعاهد

وسينتهي هذا النضال بأن يثبت في الميدان المعهد الجدير بالبقاء ، لمآثره وإنتاجه العقلي ، ورسوخ قدمه ، وطول بلائه في اداء رسالته « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

— ٤ —

لا ينكر أحد ما لدار العلوم من الآثار والانتاج في مناحي الحياة الادبية والعلمية في مصر والشرق العربي ومن أهم ذلك ما يأتي : —

١ — قام خريجي دار العلوم بأعباء تدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية ونشر الثقافة العربية في معاهد التعليم على اختلاف طبقاتها زهاء ستين عاماً ، فهي التي نهضت بتعليم اللغة قواعدها وأدبها وهذبت نواحي كثيرة من الكتابة ولغة التخاطب ، وقضت على اللهجات العامية والالفاظ الدخيلة التي كانت مسيطرة على ألسنة الكتّاب والخطباء في كل ناحية من نواحي الحياة العقلية ، وهيأت الكتاب في الصحف اليومية والمجلات الادبية والقضاة والمحامين ورجال النيابة وغيرهم لأن يعبروا عن أغراضهم بعبارات عربية فصيحة او قريبة من الفصيحة ، وثقفت عقول التلاميذ والطلاب حتى اصبحت أحاديثهم العامية معطرة بفصيح الكلام العربي . ولولا أساتذة اللغة العربية الذين بذلوا جهودهم وحياتهم في القيام بهذا الواجب لما وصل آدباؤنا وعلماؤنا وسائر المشتغلين بالعلوم والفنون منا الى ما وصلوا اليه من اجادة التأليف والترجمة

٢ — قد اشترك خريجو هذه المدرسة في القيام بنشر الثقافة الادبية وتدريس فنون اللغة في المعاهد الكبرى كالجامعة الازهرية والجامعة المصرية ولا يزالون إلى الآن عماد التدريس في هاتين الجامعتين واليهم يرجع في كل ما يحتاج اليه من مساعدة في نشر الثقافة العربية وبخاصة الأدب

٣ — شغل كثير من خريجي دار العلوم المراكز المختلفة في مصالح الحكومة وغيرها ، فكان منهم القضاة الأهليون والمحامون المبرزون في القضاء الأهلي والشرعي والمدرسون لعلوم الشريعة المبتكرون لأساليب التدريس الحديث في الفقه الاسلامي بمعهدي الحقوق والقضاء الشرعي ، ولا ينكر احد فضل المغفور له الشيخ محمد زيد بك استاذ القضاة في المحاكم الاهلية . وكتبه تعدّ في مقدمة المؤلفات الحديثة التي سهلت طرق تدريس الشريعة الاسلامية . كما لا ينكر احد فضل الاساتذة الاجلاء محمد سلامه بك واحمد ابي الفتح بك والشيخ احمد ابراهيم بك في تدريس الشريعة ووضع المؤلفات النفيسة فيها

٤ — أما الانتاج العقلي في المؤلفات والمباحث العلمية والادبية عدا ما تقدم فكثير جداً ولهذه الانتاج إحدى خصائص ثلاث

الاولى : أنهُ أول إنتاج في اللغة العربية في مواد لم تكن معروفة :

ومن أمثلته : كتب المرحوم حسن توفيق في الادب والتربية

وكتاب المرحوم محمد نصار بك في التربية وعلم النفس
وكتب المرحوم الشيخ شاويش بك في التربية
الثانية : تيسير تناول بعض انواع العلوم بوضعها في اسلوب حديث يلائم روح العصر والحاجة القائمة
ومن أمثلته :
كتب القواعد للمدارس الابتدائية والثانوية للاساتذة حفني بك ناصف ورفقائه . وتعتبر هذه الكتب أول خطوة نحو تيسير تناول القواعد واستساغتها لتلاميذ المدارس وطلابها . وقد تلتها كتب أخرى حديثة قوامها خريجو « دار العلوم »
وكتابا شذا العرف في علم الصرف وزهر الربيع في علوم البلاغة للمرحوم الشيخ احمد الحلاوي
وكتب المنطق والاصول للمرحوم سلطان بك محمد
وللاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري أثر جليل في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب في فلسفة الشريعة الاسلامية
وللخضري بك مؤلف قيم في تاريخ التشريع الاسلامي
وكتب الادب العربي للاستاذ الكبير الشيخ احمد الاسكندري وكتب فقه اللغة لهُ أيضاً
وفقه اللغة المصور للاستاذ محمد عبد الجواد من أساتذة الدار
ودار العلوم أول من وضع منهجاً لدراسة فقه اللغة في مصر
الثالثة : وصل النظريات الحديثة بالمذاهب القديمة في بعض العلوم كما فعل المرحوم الشيخ شريف بك في كتابه علم النفس ، وكما فعل الاستاذان احمد عبده خير الدين ومحمد حسنين عبد الرازق في كتب المنطق ، ولهما الفضل في وصل المنطق الحديث بالمنطق القديم
وللدكتور احمد ضيف كتاب « بلاغة العرب في الاندلس » وهو مثال للتفكير الادبي الحديث الناضج . وهو أول من قرن الادب العربي بالادب الغربي في تأليفه وتدريسه

***

أما إذا ذكر الشعر فان « دار العلوم » غنية فيه برجالها . وان من أبنائها من يعتبر في طليعة الشعراء وناشري فنون الشعر قديمها وحديثها ، من هؤلاء المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب شاعر البادية والاستاذ علي الجارم بك وكثير غيرهم من أساتذة الدار وطلابها

معهد التربية

حضرة افندي سامي مسعود بك

ناظر معهد التربية

في الصيف سافرت الى انجلترا للاشتراك في مؤتمر التربية الدولي ، ومشاهدة المباحث المتعددة التي تعمل فيها شعبه المختلفة. وقد عدت من انجلترا وانا مقتنع كل الاقتناع بأن معهد التربية المصري لا يقل في مستواه عن ارقى المعاهد المناظرة له في العالم . وسنرى عند ما نبسط نظام معهدنا ؛ أنهُ يسير في جل نظمه وفق آخر ما وصل اليهِ علماء التربية في مؤتمرهم الاخير

تنقسم الدراسات في معهدنا إلى قسمين : ابتدائي ، وثانوي . ويلحق بالاول منهما الطلاب الحاصلون على شهادة الدراسة الثانوية ، ويلحق بالثاني الطلاب الحاصلون على درجة بكالوريوس في الآداب او العلوم . وليس الحصول على هذه الاجازات العلمية هو الشرط الوحيد للانتظام في المعهد ، بل هنا امتحانان يجتازهما الطالب اولهما الكشف على الصحة العامة كشفاً دقيقاً ، وثانيهما ما نسميه امتحان الهيئة ، تتولى فيهِ لجنة مكونة من ناظر المعهد ووكيله واستاذ التربية الطبية واستاذ التربية الاجتماعية واحد مدرسي العلوم واحد مدرسي الآداب ، اختبار المستوى الفكري العام للطلبة المتقدمين ، ومحاولة تقدير عنصر الشخصية في كل منهم . ويتسع معهدنا الآن لمائة وسبعين طالباً ، يقضي طلاب القسم الابتدائي ثلاث سنوات قبل تخرجهم ، ويقضي طلاب القسم الثاني سنتين. وقد وجدت في انجلترا ان حاملي شهادة البكالوريوس يقضون عاماً على الاقل في المعهد. اما طلاب القسم الابتدائي فان مرحلة دراستهم تستمر أربعة اعوام . ونحن نرجو ان نصل . اما في اسكتلندا ، فهم هناك يختارون المدرس الثانوي من حائزي اجازة الماجستير على الاقل ، ويمكثون في المعهد عاماً ونصف عام للدرس ويرضون تحت التمرين مدة نصف سنة

يدخل الطلاب معهدنا ، لا لنحشو أذهانهم بالعلوم النظرية ، والدراسات المعقدة في الكتب ، بل لنكوّن منهم رجال اجتماع قبل كل شيء ، يعتمد الفرد في معلوماته على تجاربهِ ومشاهداته الخاصة ، ليكمل بها ما يقرؤهُ في الكتب . . فهو يمارس الرياضة البدنية على أوسع نطاق ، يلعب كرة القدم والهوكي وكرة السلة والبادمنتون وألعاب القوى ويسبح ويجدف ويغرم بالألعاب السويدية . ولا تفرض هذه الألعاب على الطلاب فرضاً ، بل يأخذ منها كل طالب ما يوافق تكوينه الجسمي ، اذ الغاية منها القيام بتمرينات علاجية Corrective exercises ، تصلح عيوب البدن ، وتقوّم نواحيهِ الضعيفة . ويعد ظهر الاثنين من كل أسبوع ينقلب المعهد إلى ملعب كبير تجري فيهِ أنواع التمرينات والمباريات على أحدث الطرق

ثم اننا نعنى عناية كبيرة بالحياة الكشفية فلدينا ١٣٠ جوّالاً من ١٧٠ هو عدد طلاب المعهد

وإلى جانب الرياضة البدنية والعناية بها ، تمهد للطالب السبيل لتكوين ثقافته الاجتماعية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالطفولة . فهو يزور مثلاً مستشفى المجاذيب ومراكز رعاية الطفل وإصلاحية الاحداث ، ويقف على نظمها ويدوّن مشاهداته وخواطره . . وهو يزور معالم البلاد الصناعية والتاريخية والعمرانية . لاننا لا نجيز أن يقوم مدرس بالتحدث لطلابه عن قناة السويس ، وهو لم ير طول حياته قناة السويس ، او يشهد الموانىء والمنارات . ويعمد الطلبة عقب كل رحلة من رحلاتهم إلى الاطلاع — بقدر استطاعتهم — على ما كتب في موضوع رحلتهم من كتب او تقارير ، ثم يدونون خلاصة دقيقة لما رأوا وما علموا ، وما لاحظوا . .

ومن هنا نرى أن « شخصية » المدرس هي أهم ما نعنى بإبرازه في طلابنا . ونحن نقوم الآن — مثلاً — بدراسة قانون نظام المدارس الحالي وهو قانون قديم يرجع الى اول هذا القرن ، ونضع دستور المدرسة الحديثة مسترشدين بتجاربنا ، وبآخر ما وصلت اليه النظم الاوربية في هذه الناحية . وبعد أن نظهر في طالبنا « شخصية المدرس » التي ذكرنا ، نوجه كل قوته إلى حب الطفولة لكي يطبق عليها دراساته في رضى واقبال . فالطفل عندنا مقدم على المادة . والطفل هو الذي يكيف نظرية التربية ، لا النظرية هي التي تكيف الطفل . ولهذا فنحن ندرس علم النفس التجريبي دراسة عميقة . ونضيف اليه مادة جديدة هي مقاييس الذكاء . وقد تمكنا خلال السنوات الخمس الماضية من اجراء مباحث ممهدة في هذه الناحية ، وطبقناها على آلاف التلاميذ في جميع مراحل الدراسة ، وحصلنا بعد مجهود متواصل على مقاييس دقيقة تصلح لكل سن

وكان توزيع التلاميذ في الفصول يجري قديماً بحسب ترتيب الحروف الابجدية فيجلس التلميذ الموهوب بجانب التلميذ ، ويجلس الشاذ بجانب الغبي . ويؤدي هذا النظام الى الهبوط بمستوى المدرس الى درجة توافق الضعيف ، فتكون النتيجة ان يسيء التلميذ الموهوب اول الامر يدرسه ، فيهمل ، فيؤذى ويعاقب ، فيفقد الثقة بنفسه ، وبذا تنطفىء لمعة ذكائه

اما الآن ، وبعد ان اوجدنا النظم التي نتمكن بها من تقسيم الاطفال بحسب استعدادهم العقلي ، فقد استطعنا ان نوزعهم طوائف متقاربة تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ، وتلقن كل طائفة من العلم ما يوافقها

وقد تحدثوا في مصر طويلاً عن الشواذ . والحّ الملحون في وجوب عمل شيء من اجلهم . والحقيقة ان الشذوذ في الاطفال يرجع الى ضعف في العقل ، او في الجسم . ومن حق الامة على الدولة ان تعنى بهؤلاء الشواذ . فنظام التعليم الاجباري يقضي بان يتعلم الجميع . ولذا ينبغي ان تكون لدينا مدارس للاعمى والكسيح والأبكم . وان يلقن هؤلاء من العلم ما يوافق حالاتهم ، مع العناية المبكرة بتقديم العلاج لهم ان كان في الاستطاعة علاجهم لان كثيراً من هذه الحالات

تستعصي على النطب لاهمالها . هؤلاء هم الشواذ جسماً . اما شواذ الذكاء فينبغي ان يكون لهم نظام خاص لكي يوجهوا توجيهاً نافعاً ، صوب الناحية العملية دون الحياة النظرية . وكثيراً ، بل غالباً ما تقوى في قليلي الذكاء المقدرة العملية . فاذا اهمل هؤلاء ولم تستغل قواهم فان شذوذهم ينمو ، والشذوذ عادةً هو موطن الاجرام

وقد دعانا هذا الاتجاه الى انشاء العيادة السيكولوجية في المعهد ، ومهمتها البحث في العامل من جميع نواحيه ، ومعرفة نواحي شذوذه ، وهل هي راجعة الى العقل او الحس او الخلق ويبحث القائمون بهذه العيادة مثلاً في بيئة الطفل ، فقد تكون لحياته المنزلية تأثير فيه . فتسعى العيادة الى علاج المنزل نفسه . ولهذا أوجدنا في العيادة ثلاث سيدات يعملن في القسم الاجتماعي من العيادة . ويقوم القسم الطبي في العيادة بفحص الطفل فحصاً دقيقاً ، وسرعة تاريخ امراضه ، وامراض أسرته ، فقد ترجع علته الى وراثة من ابيه او امه ، ثم يقوم المدرس بتفقد نزعات العقل الخلقية ، لمعرفة اتجاهه الفكري وتقدير استعداده . وكثيراً ما وجدنا ان شذوذ اطفال يرجع الى شجار منزلي بين الاب والام . او الى وفاة او طلاق احد الابوين او الى معاملة الخدم ، او الى نوع الغذاء او ترتيب المنزل

وفي القسم التجريبي من معهدنا الذي يلحق به الاطفال ، وتسمح لنا وزارة المعارف بأن نطبق نظرياتنا عليهم ، تتجلى فائدة هذه النظم بقوة ووضوح . وقد اكتسبت تجارب العاملين في العيادة السيكولوجية ، حتى ليمكن ان نقول انها تشبهُ في مقدرتها رجالها وسيداتها ارقى العيادات العالمية وان كان ينقصها الكثير من الاستعداد العملي

وسأذكر لك على سبيل المثال حالة من الحالات الكثيرة التي مرت علينا في هذا الباب . لأحد كبار المصريين ابن ، ظل يتقدم لامتحان الشهادة الابتدائية ثلاث سنوات متعاقبة وهو يرسب وقد فصل من مدرسته ، وأبت المدرسة قبوله بحسب قانون المدارس ، فأشير على الاب بارساله إلينا فجاءنا الولد ، وقضاء في عيادتنا ، وبعد ان عرفنا السبب في تأخيره ، تولياه بالعلاج ، ثم تقدم الغلام للامتحان في العام الماضي ، فكان أول الناجحين من تلاميذ فصولنا التجريبية

وإذن فمعهدنا يقوم في عمله على الاسس الآتية :

اولاً — العناية بالجسم . ثانياً — العناية بالثقافة العامة . ثالثاً — الرحلات والمشاهدات . رابعاً — المكتبة . خامساً — علوم التربية واهمها علم النفس ، والتربية التجريبية ومنها مقاييس الذكاء . والتربية العملية وتاريخ التربية . وستدخل مادة جديدة هامة في برامجنا وهي التربية المقارنة Comparative Education . وقد تخرج في معهدنا حتى الآن ٩٤ مدرساً ثانوياً ، و١٢٣ مدرساً ابتدائياً . ولكن مما يؤسف أن المجال في تطبيق دراساتهم لا يزال ضيقاً ، لان المدارس تتبع الطرق القديمة . ولكن تبدو قوة تخرجنا في جميع نواحي النشاط الاجتماعي اينما وجدوا

منذ نحو ثلاثين الى اربعين الف سنة كان البحر المتوسط بطائح شاسعة وحراجاً وبحيرات وبواري . وكانت حيوانات غرس البرّي والموث والجاموس تجوسها قطعاناً وارجالاً . وكان انسان الكهف في ذلك العصر — كروماغنون — طويل القامة كبير الدماغ يصيدها بحبائله البارعة ويذبحها بأدوات مصنوعة من الصوّان ، فيصنع من جلودها أردية ، ويتخذ من لحمها غذاء ، ويدوّن انتصاراته عليها في رسوم ينقشها على جدران كهوفه

ثم بعد عشرين الف سنة ، تركت قبائل الازيل وصف حياتها ومعيشتها منقوشة على جدران الكهف المعروف بكهف « ماس دازيل » . كان الجاموس والموث قد ارتدّا الى الشمال ، فصرفت قبائل الازيل همها الى قنص قطعان الفرس البري المتناقصة وارجال الأيائل ، بالقوس والنشاب . وكانوا يخبطون جلودها بإبر من العظم ، ويصيدون السمك في البحيرات والانهار بصنّارات من العظم ايضاً ، ويدخنون خلايا النحل لكي يفوزوا بعسلها . وكان انسان البحر المتوسط قد تعلّم قبل هذا العهد الملاحة فجعل يطفو على بحيرات مملكته الواسعة ، في زوارق مصنوعة من القصب ومغطاة بالجلود ، وكان قد تعلّم اختلاف الفصول فجعل يقنص ويصيد ويبذر في الفصول الملائمة لذلك

ثم من نحو خمسة عشر الف سنة الى اثني عشر الف سنة انشقّ الحائل القائم عند اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) والفاصل بين منطقة البحر المتوسط والمحيط الاطلنطي ، فتدفقت مياه المحيط شرقاً وغمرت البطائح التي كان الموث يجوسها ، والمراعي التي كان الفرس البرّي يعيش على عشبها . ومضت المياهُ في تدفقها وامتدادها ، حتى وقفت عند جبال الاطلس والبرانقاد واسناد الالب والبرينيه وسفوح الانبين وسلسلة طورس العظيمة . فنشأت عن ذلك شواطىء اليونان

---

(١) صدر من نحو شهرين كتاب انكليزي عنوانه « البحر الخطر : او البحر المتوسط ومستقبله » للكاتب السياسي الانكليزي جورج سلوكومب ونشرته دار هلشنصن . وقد استخلصنا هذا المقال من فصله الاول

المسنة ، وقدم ايطاليا . غمرت المياه بلاداً تكثر فيها الآكام في منطقة محر ايجه فلم يبق من الآكام الا قممها وهي جزائر الارخيل وعجزت عن ان تغمر جبالاً اخرى ممتدة من الغرب الى الشرق فكانت كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطة وكريت وقبرص . وكذلك حددت هذه الامواه المتدفقة جانباً حدود القارات الثلاث اوربا وافريقية واسيا

وقد شواطىء هذا البحر المتوسط بين ثلاثة قارات ان تصبح ، منشأً ومقرًّا لطائفة من اشهر الحضارات في التاريخ المدوَّن ، زهت هنا وعظمت ثم دالت دولاتها ودرست معالمها ، ولم يبق منها الا بعض الآثار الحجية . ان اقدمها متغلغل في حجوف الزمان ، بدأت تستعرضه الكتابات المسمارية في الواح الطين في بلاد الرافدين وأحدثها كائنة من بنات الانس الغابر على الرغم من التي سنة تفصلنا عنه

الى شواطىء هذا البحر المتوسط ، توافدت جماعات من الغزاة فأنشأت دولة اثر دولة في مصر ، وامبراطورية اثر امبراطورية في بابل وتبرى . فلما حكم حمورابي في بابل كان الفينيقيون الساميون ، قد رسخوا اقدامهم في صور وصيدا وغيرها من الثغور التجارية العظيمة على سواحل هذا البحر الشرقية . كانت سفنهم بأشرعتها القرمزية ، قد عمرته طولاً وعرضاً . بل كان الفينيقيون قد انشأوا مستعمرات في اسبانيا وبلاد الغال وعلى شاطىء افريقيا الشمالي أسسوا المدينة التي اصبحت فيما بعد عاصمة لامبراطورية قرطاجنة . ثم اجتازوا بأشرعتهم اعمدة هرقل واتجهوا شمالاً محاذين شواطىء اسبانيا وفرنسا الى سواحل بريطانيا . وقبل ان ينقل البحارة اليونانيون والجنود الرومانيون اصول الحضارة الى سواحل هذا البحر الغربية ، كان الفينيقيون قد باعوا سكان تلك السواحل عطوراً وخموراً وأدويه ، لقاء نحاس أسبانيا وقصدير كورنوال (مقاطعة بريطانيا الجنوبية)[1]

وليس في التاريخ ، أدلة أقوى على زوال الامبراطوريات ، وعدم استقرار الحضارة ، من الادلة التي يستخرجها الباحث في تاريخ البحر المتوسط . لقد شهدت مياهُ هذا البحر ، الحضارة الايجية العظيمة وقد بلغت ذروتها وأوج مجدها في ميسيني وطروادة وفي كنسوس عاصمة الدولة المينوية في كريت حوالي ٢٥٠٠ ق . م . ثم جاء اليونان الآريون فدمّروها . وشهدت كذلك مفاخر الحضارة المصرية ترتفع وتنخفض ثم ترتفع وتنخفض ثانية . هوذا طوائف الغزاة من قلب آسيا ، تؤسس في بلاد الرافدين حضارة عظيمة الشأن ثم لا تلبث ان تبلى بطائفة اخرى من الغزاة تتلها على امرها ، فتدمّر ما بنت ثم تقيم على الانقاض حضارة جديدة . فالامبراطورية الاشورية العظيمة ، امتد سلطانها وعظمت شوكتها حتى استطاعت ان تطرد من مصر غزاتها الاثيوبيين ،

(١) حدثنا بعض من اتيحت لنا مجالستهم في انكلترا ، اصيف الماضي في انكلترا ، ان بعض النباتات الخاصة بمقاطعة كورنوال لا تزال تحمل في تضاعيفها اسماءها بعض الاصول الفينيقية

ولكن لم تلبث حتى سقطت امام جوع الماديين والفرس. هوذا فجر بركليس وعصره يبلج على اثينا ولكن اسكندر ذي القرنين يشيد امبراطوريته على انقاض الجمهوريات اليونانية. لقد امتدت الامبراطوريات التي أسست على شواطىء هذا البحر الى المحيط الاطلنطي غرباً، والمحيط الهندي شرقاً. ان مرافئه كثيراً ما ازدحمت بالقائم والاسلاب من افريقية وآسيا. ومن موانيه المحتشدة، أقلعت السفن الاولى التي دارت حول رأس الرجاء الصالح، وشقت الطريق الى العالم الجديد. ان تأثير احدث حضاراته القديمة — اي الحضارة اليونانية والرومانية — لا يزال ماثلاً في علمنا وفننا وقانوننا الى يومنا هذا

ولا ننسى ان شواطىء هذا البحر شهدت قيام اعظم ديانتين في تاريخ العالم، ديانة السيد المسيح، وديانة النبي الكريم، بل كثيراً ما كانت سواحله ميداناً للنزاع بينهما، وكأن الزمان قد وقف عن السير، منتظراً ما يستقر عنه هذا النزاع

***

ان اعظم المعارك البحرية في التاريخ نشبت حتى أوائل القرن العشرين، في مياه البحر المتوسط أو في جوارها. ففي سنة ٤٨٠ ق. م. هزم اسطول زركسيس في خليج سلاميس على ايدي اليونان. وفي السنة التالية أجهز هؤلاء على البقية الباقية منه في ميكالي ولم تنقض اربع سنوات حتى قلب اسطول الاتركيين على اليونان في صقلية. بل أن النزاع الطويل بين دويلات اليونان وهو المعروف باسم حرب البلوبونيس (٤٣١ — ٤٠٤ ق.م) كان في الغالب نزاعاً غرضه النزاع السيادة البحرية من الاسطول الاثيني. وما اهل نجم الاسكندر ذي القرنين، وبدأ سيره الظافر شرقاً حتى وجد في مناوأة اساطيل صور وصيداء، خصماً قوياً اخر زحفه على جيوش داريوس الفارسي. فلما بدأ النزاع بين قرطاجنة وروما، وقد كانتا دولتين بحريتين، احتشد التاريخ البحري للبحر المتوسط، بالحوادث الجسام والمعارك الكبيرة. ففي سنة ٣١ ق.م. نشبت اعظم معركة بحرية في العالم القديم هي معركة اكتيوم. وفي المياه نفسها، عند خليج ليبانتو نشبت اعظم معركة بحرية في العصور المتوسطة (معركة ليبانتو سنة ١٥٧١) وقد ظلت هذه المعركة البحرية اعظم المعارك البحرية في النهاية عشر قرناً من التاريخ المسيحي حتى كانت معركة الطرف الاغر في مستهل القرن التاسع عشر

فقد تبدد حلم نابليون بانشاء امبراطورية شرقية عظيمة كسحابة صيف، لانه لم يملك أعنة القوة البحرية في البحر المتوسط. ان انتصارات الاميرال نلسن بالهارة، حتمت قرناً كانت فيه مياه هذا البحر، مسرحاً للقرصان. ولم تر مياه البحر المتوسط معركة بحرية بعد ان نشبت معركة نافارين التي غلبت فيها اساطيل تركيا ومصر، سنة ١٨٢٧، الى ان كانت سنة ١٩١٤ اذ اقفلت الطرادان الالمانيان

غوبين رسلو من اساطيل الحلفاء وحاولتا ان تتحدّى سيادتها عليه

ليس في العالم رقعة من الماء تشبه البحر المتوسط او تقاربهُ في عدد الشعوب المتصلة بتاريخه. ان فجر يبلج اليوم، كما كان يبلج في العصور الغوابر، على العربي واليوناني، اليهودي والمصري، الايطالي والصقلي، الاسباني والتركي والفرنسي. ان الرجال والنساء الذين يعيشون على سواحله يكادون يؤلفون طرازاً خاصًّا من الناس، لاشتراكهم في بيئة واحدة وغذاء متماثل واعمال ومصالح متشابهة، ولاختلاط دمائهم بعضهم ببعض خلال عصور طويلة

***

جذب البحر المتوسط الغزاة اليه منذ فجر التاريخ، القوط والفاندال من الشمال، والهون من الشرق، والفالين والفرنك والتورس من الغرب والشمال الاقصى. ولولا فترة قصيرة استولى فيها الانيويون على وادي النيل، لقلنا ان الزنوج وحدهم دون سائر الشعوب امتنعوا عن الانقياد لبحره. منذ فجر التاريخ شقّت مياههُ مجاذيفُ شعوب استقرّت في تركيا وطبيعة بيئتها بواعث الهجرة وحب المغامرة كالفينيقيين واليونان والقرطاجنيين. وقد كان الاتجاه في التجارة والهجرة حتى القرن الماضي، الى الغرب. ولذلك كان مضيق جبل طارق، وهو باب البحار القديم الى المحيط الاطلنطي، هدفاً للمغامرين في ايام اليونان والرومان. فبلدان غال وايبيريا (اسبانيا) وسواحل افريقية من قرطاجنة الى المحيط، اغرت الشعوب المزدحمة في شرق البحر، بخصبها وغناها وسعتها

ثم ان مسالك التجارة والادارة والمواصلات الامبراطورية، اتجهت في امبراطوريتي الاسكندر واغسطس شرقاً وغرباً. ولكن في خلال القرون المظلمة التي تلت سقوط روما وبزنطة، اتجه مركز السيادة في البحر المتوسط الى سواحله الشرقية. فبعدأن اتخذت الامبراطورية العثمانية القسطنطينية (الاستانة: استانبول) عاصمة لها، جعلتها مركزاً، سيرت منهُ الحملات فاكتسحت مصر وفارس والجزيرة وشمال افريقية الى المحيط الاطلنطي. فأصبحت تونس، وهي قرطاجنة القديمة، والجزائر وطنجة ولايات تابعة للسلاطين. وأصبح البحر بحر قرطان. وحاول الصليبيون بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ان يردّوا موجة التوسع العثماني المتجهة من الشرق الى الغرب ولكنهم عبثاً حاولوا. ولم ينحصر ضعف الدول المسيحية المفرقة المتعادية في البر، بل شمل البحر كذلك. ففرسان مار يوحنا الاورشليمي، خذلوا امام العثمانيين. وإخلوا عكاء ثم رودس. ولم تبق قبرص في ايدي البندقيين الا بعد تسليم البندقية للعثمانيين بكثير مما يطلبون

وكذلك كانت الدولة العثمانية في ايام سليمان القانوني، قوة بحرية لا تبارى من سواحل

سوريا الى شواطىء اسبانيا . وحاول الامبراطور شارل الخامس ان يخرج القرصان من تونس والجزائر ، فرتد خائباً من الجزائر بعد ان اقام في تونس حامية استسلمت للخصم في ملك ابنه فيليب . اما جزيرة مالطة التي تراجع اليها فرسان مار يوحنا الاورشليمي ، فحوصرت حصاراً طويلاً . وكذلك ظلت سيادة العثمانيين البحرية على البحر المتوسط ، الى أواسط القرن السادس عشر ، عند ما نشبت معركة ليبانتو ، ففازت فيها أساطيل أسبانيا

***

ولو شاءت أسبانيا حينئذٍ او لو عرفت ان تغتنم الفرصة ، لكانت السيادة في البحر المتوسط لها . ولكن امراء البحر الاسبانيين ، كانوا شديدي الاشتغال ، بعد معركة ليبانتو ، بحماية السفن المحملة بكنوز جزائر الهند ، والسفن القافلة للجنود الى هولندة الاسبانية ، والسفن التجارية الآتية من هولندا الى أسبانيا . وشغلهم علاوة على ذلك عزمهم على مناوأة بحارة الملكة اليزابث بعد ان وجدوا البحر مسرحاً لما في نفوسهم من حب المغامرة والتوسع . كذلك حال الاستعداد للحملة العظيمة التي رغب فيليب الثاني ملك أسبانيا في تجريدها على انكلترا ، دون التفاته الى البحر المتوسط . فاستغرقت كل تفكيره ، واستنفدت معظم ماله ، فكان البحر الذي يفصل شواطىء أسبانيا وايطاليا ، ويؤمن مواصلاته الى جنوى ونابولي وصقلية كان خارجاً عن نطاق تصوره الحربي ، او نطاق مطامعه الواسعة . لم يكفه ما ورثه عن والده من سيطرة وألقاب وضحى بثمار الانتصارات التي أحرزها أخوه «الدون جون» في البحر المتوسط ، لانه كان يطمح الى السيطرة سيطرة روحية وعسكرية على شمال اوربا

ولكن هزيمة اسطوله في تلك المعركة البحرية العظيمة عند شواطىء هولنده ، في سنة ١٥٨٨ عند ما اشتبك اسطوله بأسطول الملكة اليزابث الانكليزية في معركة الارمادا الاسبانية المشهورة ، بدد هذا الحلم الجميل . ثم تلا ذلك تدمير البقية الباقية من اسطوله على شواطىء اسكتلندا وارلندا الجافية ، فأصبحت أعظم دولة بحرية في البحر المتوسط في ذلك العهد ، وهي لا تستطيع ان تشق عبابه بسفنها خشية القرصان ، مع ان ذلك البحر كان في قبضتها لو شاءت

ثم جاء قرنان على هذا البحر ، والسيادة فيه ليست لدولة من الدول . ذلك ان قوة الدولة العثمانية كانت قد ضعفت ومعها قوة البندقية ، وأصبح البحر مسرحاً للقرصان وظل كذلك الى خاتمة القرن الثامن عشر ، عند ما ظهر أثر القوة البحرية الانكليزية في تأمين مواصلاته ، ولكن الاسطول الانكليزي لم تتم له السيادة على هذا البحر ، الا بعد ما غلب نابوليون على أمره ، وقد ظلت له هذه السيادة الى عصرنا الحاضر ، ولولا تحدي ايطاليا له في أواخر سنة ١٩٣٥ لقلنا انها لا تزال له الى يومنا هذا

الكهارب الموجبة

او البوزيترونات

وجائزة نوبل الطبيعية

منحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٦ للاستاذين هس النمسوي واندرسن الاميركي . والسر في الجمع بينهما وتقسيم الجائزة عليهما ان مباحث الاول افضت بالثاني الى الكشف عن دقيقة من الدقائق الكهربائية الاساسية في الطبيعة وهي الكهرب الموجب أو البوزيترون . فالاستاذ هس رائد الباحثين في الاشعة الكونية عالجها قبل الحرب الكبرى ، ثم توفر عليها بعدها فريق من الباحثين في مقدمتهم العالمان ملكن وكمتن الاميركيان . وكان اندرسن يساعد ملكن في أحد مباحثه فوقع على صورة قيّس فيها شيئاً إدقّ ، فأدرك مغزاهُ في الحال وتابع البحث فيه الى ان أسفر ذلك الشيء الادقُّ عن الكهرب الموجب

كان السائد حتى سنة ١٩٣٣ عندما اكتشف البوزيترون ان الدقائق الاساسية في المادة أو في تركيب المادة الكهربائي ، هي الكهارب وشحنها سالبة والبروتونات وشحنها موجبة . وكان الرأي ان شحنة الكهرب تعادل شحنة البروتون ولكن كتلة البروتون تفوق كتلة الكهرب نحو ١٨٠٠ ضعف . وعلى ذلك كانت الذرّة مركّبة من كهارب وبروتونات ، فنواة الذرّة قوامها مجموعة من الكهارب والبروتونات في كتلة مركّزة وحولها كهارب متحركة . ثم كشف عن دقيقة أخرى دعيت النترون أي المحايد Neutron وقيل انها مؤلفة من كهرب واحد وبروتون واحد ، فشحنة الواحد تبطل عمل الشحنة القابلة في الآخر لان الاولى سالبة والثانية موجبة ، وكذلك يتاح لهذه الدقيقة ان تخترق المواد لانها لا تخضع لفعل المجال الكهربائي

في سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث Bothe وبكر Becker يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسدّدة الى تلك اللوحة تصيب بعض نوى البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ . فظنّ بوث وبكر ان هذا الاشعاع من

قبيل اشعة غما التي تخرج من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقوة اختراق. وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو الفرنسي وزوجته (كريمة مدام كوري) بتجارب من قبيل تجارب العالمين الالمانيين فوضعا حوائل من مواد مختلفة بين البريليوم الذي تنطلق منهُ هذه الاشعة وغرفة التأين (Ionization Chamber وهي اداة تستعمل لقياس قوة الاشعة بعدد ما تحدثهُ في غاز معيّن من الايونات او الشوارد كما دعيت) فوجدا انهُ اذا كان الحائل من مادة فيها غاز الايدروجين كمادة البرافين زاد عدد الايونات المتولد في غرفة التأين وهو غير منتظر بل المنتظر ان يحجب هذا الحائل بعض الاشعة الصادرة من معدن البريليوم . ويعلّل هذا الفعل بان الاشعة الصادرة من البريليوم تصيب بعض ذرّات الايدروجين في البرافين فتطلق بروتوناتها بسرعة ١٨ الف ميل في الثانية . فحسبا انهُ اذا كانت اشعة البريليوم امواجاً فطاقتها يجب ان تكون ٥٠ مليون « الكترون فولط »

هنا ظاهرة عجيبة تحير الدهشة لان المواد المشعة لانطلق دقائق لها طاقة تزيد على ستة ملايين « الكترون فولط » . اي ان البريليوم يطلق اشعة تفوق طاقتها عشرة اضعاف طاقة الاشعة المسدَّدة اليه . وهذا غريب ! نفرض جوليو وزوجتهُ ان هذه الاشعة المنطلقة من البريليوم امواج ، وانها في قصرها وشدة نفوذها تقع بين اشعة غما التي تخرج من الراديوم وبين الاشعة الكونية

وقرأ شديد الانكليزي عن هذه التجارب ، فعمد الى انابيب قديمة من الراديوم كانت قد اهديت اليه بعدَ ما فقد الراديوم فيها خواصهُ المحيية ، فاستخرج منها عنصر البولونيوم وهو يختلف عن الراديوم في انهُ لا يطلق الاّ دقائق الفا حالة ان الراديوم يطلق مع دقائق الفا دقائق بيتا واشعة غما . وكان يعلم ان طاقة دقائق الفا ٥ ملايين « الكترون فولط » . وليس معها دقائق اخرى تشوش الانتاج . فاذا كانت هذه الدقائق تستطيع ان تقذف من البريليوم اشعة طاقتها ٥٠ مليون « الكترون فولط » فهو امام ظاهرة عجيبة جديرة بالبحث حرية بالعناء في سبيل فهمها وتفسيرها

اطلق شديد دقائق الفا من عنصر البولونيوم على البريليوم ، ووضع وراء لوحة البريليوم حائلاً من البرافين ، فكانت الاشعة المنطلقة من البريليوم على البرافين عنيفة كل العنف ، قاسها في غرفة التأين فوجدها تحدث ٣٠ الف ايون . هنا توقف شديد وقال : لو كانت مقذوفات البريليوم التي اصابت البرافين اشعة من طاقة ٥٠ الف « الكترون فولط » لما استطاعت ان تحدث هذا العدد من الايونات بحسب القواعد المسلّم بها . بل لما استطاعت ان تحدث اكثر من ١٠ آلاف ايون . ولكن اذا فرض ان مقذوفات البريليوم هي دقائق مادية كتلتها ككتلة

البروتون وتسير بسرعة تعدل عُشْر سرعة الضوء فاحدثها ٣٠ الف ايون في غرفة التأيين يصبح امراً مستحيلاً . ثم اذا فرض ان هذه الدقائق متعادلة الكهربائية ولا تتأثر بالمجذب فصدقذر يمكن تعليل قوة اختراقها المواد على اوفى وجه

وكذلك كشف النترون او « المحايد » وكان الورد رذرفورد قد تنبأ به قبل عشر سنوات

اما الكهرب الموجب فله قصة اخرى . ذلك ان الاستاذ كارل د. اندرسن Anderson كان يبحث في الاشعة الكونية . والاشعة الكونية شديدة النفوذ تخترق لوحاً سمكهُ بضع اقدام من الرصاص . ولكنها تعمي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة . ولذلك يعمدون الى فعلها في دقائق الهواء . ذلك ان هذه الاشعة تصيب بعض دقائق الهواء فتؤينها (اي تزيل جانباً منها فيصبح الباقي ولهُ شحنة كهربائية) وفي سنة ١٩٢٩ حاول العالم الروسي سكوبلزن Skobelzyn ان يصوّر مسارات الاشعة في غرفة غائمة [1] وتبعهُ ملكن واندرسن فحسّنا الطريقة واتقناها وصوّرا بها مسارات الاشعة الكونية كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة . في هذه الصور لاحظ اندرسن ان مسارات الاشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية . فاسترعى نظرهُ اولاً ان هذه الخطوط المنحنية لا تكون الا ازواجاً . وثانياً ان احدها منحرف الى اليمين والآخر الى اليسار . اي ان احدها سالب والآخر موجب . وتبيّن عند البحث ان الخط السالب المنحني انما هو الكترون . ولكن لم يستطع احد ان يعلّل الخط الموجب . ذلك ان اصغر وحدة للكهربائية الموجبة عرفت حتى ذلك الوقت ، انما كانت البروتون . وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً . فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافهُ اعظم جداً من هذا الخط البادي في الصورة

فقال اندرسن في نفسه ، ان البروتون ليس صنو الالكترون بل ان صنوه دقيقة أخرى أصغر من البروتون كتلتها مثل كتلة الالكترون وشحنتها موجبة بدلاً من ان تكون سالبة . ودعا هذه الدقيقة البوزيترون . ثم توالت التجارب فأيدت اكتشاف اندرسن واشهرها التجارب التي قام بها بلاكِت وأوكيالني في كمبردج

وقد اختلف العلماء في تسمية هذه الدقيقة فقال بعضهم ان لفظ بوزيترون قد يشوّش الذهن الا اذا تخلينا عن لفظ الكترون وسميناه نغاترون حتى يقابل بوزيترون تماماً . ونحن نستطيع ان نتغلب على هذه الصعوبة فنسميها الكهرب الموجب (البوزيترون) والكهرب السالب (الالكترون)

(١) الغرفة الغائمة طريقة ابتدعها العالم الانكليزي ولسن تمكن الباحثين من تبين مسارات الدقائق التي لا يمكن ان نرى بما تكونه من قطيرات الماء في الطريق الذي تسلكه

مذاهب الفلسفة الرئيسية

للطبيب موسى

الفلسفة عبارة عن اسمى ما وصل اليه العقل البشري من الآراء والافكار في البحث عن حقائق الكون وازاحة الستار عن اسرار الوجود وانا اذا التفتنا الى درجة المعارف والعلوم التي استطاع الانسان بلوغها الى اليوم نجد انهُ قد جاء حقًّا بالعجائب المدهشات فما هي هذه الفترة اليسيرة من الزمن منذ فجر تاريخ العلم والفلسفة الى يومنا الحاضر بالقياس الى الادوار التي سوف يمرّ عليها في مستقبل الايام

وفي الفلسفة كما في أيٍّ من العلوم والفنون مذاهب متباينة ان لم تكن متناقضة وقد نشأت فيها المذاهب منذ اول عهد الفلسفة اليونانية وكان اولها ما يتعلق بمادة الكون الاصلية العامة التي ذهب اول فلاسفتهم طاليس الى انها الماء . واعتقدها غيره الهواء . وذهب هرقليط الى ان النار مصدر العناصر . اما امبدوكليس فزعم ان المادة الاصلية لا توجد الاّ مركبة من العناصر الاربعة معاً وهي التراب والماء والهواء والنار . ثم ما لبث ان أضاف اليها عنصراً آخر الاّ انهُ غير مادي زعم انهُ الحب وهو القوة المحركة الكامنة وراء العناصر المذكورة كلها . وان اضافة هذا العنصر الروحي الى العناصر الاخرى يعد خطوة كبيرة في عالم الفلسفة

ثم كان مذهب التغير والثبوت . وهما موضوع حوار عنيف قام بين المدرسة الايونية صاحبة مذهب التغير والمدرسة الايلياتية القائلة بمبدأ الثبوت . وموضوع الحوار هو : هل مبدأ الوجود ثابت او متغير . وكان القول الفصل في ذلك للوسيبوس وديمقراط مؤسسي مذهب الذرات . وقام بعدهم اهل السفسطة والجدل يحاولون هدم حصون المعرفة وتقويض اركانها . وقد كان يخشى كثيراً على دعائم الفلسفة ان تهدّم لولا ان قام الفيلسوف سقراط يناضل عنها نضالاً شديداً حتى ردّ الخصوم على أعقابهم وشيد مبادىء الفلسفة وعلم الاخلاق على أسس ثابتة ودعائم متينة لا تزال تذكرها لهُ الاجيال بكل اعجاب واطراء . ثم كان مذهب افلاطون المثلي يقابلهُ من

الجهة الثانية مذهب ارسطاطاليس العقلي — المادي . وقد كان افلاطون يزعم ان الوجود الحقيقي هو لعالم العقل او الصور العقلية فقط وما عالم المادة الا تابع لا شأن لهُ . فمذهب ارسطاطاليس الى ان الصورة والمادة مما شيئان متلازمان لا ينفصلان ولا يستقل احدهما عن الآخر . فعالم المحسوس اي الذي يتركب من الصورة والمادة هو العالم الحقيقي لا العالم العقلي وحدهُ كما زعم افلاطون . هذا ولا يجهل انسان مادار من المناقشات الخطيرة بين الرواقيين والابقوريين مما لا يزال لهُ صدى كبير واثر يمتد الى يومنا هذا ولكل من هذين المذهبين انصارهُ ومؤيدوه في كل عصر

بيد أن هذه المذاهب جميعها لما كانت لا تستند الى حقائق علمية ثابتة اذ لم يكن حينذاك ما يسمى علماً بالمعنى الصحيح ظلت متقلقلة مضطربة لا يعول عليها . لذلك نرى أن مذاهب الفلسفة لم تتخذ صفة ثابتة راهنة الى ان كان العصر الذي توالت فيهِ الاكتشافات والحقائق العلمية الراسخة وذلك في اواسط القرن السابع عشر فما بعدهُ ومن هذا العهد يبتدىء دور الفلسفة الحديثة او دور التجديد الفلسفي

اما مسائل الفلسفة التي أخذت تشغل عقول ارباب الفلسفة في الدور الحديث فعديدة اهمها مسألة الوجود المطلق . ومادة الكون الاصلية . والعالم الخارجي . ومنشأ العقل وماهيتهُ . ومصدر المعرفة . وحرية الارادة . والقوة الادبية او الضمير وما شاكل . والفلاسفة في هذه المسائل فرق وطوائف فمنهم اصحاب المذهب العقلي (Rationalism) مثل ديكارت ولينتز وسبينوزا وكانت . وهم الذين يقولون ان مصدر المعرفة العقل . يقابلهم من الجانب الآخر اصحاب المذهب الحسي (Sensationalism) وهم الذين يزعمون ان الحس اصل كل معرفة ولا يمكن ان تحصل معرفة الا عن طريق الحواس . وقد أدى هذا الاختلاف النظري في اصل المعرفة الى نظريات وآراء متباينة كل التباين في الادوار الفلسفية التالية . وهناك اصحاب المذهب التصوري (Idealism) اي الذين يقولون أن العالم الحقيقي هو غير العالم الذي تدركهُ الحواس فالحواس لا تدرك الا بعض ظواهر المادة واوصافها فقط أما . المادة نفسها فلا سبيل مطلقاً الى معرفتها ومن هؤلاء كانت وهيوم وهملتن وسبنسر وميل وغيرهم . يقابلهم من الجهة الاخرى اصحاب مذهب الشعور او الحس المشترك (Common-sense School) ويذهب هؤلاء الى ان العالم الحقيقي هو ما شهدت بهِ الحواس واتفق عموم البشر عليهِ كما دلت عليهِ البديهة ولا سبيل الى نكرانهِ . وزعيم هذه المدرسة هو الفيلسوف الاسكتلندي توماس ريد وتابعهُ في ذلك الفلاسفة اسوالد وستيورت ومكوش . ومنهم من يرى في القوة سر الوجود بل غاية الوجود وزعيم هذا الرأي هو الفيلسوف نيتشه ولكن اتباعهُ من اهل الفلسفة قليلون . وهنالك من يعتقد ان حقيقة

الاشياء فائدتها العملية — (Pragmatism)فالفكرة التي تقترن بالنجاح وتؤدي الى المنفعة والخير هي الفكرة الحقيقية ومن هؤلاء يتشه ووليم جيمس وديوي الفيلسوفان الاميركيان . وديوي هو صاحب التأليف المشهور في « المدرسة والاجتماع » . وهناك مذاهب وآراء متنوعة غير ما ذكر . غير ان الغرض من هذا المقال هو الاشارة الى المذاهب الرئيسية في الفلسفة . على اني سأتناول البحث في اهم هذه المذاهب وأشهرها وهما اللذان يدوران حول هاتين المسألتين أصل المعرفة والعالم الخارجي

١ — مصدر المعرفة

اختلفت آراء الفلاسفة منذ القديم في مصدر المعرفة وهل هو العقل ام الحواس وقد انقسم الفلاسفة في ذلك الى فريقين كبيرين فريق يرى العقل مصدر المعرفة ومبدأها وهم اصحاب المذهب العقلي وفريق يزعم الحواس مبعث المعرفة وسبيل الادراك الوحيد ولا سبيل سواه وهؤلاء هم اصحاب المذهب الحسي . فني مقدمة الفريق الاول الفلاسفة سبينوزا وديكارت وليبنز وكانت . اما زعماء المذهب الحسي فهم لوك وهيس وهيوم . وانهُ وان كان هذا المذهب يرجع في اصل نشأته الى عهد فلاسفة اليونان فان مؤسسهُ بالفعل ونقاً للحقائق العلمية الراسخة هو الفيلسوف الانكليزي جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) وذلك حين وضع كتابهُ المشهور «الادراك البشري » الذي أحدث حركة عظيمة في عالم الفلسفة . وقد أبان فيه لوك كيفية حصول الادراك بواسطة الحواس فقط . وهو يرد كل نوع من انواع المعرفة الى الحس البسيط المجرد مؤيداً ادلتهُ بالحقائق العلمية السيكولوجية . ولكن لم يكد ينتشر كتابهُ هذا حتى قام عدد من اصحاب المذهب العقلي يفندون آراءه وينقضون الأسس التي شيد عليها نظرياته ومقدماته

ماذا يقول لوك ؟ يقول ان عقل الانسان عند الولادة يكون عبارة عن صفحة نقية خالية من كل أثر الا انها قابلة التأثر بأي مؤثر خارجي كان او داخلي . وما العقل الا تلك القوة على المقابلة بين الاحساسات المتواردة على الذهن والموازنة بينها او حفظها من حين الى آخر (الذاكرة) ثم انهُ من هذه الخاصية او قابلية الموازنة والمقابلة يتولد الفكر وبواسطة الفكر يستطيع الانسان ان يركب او يحلل ما شاء من تلك الاحساسات المتوالية بغير انقطاع على صفحة الذهن . فكل انواع المعرفة بسيطة كانت ام مركبة تنشأ طبعاً من هذا الاحساس البسيط المجرد . اما ما يدعيه العقليون من وجود اصول اولية في العقل تمكنهُ من ادراك المدركات فانا اذا امعنا النظر قليلاً نجد ان هذه التي يراها العقليون اصولاً يمكن ردها الى أوليات بسيطة مفردة . فلنأخذ مثلاً قوة التعليل وهي احدى اصول العقليين . كيف تنشأ هذه القوة فينا ؟ انا اذا دققنا النظر نجد

انها تعود في الاصل الى مشاهدتنا للحوادث والاشياء الطبيعية مراراً وتكراراً . ولكون هذه الحوادث تتبع سنناً ونواميس ثابتة لا تتغير فانها تجرد من تلك الحوادث الفردية قواعد ومبادىء عامة تتناول تلك الاشياء كلها وتصدق عليها جملة . وهذه القوة على تجريد القواعد العامة تتخيلها فينا قوة على التحليل والاستنتاج وهي في الحقيقة الا نتيجة مشاهدات فردية بسيطة في أول الامر . وعلى هذا النحو يحاول لوك هدم معتقد العقليين في الغرائز والاصول العقلية . فلنر ماذا يقول العقليون :

يقول العقليون انهُ لامر حقيقي ان مبادىء المعرفة تبتدىء باحساسات الحواس ولكن ما قيمة هذه الاحساسات والمؤثرات المتوالية على الحواس بغير قاعدة او نظام ان لم يكن هنالك ما يجمع او يفرق بينها ويرد كلاً منها الى الاصل التي وردت عنهُ . وبالجملة يقيم من تلك الاحساسات المضطربة المختلفة وحدة كاملة صحيحة متسقة . وما أشبه العقل واحساسات الحواس في ذلك بالبناء ومواد البناء . ما قيمة هذه المواد المتفرقة المتنوعة ان لم يكن هنالك بنّاء ماهر يتناولها واحدة واحدة ويجمعها بعضها الى بعض ويرصفها رصفاً منتظماً صحيحاً . ان العقل الانساني لا يمكن ان يكون تلك الاداة الجامدة التي لا وظيفة لها الا اقتبال المؤثرات وانطباعها عليها . بل ان العقل هو تلك القوة الحية الفعالة التي تتناول احساسات الحواس فتبين ماهيتها وتضبط انواعها وتركبها او تحللها وفقاً لمبادىء واصول فطرية فيه غير مكتسبة من الخارج . وان من هذه الاصول او القوى قوة التحليل والتجريد والاستقراء وما شاكل وهذه هي وسائل العقل لحصول المعرفة حتى في أبسط انواعها وبغير ذلك لا يمكن حصول اي معرفة او ادراك . وان لكل من اصحاب الرأي الحسّي والعقلي أدلة وبراهين لا يتسع المجال لذكرها هنا فمن شاء الوقوف عليها فليراجع مقالنا في مجلة الكلية (المجلد ١٤ العدد ٦) تحت عنوان « المذهب الحسي ازاء المذهب العقلي » يجد تفصيلاً وافياً بالمراد

٢ — العالم الخارجي والمذهب التصوري

لم تشغل مسألة من المسائل عقول أهل الفلسفة كما شغلتهُ مسألة العالم الخارجي ومدار البحث فيها هو هل هذا الوجود الخارجي الذي تمثلهُ لنا الحواس هو عين الوجود في الخارج وهل الحقيقة التي يستخلصها العقل عن الاشياء بواسطة الحواس تطبق تماماً على حقيقة هذه الاشياء كما هي في الخارج . ان الفلاسفة في ذلك فريقان فريق يرى ان الوجود هو ما شهدت به الحواس وشاعت معرفتهُ بين عموم البشر وهؤلاء هم فلاسفة الشعور والحس المشترك على ما تقدم . وفريق يرى انهُ يستحيل ادراك الحقيقة بالذات بل ببعض ظواهرها ومجالها أما الحقيقة نفسها فمحجوبة

ابدأ عنا وهؤلاء هم المعروفون باصحاب المذهب التصوري . اما رأي الفريق الاول فواضح لا يحتاج الى بيان خاص واما الثاني فلا بد من كلمة توضح وجهة النظر فيه

يعزى منشأ الرأي التصوري في الدور القديم للفيلسوف افلاطون. فقد كان من مبادئه اننا لا نستطيع ادراك الحقيقة بالذات او معرفتها تماماً كما هي في الخارج ولكننا ندرك ما يشبه منها ظلالها وخيالاتها . ولافلاطون في هذا الصدد تمثيل جميل يوضح المراد من المبدإ التصوري انما لا يتسع المجال لذكره هنا . بيد انهُ لما كان الرأي الافلاطوني هذا لا يستند الى اساس علمي او حقيقة سيكولوجية واضحة فان هذا المذهب لم يتخذ دوراً جدياً الاَّ في عهد الفلسفة الحديثة وقد نشأ بنشوء الرأي الحسي كما وضعهُ الفيلسوف لوك وبياناً لذلك نقول :

قد كان من مبادىء لوك انهُ قسم صفات الاشياء الى قسمين الاول الصفات الاصلية المختصة بالمادة والملازمة لها غير قابلة الانفصال عنها وقد سماها الصفات الاولية كالصلابة والامتداد والصورة والحركة والجمود وما شاكل . والثاني الصفات التي ليست مستقرة في الاشياء نفسها بل ما يجب ان يكون قوى او خاصيات في الصفات الاولية من شأنها احداث هذه التأثيرات في الحواس كالالوان والاصوات واحساسات الذوق وما شاكل . وقد دعاها لوك الصفات الثانوية . فالصفات الاولية هي خاصيات ذاتية مستقرة في نفس الاشياء المادية . اما الثانية فليست سوى ادراكات حسية حاصلة داخل النفس لا اشياء خارجة عنها وبعبارة اخرى ان الاولى مادية خارجية والاخرى نفسية باطنية. وقد تناول هذا المبدأ الفيلسوف بركلي الانكليزي (١٦٨٥ — ١٧٥٣) فخطا فيه خطوة واسعة وفاجأ العالم بفكرته الغريبة المدهشة التي احدثت دوياً هائلاً في عالم الفلسفة وهي قولهُ : اذا كان الامر كما يقول لوك ان بعض خاصيات المادة التي يدعوها ثانوية كالالوان والاصوات وغيرها ليست الاَّ مجرد تأثرات عقلية وادراكات نفسية داخلية لا اشياء خارجية في الاشياء ذاتها فاذا يمنع ان تكون بقية الخاصيات كالاشكال والانتقال والحركة والامتداد وغيرها من الصفات الاولية ايضاً ادراكات وصوراً عقلية لا اشياء خارجية كما نتوهم بل نعتقد

ومحصل رأي الفيلسوف بركلي هذا هو ان غاية ما نستطيع ان نجزم به هو توالي الاحساسات على مشاعرنا والتأثيرات التي نعتقد انها ناشئة فينا عن امور واشياء خارجة عنا . اما اذا كان هنالك اشياء خارجية تنشأ عنها هذه الاحساسات فهذا ما لا يمكننا الجزم به اصلاً فقد يجوز ان يكون هنالك اشياء باعثة على الحس وقد لا يكون

وواضح ان رأي بركلي هذا هو نوع من التطرف في المذهب ولكن كان لهُ تأثير عظيم في تعزيز المبدأ الروحي كما هو ظاهر . اما المتعارف عند اصحاب هذا الرأي فهو غير ذلك. ولعل رأي الفيلسوف كانت هو أقربها الى حقيقة المذهب وخلاصتهُ انهُ لا مندوحة لنا من الاعتراف

بوجود الاشياء في الخارج ولكننا لا نستطيع ان ندرك منها سوى بعض ظواهرها فقط (Phenomena) اما حقيقة الاشياء وماهيتها فذلك ما لا نرجو الوصول الى معرفته البتة وذلك لسببين الاول لان القوى العقلية فينا محدودة لا تستطيع ادراك جميع أوصاف المادة وخاصياتها كما يغلب الظن . والثاني لان العقل باضافة بعض الاجزاء العقلية الخاصة فيه كما تقدم كثيرة التحليل والتجريد وما شاكل قد يبعدنا عن الحقيقة ويجعلنا نتصور ما لا حقيقة له في الخارج او ما تختلف حقيقتهُ عن الحقيقة المائلة لاذهاننا . لذلك فان كانت فصل بين الشيء كما يبدو للحواس وبين الشيء في ذاته او حقيقته وقد سمى هذا الاخير الشيء بالذات Thing-in-itself تمييزاً لهُ عن الشيء كما يظهر للحواس . وقال ان غاية ما تستطيعهُ من حيث المعرفة هو ادراك ظواهر الاشياء فقط اما الحقيقة فستظل محجوبة عنا الى الابد

يتضح مما تقدَّم ان المذهب التصوري ليس ما يعتقده البعض من ان الوجود المادي ليس الاَّ مجرد تخيلات وتصورات عقلية كما يشير اليه لفظ هذه الكلمة Idealism او ظواهر لا تستند الى أشياء محسوسة وجودية . بل ان معرفتنا الاشياء تقتصر على هذه الظواهر فقط كما يصورها لنا العقل . اما حقيقة الاشياء وماهيتها فهي ما لا سبيل لنا الى معرفته بأي الوسائل والطرق وهذه الحقيقة قد أقرها معظم فلاسفة القرن التاسع عشر وفي مقدمتهم كونت وسبنسر ومل وغيرهم وقد سمى سبنسر هذه الحقيقة المحجوبة المجهول (Unknowable) اي الذي لا سبيل لمعرفته

وانا لندهش ويأخذنا العجب لدى اطلاعنا على هذه الافكار والمبادىء الغريبة التي يقرها أساطين الفلسفة ويؤيدونها بالأدلة العقلية ولكننا اذا تأملنا قليلاً بالحجاب والأسرار الكامنة التي تحيط بهذه الحقائق ذهب الكثير من عجبنا ودهشتنا . فنحن اذا أخذنا أبسط هذه الاشياء العقلية كالحس مثلاً أقلا لعجب من كيفية حصول ذلك فينا ؟ ان الباعث او المحرك للاحساس مثلاً مهما تقلَّب وتحوَّل في طريقه الى الدماغ فهو غير الاحساس الناشيء عن ذلك الباعث ولا يمكننا ان نكتشف اي علاقة او شبه علاقة بين المؤثر والاحساس . ففي عمل الابصار مثلاً ان المؤثر هو حركة موجية في الاثير اما النتيجة فهي رؤية شيء خارجي ذي لون وشكل واضح وفي مكان محدود . فأي علاقة او شبه علاقة بين المحرك والاحساس الذي قام في الدماغ . كذلك ان الفرق بين اللونين الاحمر والأخضر انما هو في عدد الموجات في الثانية اما النتيجة الحسية فهي الفرق الجسيم بين هذين اللونين فهل من سبيل لنا لكيفية ذلك تعليلاً فلسفيًّا .

لذلك فان منشأ حيرة أهل الفلسفة والعلم هو هذا البون العظيم الكائن منذ الأزل بين العقلي والمادي . بين البواعث او المؤثرات المادية والنتائج العقلية على نحو ما تقدَّم . ففي قضية العالم الخارجي مثلاً يهمنا ان نعلم العلم اليقين هل ادراكنا لهذا العالم والصورة الحاصلة في أذهاننا عنهُ

ينطبق تماماً على الحقيقة الخارجية . ألا يجوز ان تكون هذه الاشياء الخارجية والتي نحسها أشياء محسوسة خارجة عنا هي في الحل الأخير صوراً عقلية لا حقيقة لها في الخارج او ان تكون الحقيقة الداخلية تختلف عن الخارجية

***

ثم ان مسألتي الزمان والمكان والأسباب والمسببات [1] ألا يمكن ان تكون هاتان من وضع العقل كما زعم الفيلسوف الالماني كانت يخلعها العقل على أشياء وحوادث هذا الوجود ويستخدمها كوسائل لربط الحوادث والاشياء الطبيعية بعضها ببعض . وفوق ذلك ما أدركنا ان هذا العالم الذي يبدو لحواسنا ووجداننا كنظام جمال وروعة ونظام تام ليس في الحقيقة الا عالم تشويش واضطراب كما تبدو كسر الزجاج الصغيرة المبعثرة في الكالدسكوب آية في الدقة والاحكام كاجمل ما نقش النقاش او رسم الرسام وما هي في الحقيقة الا كسر مبعثرة متفرقة هنا وهناك

ان هذه وأمثالها هي من عقد المسائل التي جعلت أهل الفلسفة يتفرقون طرقاً ومذاهب حتى يحار العقل في مدى ذلك الاختلاف ومبلغ ذلك التباين في الآراء والافكار . ولا يفوتنا في هذا الصدد اشارة الى المذهب المادي المشهور فهذا يدخل ضمناً تحت المذهب الحسي وأصحابه يعرفون بالفلاسفة الحسيين وقد كانت لهُ السيادة التامة على كافة المذاهب الأخرى طيلة القرن الثامن عشر وهو عصر فولتير وديدرو وروسو وهيلي ولامتري وكافة الانسيكلوبيديين الافرنسيين وجميعهم من أهل المذهب الحسي وبلغ منتهى الشهرة والسيادة في اواسط القرن التاسع عشر حين وضع بخنر الالماني كتابه في « المادة والقوة » . الا انهُ لم يكتب لهُ ان يعيش طويلاً بعد ذلك . ذلك لان الفكرة الاساسية في المذهب المادي هي الاعتقاد بناموس الضرورة الشامل . اي ان ما هو كائن لا بدَّ ان يكون . فهو كالمبدأ الفلسفي الروحي كلاهما ينافيان حرية الارادة ويجعلان الانسان حكمهُ حكم الاداة اي مجرداً من كل ارادة وحرية — الروحي يجعل الانسان خاضعاً لقوة روحية فائقة خفية لا يستطيع ادراكها تديرهُ كما تشاء وتصرفهُ على ما تشاء . والمادي يجعلهُ عبداً رقاً خاضعاً لاحكام الضرورة العياء . ولما كان الانسان يكره ان يرى نفسهُ عبداً رقاً لاي قوة كانت طبيعية او غير طبيعية فهو يرى أن هذين المذهبين لا ينطبقان على الحقيقة الواقعة ولهذا فلم يعد لها في نظره تلك المكانة التي كانت لها سابقاً

هذه إشارة وجيزة الى أشهر مذاهب الفلسفة بقدر ما استطعت استخلاصهُ من آراء أهل الفلسفة ونظرياتهم وربما عدت الى تفصيل بعضها في فرصة أخرى

---

(١) لهاتين المسألتين مباحث طويلة في كتب الفلسفة لا مجال لتفصيلها هنا

العلم في خدمة الانسانية

الغدد والحياة

— ٢ —

اسرار النمو والشق

ثم جاء بانتنغ بالأنسولين، فرأى فيه ملايين من المصابين بالبول السكري ، مسيحاً جديداً في رداء باحث علمي . ويصف داء « ديابيطس ملتوس » (وهو الاسم العلمي لداء البول السكري) من نحو ألفي سنة بأنهُ « يذيب اللحم فيفرز في البول ». ثم من نحو قرنين ونصف قرن اكتشف أحد الباحثين الالمان انهُ مرتبط بالغدة الحلوة (البنكرياس) . وانقضى قرنان من الزمان قبلما اكتشف لا نغرهانس ان في الحلوة طائفة من الخلايا تختلف عن سائر الخلايا في تلك الغدة . فدعيت هذه الخلايا باسمهِ اذ أطلق عليها « جزيرات لا نغرهانس » . ولكن عملها ظلَّ سراً مكتوماً الى ما بعد الحرب الكبرى . وفي سنة ١٨٨٩ عمد منكوفسكي الى التجارب في الحيوانات ، فاستأصل حلوات الكلاب فأثبت انها تصاب بالداء السكري الذي يصيب الناس . أخذ مقداراً من بول الكلاب ، التي سلبت غددها الحلوة ، وتركه في وعاء في المصل ، ولما تبخر السائل كلهُ بقي في قعر الوعاء مادة جامدة بيضاء . فاتحها أحد مساعديه فوجدها حلوة الطعم فثبت لاول مرة وجود السكر في بول كلاب سلبت غددها الحلوة. ولكن بعضهم يسند الاكتشاف الى نونين Nauun أحد أساتذة الطب في ستراسبورج ورئيس منكوفسكي ، ويروون انهُ لاحظ الذبان يقعُ على بول كلاب سلبت غددها الحلوة، فحاول ان يعرف ما يجذبها فاذا البول فوجدهُ حلواً

وفي خلال هذه السنين ، كان تشريح جثث المتوفين بالسكري ، قد أسفر عن اكتشاف خاص بجزيرات لا نغرهانس . اذ ثبت ، انها أكثر أجزاء الغدة الحلوة تنكساً degeneration فخلص بعض الباحثين الى نتيجة منطقية ، وهي ان خلايا هذه الجزيرات ، تصنع مادة كيميائية تمنع الداء السكري . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الرأي ان عمد الناس الى عمل خلاصة الغدة الحلوة بأساليب مختلفة ، لتعطى شرباً وحقناً للمصابين بالسكري ، ولكن هذا الداء ظلَّ يلقي يديهِ الثقيلتين على الناس ويسير بهم الى القبر

ولكن تقدم علم الكيمياء مكّن الباحثين من قياس مقادير يسيرة من السكر في الدم قبل ان يتصل عن طريق الكليتين بالبول ، وعلى أساس هذه المقاييس تمكنوا من امتحان الخلاصات التي استخرجت من الغدد الحلوة . ومعرفة قوتها وفائدتها . واذ كان هذا البحث جارياً على قدم وساق ، عاد جرّاح كندي من ميدان الحرب العالمية في فرنسا ، الى بلاده — ذلك الجرّاح كان بانتنغ الذي اكتشف الانسولين (١)

ما كاد بانتنغ يتمّ بحثهُ الذي أسفر عن اكتشاف الانسولين ، حتى منح جائزة نوبل الطبية ومعاشاً سنوياً من برلمان كندا قيمتهُ ١٥٠٠ جنيه وانعم عليه بلقبه سر . الا انهُ لم يكن الوحيد الذي عني بهذا البحث ، لانّ غلاي Gley كان قد ترك في سنة ١٩٠٦ ظرفاً مختوماً في جمعية علوم الاحياء الفرنسية ، وفيه مذكرة وصف فيها خلاصة حضّرها من الغدة الحلوة ، كان من شأنها تخفيف اعراض الداء السكري ، في الكلاب . ولكنهُ لم يتابع بحثهُ . وفي سنة ١٩٠٨ صنع زولزر Zoelzer خلاصة كحولية من حطات العجول وعالج بها ستة مصابين بالداء السكّري ، ثم اهمل بحثهُ لما اصيب هؤلاء المرضى بحمّى كان من اعراضها الضعف والاعياء العصبي والجوع العظيم وضعف العقل . ونحن نعلم الآن ان الرجل جرّع مصابيه جرعاً من هذه الخلاصة اكبر مما يستطيعون ان يتحمّلوا . حتى الذين يحقنون بالانسولين يصابون بهذه الاعراض ، ان كان مقدار ما يحقنون به منهُ اكبر مما يجب ان يكون . ولذلك قال مكلود قسيم بانتنغ في جائزة نوبل «ولو ان زولزر جرّب تجارب دقيقة بالحيوانات قبل اقدامه على معالجة المصابين من الناس لكان في الامكان الفوز بالانسولين سنة ١٩٠٨ » . وفي سنة ١٩١١ عمد الباحث سكت في احد معامل شيكاغو الى ربط قنوات الغدد الحلوة في الكلاب ، واذ كاد غصن النصر يلتوي بين يديه ، أخفق في تفسير بعض النتائج التي فاز بها التفسير الصحيح

انها قصة البحث العلمي في جميع العصور — فرصة تتاح لعقل مهيأ لاغتنامها وفهم ما تنطوي عليه ، بما أتيح لهُ من حقائق مستجدّة وأساليب مستحدثة للبحث والتدقيق

تتبع آيل رواية الانسولين من معمله في جامعة جونز هبكنز بشغف عظيم ، ولا سيما لانهُ كان يعرف معرفة شخصية جميع الباحثين في هذا الموضوع من ايام لافرهانس الى يومنا هذا فلما دعاهُ المستر نويز Noyes مدير معامل غايتس الكيميائية بكاليفورنيا ، الى دخول الميدان لبّى الطلب . وكان معهد كارنيجي قد تبرّع بالمال لهذا البحث . فاتجه آيل من البدء الى غرض عظيم وهو تحضير المادة الفعّالة في الانسولين ، نقية من الشوائب . ولكنه لم ينفرد بالبحث حبًّا بالنصر ، اذا تمّ لهُ ، ان ينسب اليه . بل اختار طائفة من الباحثين الشبان ، بينهم الباحث

(١) وفينا نعة اكتشاف الانسولين في كتابنا « اماطين العلم أماطت » فتراجع هناك

غيلنغ Gelling وكان لهم بمثابة القائد المرشد ، لا يستكثر على نفسه ، وهو الباحث المخضرم ، ان يأخذ بآرائهم حيث يجد الرأي على صواب . وكذلك بعد بحث دام سنوات ، تمكن في نوفمبر سنة ١٩٢٥ من أن يقول ، وقد رأى بلورات دقيقة في قمر إنائه ، « هذه البلورات هي بلورات توكسالانسولين » وكان وزنها اربعة اعشار المرام . فامتحنت في الارانب وثبت انها نقية من كل شائبة . ولكنه لم يقف عند هذا ، بل مال الى حلها لمعرفة تركيبها الكيميائي فثبت له أن جزيئها جزيء معقد التركيب من البروتين وعبارته الكيميائية كما يلي : C45 H69 O14 N11 S3 H2O (كربون ٤٥ ايدروجين ٦٩ اوكسجين ١٤ نتروجين ١١ كبريت ٣ ايدروجين ٢ اكسجين)

ومن المعروف الآن ان الانسولين التي يمكن استخلاصه من الغدد الحلوة في البقر والغنم والعجول حتى وبعض الاسماك كذلك

ولكن آبيل لم يخطر له ، مع ما تم على يديه ، ان يلقي الانبوب ويطرح الاناء ، ذلك بان الانسولين ، لم يكن عقاراً حينئذ . فهو مركب غير مستقر ، واذا اخذ شرباً فلقد تفصل فيه عصارات الجسم ، فتحلله وتهوّن الغاية من أخذه . وآبيل يريد ان ينقذ المريض من وخز المحقن ، فقال لعلّ المريض بالسكري لا يحتاج الى كل جزيء الانسولين . فاذا عرفنا كيف تتركب الذرات في الجزيء فلعلنا نستطيع ان نفصل منها ما الاحتياج اليه في علاج السكري . وما خطر له هذا الخاطر حتى اشرق وجهه ، فلم يضيع دقيقة واحدة في تدبير وسائل البحث ، واعداد اسباب التجربة والامتحان ، على الرغم من انه مكسور في حادث اصطدام — ولا يزال آبيل وساعدوه وعشرات من الباحثين في مختبرات تورنتو ولندن واستردام ووشنطن وهيدلبرج يجدّون في البحث وراء هذه الغاية !

— ٢ —

كان ممن انقذهم الانسولين من الموت ، اميركيٌّ يدعى ايفانز Evans وكان لهذا الاميركي ولدٌ يدعى هربرت مكلين ايفانز تخرّج برتبة دكتور في الطب من جامعة جورج هبكنز سنة ١٩٠٨ ورغب في ان ينصرف الى البحث العلمي . فلما علم والده بنيته قطّب حاجبيه ، لانه لم يدرك كيف يرتزق الانسان ويترقى من البحث العلمي . ولكن لما حلّت عجيبة الانسولين في عروقه ، وانقذته من الموت ، آمن وقال « بان هذا الكلام الفارغ لا بأس به » . وكان ايفانز الشاب قد سأل الاستاذ جاك لوب في ما يتوفر عليه من موضوعات البحث فقال لوب « لا غرض ان تكون كيميائيًّا عاديًّا . شُقّ طريقك ولا تخش ان ترود ميادين ليست من اختصاصك » . وكذلك اخذ ايفانز ينتقل من البحث في موضوع الى موضوع ، كالنحلة تنتقل في الروض من زهرة الى زهرة . بدأ بصرف عنايته الى التشريح ثم عنى بعلم الاجنة ، فلما اعياه تقطيع الانسجة ، رغب في ان

يتتبع كلّ خطوة في نشوء الجسم ، فتلقفهُ البحث البيولوجي في دردورهِ وقذفهُ في ميدان الغدد

واذ كان بانتنغ يجرب تجاربهُ المشهورة في الكلاب رغبةً منهُ في امتحان الانسولين ، كان ايڤانز مكبًّا على الغدة النخمية ، وهي من الغدد الصمّ العجيبة في الجسم . كتلة مستكنة في منخفض داخل الجمجمة عند قاعدتها . عرفها جالينوس وڤساليوس وظنّا انها تجهز الجسم بالمخاط ، ثم ظنّ بعضهم أن بين نمو الجسم وعمل هذه الغدة صلة ما. فلما كانت سنة ١٧٨٣ اشترى الطبيب الجرّاح جون هنتر جثة عملاق ايرلندي يدعى تشارلز اوبريان بخمسمائة جنيه ، وكشف عن الغدة النخمية فوجدها في حجم البيضة ، مع ان وزنها في الرجل السويّ لا يزيد على نصف غرام . وما انقضى قرن على هذه الحادثة حتى ظهر أن «العملقة» وهي تضخم اليدين والقدمين والانف والشفتين والفكين ، ترتدُّ الى تضخّم في الغدة النخمية . وثبت كذلك ان هذه الغدة في الاقزام ، اما انها لم تتم نموًّا سويًّا واما انها متنكسة degenerated

وكذلك أقبل ايڤانز على الغدة النخمية وهمّهُ ان يعلم هل تفرز توراً (هرمونًا) يسيطر على النمو او لا ، فصنع خلاصات مائية من الغدد النخمية المستلّة من الثيران . وفي سنة ١٩٢٠ جرّب خلاصاته باعطائها شرباً فلم تسفر عن اي نتيجة ، فعمد الى حقنها في صغار الجرذان. ولمّا تنقضِ عليهِ بضعة شهور حتى اصبحت هذه الجرذان ، عمالقة بالقياس الى الجرذان السويّة . فلما توقف ايڤانز عن حقنها بعد قطامها توقف نموّها الشاذّ . ثم اخذ طائفة من الجرذان ونزع غددها النخمية فلم تبلغ في نموّها الحجم السويّ ، فحقنها بهذه الخلاصة فعادت سوية ، وعمد باحث يدعى هوغبن في انكلترا الى استعمال خلاصة من هذا القبيل في السمندل المائي ، فوجد ان التحوّل فيه اسرع جدًّا مما يقع في السمندل التي لم تحقن بها

اذا كانت هذه العجائب تتمّ في الحيوان فاذا يحول دون وقوعها في الانسان . أليس تركيب الانوار وعملها الفسيولوجي واحداً بصرف النظر عن الحيوان الذي تستخلصُ منهُ ؟ أليس الانسولين المستخلص من الغنم كالانسولين المستخرج من الناس والبقر والسمك ؟

فلما حضّر ايڤانز خلاصة من الغدة النخمية على جانب من النقاء عمد الى تجربتها في فتاة في التاسعة من عمرها . عهد في التجربة الى الدكتور وليم انغلباك احد اطباء نيويورك . كان قد انقضى على الفتاة اربع سنوات وجسمها لا ينمو . ولكن في سنة ١٩٣١ اعلن الدكتور انغلباك ان قامة الفتاة زادت بوصتين وسبعة اعشار البوصة طولاً بعد علاج بهذه الخلاصة دام ثمانية اشهر. وتبع اطباء كثيرون هذا الاسلوب من العلاج فاصابوا نجاحاً عظيماً . ومن حوادثهم ان فتىً دون الخامسة عشرة من العمر زادت قامتهُ ثماني بوصات ونصف بوصة في واحد وعشرين شهراً

وما كادت هذه الحقائق تذاع ، حتى اغرق الناس في التصوُّر ايما اغراق . فقالوا ان الناس

بفعل هذه الخلاصة يستطيعون ان يصبحوا مردة جبارة . ولكن ايثاز عالم حذر . فلم يطلق لتصوّره العنان . قال : سمعت بعضهم يقول ان الميكادو يستطيع ان يمدّ قامات جنوده بها اذا شاء ، ولكن حتى الميكادو لا يستطيع ان يدفع ثمن الخلاصات اللازمة لذلك . وقد يقضي عقد من السنين قبل ان تتمكن من معرفة تركيبها الكيميائي ، وعقد آخر قبل ان تتمكن من تركيبها بالتأليف الكيميائي من قطران الفحم . انا لا نزال على عتبة الباب »

وحتى كتابة هذه السطور لم يستخرج هذا التوّر (الهرمون) — ويدعوه بعضهم فيون Phyone — نقيًّا من الخلاصة المستخرجة من الغدة التحتية

قبل ان شرع ايثاز في بحثه عن توّر النمو في مفرزات الغدة التحتية ، كان الدكتور كوشنغ Cushing احد جرّاحي جامعة هارفرد ، قد أزال اجزاء من الغدد التحتية في مائتي كلب . فلاحظ فجوةً مختلفة من التغير فيها ، غير توقف اجسامها عن النموّ . ذلك ان الكلاب نمت وفترت حركتها وضمرت اعضاؤها التناسلية . ووجد ايثاز ان الخلاصة التي يحضرها تعيد نموّ الجرذان سيرته السويّة ، ولكنها عاجزة عن تنبيه الغدة التناسلية فيها . فأناث الجرذان اذا نزعت غددها التحتية وتزاوجت لا تفرز البيض اللازم للتوالد . ولكن اذا ازيلت الغدة قبل التزاوج بساعة واحدة أفرزتها . ان هذه الحقائق تحمل على الظن ان الغدة التحتية تفرز توّراً آخر — غير الفيون توّر النمو — ينبه الأنثى الى افراز البيض

وأقبل على هذا البحث طائفة من الاعلام . فابتدع ستوكارد وتلميذه پاپانيقولاوس اسلوباً للبحث يقيسان به مدى النشاط الجنسي في الحيوان ولا سيما الجرذ . وفي سنة ١٩٢٣ ابتكر فيليب سمث مساعد ايثاز في كاليفورنيا طريقة تمكنه باستعمال المكرسكوب المشرّح من الوصول الى الغدة التحتية وانتزاعها بشق في حلق الجرذ . فلما انتزع الغدد التحتية من عدة جرذان ثبت له ان نشاطها الجنسي يضعف ، ولكي يثبت ذلك اخذ جرذاً سُلّت منه غدته التحتية وضعف نشاطه الجنسي ، وزرع فيه تحت الجلد غدة تحتية سُلّت من جرذ آخر فعاد اليه نشاطه الجنسي . على ان زرع الغدة لم يكن ضروريًّا ، لان الحقن بخلاصتها كان له نفس التأثير

الا ان اكتشاف هذا التوّر وفعله لا يسند اليه لان الباحثين زوندك Zoudek وأشليم Aschleim الالمانيين تقدماه باربعة اشهر في نشر النتائج التي وصلا اليها في هذا الصدد ، واطلقا لفظ پرولان Prolan على هذا التوّر التحتي المنبه للنشاط الجنسي وعلاوة على ذلك اكتشف زوندك وأشليم ان حقن بول الحوامل في الفئران يؤثر تأثير الحقن بخلاصة الغدة التحتية . فأفضى ذلك بهما الى اكتشاف اول امتحان يصحّ الاعتماد عليه للفأ اي بدء الحمل . ذلك ان المرأة التي تريد ان تتأكد من انها حامل او غير حامل لا تستطيع هي ولا يستطيع طبيبها ان

يعرف ذلك الاّ بعد انقضاء شهر او اكثر . لان انقطاع الحيض لا يمكن ان يؤخذ دليلاً اكيداً على الحمل . ولكن اذا اخذ بول حامل وحقن تحت الجلد في فأرة غير متزوجة ، او ارنبة ، ثم قتلت الفأرة او الارنبة بعد ثمان واربعين ساعة ، وفحصت خلاياها عرف ، من تطوّر تلك الخلايا او عدم تطوّرها هل المرأة صاحبة البول حاملٌ او لا . وبهذه الطريقة يمكن تبين النبأ حق في الاسبوع الثالث ، والاصابة تبلغ ٩٩ في المائة . بل وفي مياه اليابان يمكن اذا وضعت في ماء الاناء الذي يسبح فيه قدراً يسيراً من بول حامل ، استطال سلك بيضي عشرة اضعافه في خلال اربعة وعشرين ساعة ، فيدل ذلك على النبأ . واذا كانت المرأة غير حامل لم يحدث اي تغيير فيه . ويمكن استعمالهُ ثانية للغرض نفسه بعد بضعة اسابيع

وعلى أثر اكتشاف (البرولان) وهو نوّر الغدّة النخية الذي لهُ صلة بالجنس ، اكتشف اوسكار ردل الاميركي نوّراً ثالثاً في مفرزات هذه الغدّة نفسها ذلك انهُ غذى طائفة من الحمام بخلاصة من الغدة النخية فوجد ان قدرتها على افراز المادة اللبنية زادت زيادة كبيرة . فأطلق ردل على هذا النوّر اسم « برولاكتين » Prolactin أي الملبّن بعد ما ثبت لهُ ان من شأنه توليد اللبن في اثداء حيوانات اخرى بما فيها ذكورها . وقد ذكر من عهد قريب ان هذا النوّر قد يكون خليطاً من نوّرين احدهما يختلف عن الآخر في تأثيره الفسيولوجي ، وان الثاني ينبه غريزة الامومة . فدجاجة حقنت به قامت بعديومين وبدأت تحتضن . ولما حقن انثى جرذ غير متزوجة به ، امتنعت عن التهام فرخي حمام وضعا في جحرها بل عطفت بحنان عظيم عليهما . ولذلك قال بعضهم انهُ لا يبعد ان نرى « حب الام » في زجاجة تباع بدويهمات في دكان عطّار

وفي سنة ١٩٣٣ زعم احد الباحثين الفرنسيين انهُ كشف نوّراً رابعاً في الغدة النخية ينبه الغدة الدرقية

— ٣ —

وفي خلال ذلك قرأ باحث يدعى دويزي في المدرسة الطبية بسانت لويس ما كتبهُ زوندك الالماني ، فحمله ذلك على النشاط الى البحث عن نوّر الميض . كان قد سبق لهُ ان اشتغل بالسائل الحويصلي الذي يفرزه الميضان في انثى الخنزير . فعمد الى المستشفيات التي تكثر فيها الحوامل وجعل يجمع مقادير كبيرة من بولهن ، وقضى ست سنوات يبحث بأساليب متنوّعة عن طريقة لاستخلاص نوّر من هذا البول حتى فاز في نهايتها بالحصول على نوّر لا يوجد في بول الحوامل الاّ بمقدار واحد في أربعة ملايين . وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٩ أعلن دويزي استخراجه لنوّر الميض تقيًّا . فتقدم بضعة اشهر فقط في عمله هذا على طالين اوربيين هما اودلف بوتنانت Butenandt الالماني ولاكور الهولندي Laqueur وقد اختير لهذا النوّر اسم ثيلين theelin وهو مشتق من اللفظ

البولاني تيلوس بيانتي . اما تركيبهُ الكيمياوي فكما يلي: ك ١٨ يد ٢٢ او ٢ (C18 H22 O2) وبعد ذلك اتسع نطاق البحث فعثر باحثون متفرقون في المعاهد والمختبرات على التيلين في بياض الفرد والفرس والغنم والبقر والخنازير والدجاج والسمك ، بل وفي براز هذا . واستعمل التيلين في حالات مختلفة من امراض النساء الخاصة ، فأصاب مستعملوه قسطاً وافراً من النجاح

وكان من الطبيعي ان يكون الفوز باكتشاف توْر المبيض منبهاً للبحث عن توْر او اكثر في الخصيتين . بل قبل هذا الاكتشاف كان فريق من اساتذة جامعة شيكاغو برعاية كوخ F. O. Koch ومعاونة لجنة البحث في شؤون الشق مهتمًّا بالبحث عن هذا التور . فحصل لومويل Lemuel وماكجي McGee على خصيتي تور بعد انقضاء دقائق على ذبحه وصنعا منهما خلاصة استحناها بطريقة طريفة . فقد كان القدماء يعلمون ان ازالة خصيتي الديك تجعل لحمهُ أطرى مما يكون لحم الديك عادة . وكان الديك الذي سلبت خصيتاهُ يختلف عن الديك السويّ من وجوهٍ اخرى . فصفات الذكر فيهِ من حب المقارعة والقتال ، تتحول فيهِ الى جبن وتراخٍ وميل الى السلام والطمأنينة كأنهُ انثى — فكان قلما يصيح وليس بالنادر ان يعنى بالفراخ عناية الام بها . ثم ان عرفه يضمر حجماً ويكتسب لوناً وريشهُ يفقد لمعانهُ

اخذ ماكجي الخلاصة التي صنعها من خصيتي الثور وحقن بها ديكاً خصيًّا في ابريل ١٩٢٧ ، فكبر عرفهُ اضعافاً وزها لونهُ المكدّ وظهرت فيهِ جميع الخواص التي يتصف بها الديك السويّ . وعندئذٍ جعل كوخ وقرينتهُ يصفيان الخلاصة رغبة في الحصول على توْر الخصيتين نقيًّا في شكل بلّورات . واذ كانت هذه التجارب قائمة في شيكاغو ذاع من اوربا في سنة ١٩٣٢ ان توْر الذكر قد حضر نقيًّا في شكل بلورات . وكان صاحب هذا السبق بوتنانت الالماني الذي سبقهُ دويزي قليلاً في اكتشاف توْر المبيض . ولكنهُ استخلص التور من سوائل الكليتين في رجل لا من خصيتهِ وحقق عبارتهُ الكيميائية فاذا هي ك ١٩ يد ٣٠ او ٢ (C19 H.30 O 2) . ومن اغرب ما ذهب اليهِ انهُ يمكن تحضير توْر الخصية من توْر المبيض بالكيمياء . وفي آخر سنة ١٩٣٤ فاز روزيكا Ruzicka في زوريخ بتركيبهِ بالتأليف الكيميائي من مادة الكوليسترول المستخرجة من دهن صوف الغنم

دعي هذا التوْر اند روستيرون Androsterone وهو ليس بتوْر الخصية . وتوْر الخصية دعي تستوستيرون Testosterone وقد حضّرهُ نقيًّا في شكل بلورات الباحث لا كور في استردام في يونيو سنة ١٩٣٥ والتوْران لهما عبارة كيميائية واحدة ولكن ترتيب الذرّات في جزيء الواحد يختلف عنهُ في جزيء الآخر . وفي سبتمبر سنة ١٩٣٥ اذاع روزيكا انهُ ركب التوْر الثاني بالتأليف الكيميائي

نشر الخريطة

« هو الذي جعل لكم
الارض ذلولاً فامشوا
في مناكبها ..... » الآية

قصة الريادة
خلال خمس آلاف سنة

ان تاريخ الريادة ينطوي على قصة من أعجب القصص، قوامها الاقدام لا يثنيه ، ومغامرة لا تردها أمام الخطر، وشوق الى كشف المجهول وسواء أكان الباعث على الريادة طلب المجد ام توسيع نطاق العلم ام البحث عن العطور والافاويه ام الرغبة في بقعة أرض يرفع عليها علم امة مستعمرة ، فالريادة ردّ الانسان على ما تحيطه به الطبيعة من الالغاز وتوجيهه اليه من التحدي . ان استجلاء الاسرار التي تنطوي عليها الاشعة الكونية ، ونوى الذرات ، والتحليق في الجو بغية الوقوف على حقائق الطبقة العليا من الهواء ، ومقاساة السغب والتعب والقيظ والقر ، حوالي القطبين او في قلب افريقية وصحاري آسية — كلّ ذلك من الريادة بأوسع معانيها . وغرض القطبها واحد وهو ان ينشروا لحقيقة الارض التي نعيش عليها خريطتها المطوية

وهذا كتاب [1] وضعهُ باللغة الانكليزية المستر « لنرد اوتويت » وهو رحّالة مجرّب وعالم راسخ في شؤون الجغرافية والانثروبولوجية . ان حماسته التي تتسم بها كل صفحة من كتابه مقيدة بقيود الحذر العلمي ، ولكنهُ في حاشيه يحوّل الجغرافية من علم جامد الى علم حي . فاذا نظرت الى سعة نطاق الكتاب زمناً ومكاناً — على الرغم مما انضت اليه هذه السعة من اهمال بعض الحقائق الاساسية كسعة الاراضي المكتشفة والمسافات التي قطعتها بعوث الريادة المختلفة — والى كثرة ما جمع من الحقائق المشتتة في فصول وابواب منظمة رأيت فيه قصة الريادة من فجر الحضارة الى الآن وكأنها منسابة امامك على شريط من الصور المتحركة .

خذ فصلهُ عن البحر المتوسط . على سواحل هذا البحر وفي جوارها قامت الدول القديمة مصر وفينيقية واشور وشمر وعيلام وكريت والبونان . من مصر قامت اقدم بعثة في التاريخ يقصد الريادة وهي بعثة هانو سنة ٢٧٥٠ ق . م . باحثة عن البخور وما يكفي حب المغامرة في نفوس اصحابها فوصلت الى مايعرف الآن بالحبشة وعادت بكثير من الذهب والفضة والمر والاخشاب الثمينة . وبعد ما انقضى عليها الفا سنة ، اي نحو سنة ٦٠٠ ق . م . اوفد الفرعون نخو

(1) Unrolling the Map : The Story of Exploration by Leonard Outhwaite

أعجب بمئة استكشافية في التاريخ فاستطاعت ان تسافر حول القارة الافريقية في ذلك العهد البعيد وكان هيرودوتوس لم يصدق ما بلغهُ عنها فاكتفى في ذكرها بفقرة قصيرة من تاريخهِ المشهور. وقد أثبت السير اوتوبت ان وصف الرحلة واتجاهها والشهور التي حدثت رحلها فيها تتفق كل الاتفاق وما يعرف الآن عن تيارات المحيطات والرياح السائدة على سواحل افريقية

وكانت الريادة في عهد الاسكندر ذي القرنين ، جزءاً من اعمالهِ السكرية . ولكننا مع ذلك مديونون لهُ بكثير من أقدم ما عرفهُ العالم عن البلقان والشرق الادنى وافغانستان وبعض المناطق في شمال الهند . ويقال انهُ كان يستعدُ لريادة نهر الكنج عند ما أصيب جيشهُ بما حملهُ على النكوص

اما في العالم الجديد ، فيذكر المؤلف الرأي الشائع ان كولمبوس او امبركوس فسبشيوس او عجلان كانوا اول من اكتشف اميركا . ذلك ان مستعمرات من رجال النورس انشئت على برّ اميركا الشمالية في القرن الحادي عشر . قال المؤلف : وفي سنة ١٨٩٨ كان احد المهاجرين السويديين وهو يدعى « اولوف اوهمان » يعمل في حرج قرب بلدة كنستن بولاية منسوتا (احدى الولايات المتحدة الاميركية) فعزبشجيرة معمّرة كانت جذورها قد التفّت حول حجر وعلى هذا الحجر اثنا عشر سطراً من كتابة غريبة . وقضى باحث يدعى « يالمار هولند » عشرين سنة في البحث الدقيق مع خبراء الحراج والنبات وطبقات الارض والآثار حتى أثبت ان هذه الكتابة نقشت لذكرى انشاء مستعمرة من السويديين والنرويجيين في منسوتا قبل سنة ١٣٦٢ والمرجح ان البعثة التي انشأت هذه المستعمرة كانت البعثة التي اوفدت من قبل الملك ماغنوس اريكسن في سنة ١٣٥٥ لانقاذ المستعمرين النورس الذين استقروا في جرينلندة من الوثنية . وكان الدافع الديني حمل هؤلاء الرجال على التوغل غرباً في فيافي كندا الى ان استقروا في ولاية داكوتا . اصبحت بعد خمسة قرون ، عند كثرة هجرة الاوربيين الى اميركا ، مقرّاً لمعظم المهاجرين السكندينافيين ولعلي منسوتا

في فصول هذا الكتاب ، تتعاقب الصور الاخاذة — ريادة القارات وفيافيها وصحاريها وقممها والنفوذ الى منابع انهارها والتوغل في حراجها وادغالها واقتحام جدد التطبين سيراً على الاقدام وبالمزالق وعلى أجنحة الطائرات والبلونات ، والتحليق في الجو الى عشرة أميال والنوص في الماء الى نصف ميل — هنا جميع الاسماء الباهرة في تاريخ الريادة من هانو المصري الى بيرد الاميركي

وكذلك تتوالى الصفحات كما توالت الاعوام والقرون وميامين الروّاد يسيرون بعضهم في اثر بعض يحتقرون المشاق ويزأون بالمواصف ، يخفقون آناً ويتصرون آونة فتمت لهم الارض ومشوا في مناكبها . ان صفحتهم لمن اصح الصفحات في تاريخ الانسان ، بل ان حديث اقدامهم وثباتهم وشوقهم الى كشف المجهول قصيدة بليغة تثير في النفس تلك الهزات العالية التي بها يتمجد الانسان

مسرحية : لفاريب الكبير : بول فاليري

نقلت في اوبرا باريس عام ١٩٣١ : حقوق الترجمة والنشر باذن المؤلف

الاشخاص

امفيون اپولون شخص غير منظور الالاهات الاربع الاحلام الشعب

« نقلها : خليل هنداوي »

[يرتفع الستار عن نقب أو خرق واسع في صخرة على ذروة جبل يتهادى نحو السماء والفسحة الخارجة من يمين الصخور وشمالها انطبها اشجار كثيفة من الكستنا والسنديان . وفي الاعلى تسطع القمة العارية ، وعلى يمين القمة صخور متبلورة وقليل من الثلج يلمع هنا وهناك في الأعالي . وفي وسط المشهد ينبوع يشف ماؤه القاتم ، وحوله تصعد شماريخ مختلفة تمتد بصورة غير منتظمة حتى تسد هذا النقب . وفي هذه النواحي فسحات فارغة . اما السماء فقد سطع منها جانب من المجرة . فيها ذرات مضيئة ونجوم مختلفة الحجم . والفضاء المظلم يبسط هنا وهناك . . . . في هذا المشهد يقع البصر على أشباح ليلية ترقص زمراً زمراً في كل مكان . تختفي ثم تُرى حيث تكاثف الظلمة المحيطة بها . ثم يدخل من اليمين والشمال رجال ونساء يفتش بعضهم عن بعض ، يتساءلون ويتفاهمون بالاشارة ، ويتوارون وراء الاشجار ، يجنحون الى الراحة ويدخلون في الظلام ، فتسمع الاذن في هذه الهدأة خفيف الكون ، ونسمة غير انسانية . وعلى هذه النغمة الواحدة تتمالى أنشودة الينابيع بصوت كصوت الاطفال] .

اليانيع : نحن اليانيع ، لنبك الزمن الفاني
بالقطرات المتتالية !
من دموع الثلج تجري كل حياة
وبنا تبكي الارض باكية حتى البحر .
« يدخل امفيون وتملن ألحان صادحة عند قدومه . يدخل حاني الظهر »
« ويده حيوان على هيئة مسخ . يضغط على هذا الحيوان بقدميه ، ويسل »
« مديته ، وبينما هم بذبحه يسمع :

صوت : لماذا ؟ لماذا ؟
دع الحياة تحيا
واترك الموت بأيدي الخالدين !

« يسمع امفيون هذا الصوت فيطرح مديته ويفر الحيوان سالماً . وبعد »
« تردد قليل يتجه الى مغارة عميقة ، فيخلع الجلد عن ذراعيه ، ويجلس »
« متأملاً في السماء الكوكبة ثم يغرق في الكرى . تنظم السماء قليلاً قليلاً »
« وعلى بساط الظلام تبدو الاحلام وهي تزور النائم . وبينما حلمان غارقان »
« بالنعيم يريدان حربه ، فيلتفهما مسخ ، وتبدو اشخاص عليها رخرف »
« غريبة . وامفيون غمره الرقاد ، وأخذ يظهر له « الحلم العاشق » بزي »
« راقصة عارية ترتدي رداء طويلاً ، تحتوعليه وتلمسه وتمرح به ، وكلما »
« تحرك منه عضو أجفلت منه طائرة »
وهنا تظهر الالاهات . . .
إلاهة تخرج من الينبوع وتنادي
« إلاهة » !
وثانية تخرج من صخرة وتنادي
« إلاهة » !
وثالثة ورابعة تزاحم عنها الصوت وتناديان
« إلاهة » « إلاهة » !
تتالى هذه الاصوات في زمن واحد ، وصواحب هذه الاصوات يخطرن

في الظل كأنما يضنّ ، يجتمعن ويأخذن بعضهن بأيدي بعض.

إلاهة ١ : أني لأرى ما لم يكن !

إلاهة ٢ : أعرف ما لا يكون !

إلاهة ٣ : أصنع ما سيكون.

إلاهة ٤ : وانا لا شغل لي الا الحب

إلاهة ١ : يا رفيقاتي ! يا أسراب النحل الجميل

لنطع الله ولنقدم اقسى لهذا الانسان !

« ٢ : ان روحه تختبط في جحيم التعاس

« ٣ : انهُ يتهد

« ٤ : انهُ يتململ

« ٢ : انهُ يتمنى

« ١ : انهُ يظن بأنهُ يحيا ! . . .

ولكن لنحترز من ان يثيره الافراط في الألم قبيل الفجر !

هيا الى العمل ، ولكن لنبدد قبل كل شيء هذه الصفوف المشوشة من الاحلام !

[يبدأ قتال بين الاحلام والالاهات ينتهي بطرد الاحلام ، وآخر القتال مع الحلم العاشق .

[وها هنا يشتعل الظلام قليلاً قليلاً ، ولا شعاع الاّ شعاع الالاهات. يسطع بالنور الازرق وامفيون بنور فضي . والالاهات يعطفن على « امفيون » الذي لا يزال نائماً ، وهن يرقبنهُ بحركات سحرية وكلمات سهمة !

المهزهزة الساحرة : ايها الرجل النائم

ان الليل يضيء عليك

والكون قد اوجدتهُ الالاهات

[تجتمع الالاهات حولهُ حلقة احتفالية ، واحدة على قدميها واخرى على رأسه ، واثنتان حول جسده وقد بسطتا أيديهما وشخصت عيونهما في السماء.

أيها الاخوات الامينات للعبقرية الالهية

الجميع : إن هذا الرقاد الذي مهدتهُ أيدينا
يُسلم هذا الانسان لله

الالهة : يا لهُ من سلام قدسي يتألق على هذا الوجه الصافي !

الالهة : انهُ تمكس عليهِ ابتسامة احلامها النجوم

الالهة : هذا الجسد الصافي ، هذا الجسد الساكن شبيه بالمجد !
بالحجر المقدس .

الالهة : وروحه أضاعت سبل الحياة .

الالهة : انهُ كالخالد يجهل نفسه .

الالهة : انهُ — الآن — ليس الاَّ ما سوف يكون !
يصغ الى الهاوية !

[رعد بعيد والالاهات يسجدن]

صوت ابولون: [كأنهُ يصعد من جوف الشهد]
امفيون !

الالاهات : ابولون !

الاصداء : ابولون !

الالاهات : تحيك في جنح الليل السحيق يا آله النور !
كم يحلو في اعماق الظلمات الاصغاء الى الكلمة القوية . . .

الالهة : يا سبب الشمس ، ان الظلمات تبتدك ،
والضعفاء من الرجال يحلمون في رقادهم بفجر سني يطلع عليهم من يديك .

الالهة : ألا زر هذا الراقد ! وأيقظ فؤاده حتى يصغي شيطانه الخاضع الى صوت
الحكمة القدسية
ابولون !

الاصداء : أ ، بو ، لون ! . . .

الجميع : اضرب يا الهنا ، أضرب . . . أنر ، وأضيء ،
بصوتك الخالد اضرب هذا الراقد !

كما تسطع الشمس الصافية على ذروة الجبل وتنير القمة الشاهقة السامقة !
اضرب أيها الالـه ! تعال أيها الآلـه . . .
الاصداء : أيها الآلـه !
[رعد بعيد]
[الالاهات ساجدات ولمعة غريبة على وجه امفيون]
صوت ابولون: امفيون !
اني انتخبتك من بين البشر كما ينتخب الحب :
وكما تنتخب العاصفة القمة .
أني اصطفيتك . . .
فيا أيتها النفس الضيقة اسمعي وتقبلي ابولون !
[يرتعش امفيون]
الالاهات : ابولون !
الاصداء : ابولون
صوت ابولون : اسمع اني سأكون بك مغرماً للناس ، للذرية الفانية .
سأعطيك منشأ النظام
سأنزل عليك في اللحظة النقية الصافية
إذ ذاك ينشأ على وجه الارض فصول معظمة تفسرها الحكمة السماوية
سأأتمنك على ما ابتكره « هرمس »
وسأهبك الآلة العجيبة المذهلة
العود . . . .
امفيون ، امفيون !
أيقظ النغمة البكر وانتصر بها
ستغتني على أوتاره السبل التي تتبعها الآلهة وستجدها .
وعلى هذه السبل المقدسة تقتفي أثرك النفوس .
المادة الجامدة تغدو أسيرة عودك .
خذ العود سلاحاً وحرك الطبيعة

وليولك عودي معبدي !
ولترتجف الصخر باسم الاسم الالهي . . .
واجذب من الضباب هذه الخرائب من النسم !
وقدم لي منذ الفجر معبداً منيراً
ولتكن حوله مدينة كبيرة تبتهل فيه بالصلاة .
ولترفع يداك اليَّ مقدساً لي ما خلقتُ وأبدعتُ
امفيون ! . . .

الالاهات : ابولون
الاصداء : ابولون

[تتسرق الاصداء . . .

صوت ابولون : واحنَّ أيتها الالاهات الجميلات الأمينات !
أيتها العزيزات التقيات !
ايتها العاقلات !
احيينه واحرسنه !
ولكن اطلبنَ ألاَّ سعادة له ، ولا سعادة تنتظره - انهُ لا يحيا الاَّ من أجلي !
انني اتخذته كفئة تتخيرها العاصفة !

[تنهض الالاهات وتقبل يديه وقدميه وجبينه

اصوات من حول بعيد : امفيون ، كن معجزة
وكن صحبة المعجزة الكبيرة

[يشمل الليل ولا يسمع فيه الاَّ اصوات الالاهات اللواتي يتنادينَ في الظلام]

الالاهات : الاهة ! الاهة ! الاهة .

[يعود النور قليلاً قليلاً مصبوغاً بألوان الفجر وتتوارى الالاهات فيرى العود عند قدمي « امفيون » وخلجة مبهمة من الطبيعة الحية التي تتيقظ . وهتاف عصافير وهدير مياه . وتكزار تشيد البنابيع]

[يستيقظ الرجال والنساء ، منهم الذاهب الى صيد ، ومنهم الرائح الى عمل . والنساء بين الواردة منهل الماء ، والراقدة على الماء تتراءى ، والصغار يلعبون ويتخاصمون . فيضطرب امفيون]

[يتيقظ امفيون وفي خلال هذا المشهد يغسل الاشخاص ، والموسيقى توقع ممثلة حركات « امفيون » يستوي فجأة على مضجعه ويتأمل ثم ينتصب ويمشي بضع خطوات ، يتروح نسيم الفجر ثم يهبط الى الينبوع ويرشف منه طويلاً . يرقص كمن يحرك أعضاءه ، فيقع بصره فجأة على العود يتأمله امفيون مستغرباً ويمسكه]

[يضرب فجأة فيرن وتر من اوتاره رنيناً قويًّا يجيب عليه هزيم الرعد وكتلة من الخيل تسقط ولها صوت عظيم ، ينهزم الناس مذعورين . منهم المقبل ومنهم المدبر ، فيرتاع امفيون ويترك العود ، ثم يعود اليه محاولاً ، القيام بتجربة ثانية .]

[مرة ثانية . تعطي ممثلة رقيقة فتهوي اليه بعض الصخور هوينًا لطيفاً لا صوت له ، ويطلع عليه عشاق وعاشقات مادين بأذرعهم اليه . وقد عقدوا الايدي وانسلوا رويداً رويداً ، فيضع العود ويتأمله ، وهو جالس على صخرة يكشفها الماء فيرى وجهه . . . فيعود اليه حلمه قليلاً قليلاً ، وتسمع ممثلة مهزهزة الآلآهات بفم مطبق ، فينهض امفيون مذعوراً ويحدق في السماء مستجداً مستغيثاً]

الالاهات من حيث لا تنظر : امفيون !

امفيون : من يناديني ؟

الالاهات : نفسك !

امفيون : لتذكر نفسك

١ : من يتكلم ؟ أذكر . . ان صوتاً علويًّا ، ان صوتاً لا وجه له يتكلم في جنح الليل

الم اسمع كلمات القضاء ؟

هل اراني اجد سبيل غرائب الظلام ؟

٢ : ايها الصوت القدير !
لقد قيل . . . انهُ تكلم . . .
كما تتكلم الهاوية المنارة
هو الذي يخيل اليّ ان في السكون وتحت النجوم يناجي ذرية الانسان الشقية ذات الارواح الزائلة !

٣ : أنهُ قال . . . السماء التي تتكلم
قالت :
« امفيون !
انني انتخبتك كما ينتخب الحب
انني اصطفيتك كنغمة تنتخبها العاصفة . . .
انني اخترتك !
وحبوتك الآلة الغريبة
العود ! . . .
خذ عودك سلاحاً وايقظ النغمة البكر
وليولد عودي معبدي !

٤ : ايتها الآلة الخفية ما اعظم قدرتك !
ايتها الآلة التي تهب الحياة والموت
انت التي تنفذ ملاعبها الالهية روح الوجود !
انني اكاد المس اوتارك الذهبية التي شدها الاله
السماء والارض ارتعشتا
واحسست ان الصخر يهتز كأنهُ بدن امرأة مأخوذة !
ورأيتُ
الغضب والحب يولدان في الناس
والغضب والحب يفيضان من بين انامل ! . . .

٥ : هل جرحت او صدمت او جذبت
جسد الوجود الحي ؟ وقد يكون ذلك
وهل أثرت — على غير علم مني — في مادة السماوات ؟
وهل لمست الكائن نفسه الذي يواري عنا أسرار الاشياء ؟
ها أنا الآن أقوى من نفسي .
ها أنا أجدني غريباً ومحترماً لنفسي
تائهاً في نفسي ، وسيداً حول نفسي !
ارتعش كالطفل ازاء ما اقدر عليه
٦ : ابولون ، ابولون ، انني سأطيعك
مؤلفاً رسومات على السود
أناملي هي آلهة ،
وقلبي سابق للناس
٧ : سأغير على الصخور المضطربة المشوشة
وصولي الصافية ستسخر لأثر لا مثيل له ،
خرائب الفهم والمسوخ المتدحرجة الهاوية من حنايا عالية !
٨ : مولاي ابولون معي . . .
سأتبع العسل والجمال كغريزتين !
ابولون يتعبرني ويعزف مع صوتي .
سيأتي هو نفسه ليبني معبده .
والمدينة التي ينبغي ان تظهر لعيون الناس قد شوهدت تلمع وتسطع
في مساكن الخالدين على الأبد .
[يأخذ امفيون عوده ويريد السماء ويتأهب للعزف وقد امتلأ صدره حمية
ويقيناً ، يضرب على الاوتار ضرباً يسمو فيه الفن سمواً رفيعاً فتهتز الطبيعة
وترجع الاصداء صوته ويطفح المشهد بالمذهولين . . . .
ثم يعزف ضرباً من الرقص المقدس ويستوي على قاعدة الصخور من
الجهة اليمنى ويصيح :]

امفيون : بك يا ابولون !
[وهنا يبدو فن البناء وهو مما يدعي فيه التلاؤم بينهُ وبين الموسيقى والاشارات والحركات . والموسيقى هي المعبرة عن حركة الاشخاص والآلات المتحركة . (١) الحان الحجارة — حجارة ترحل وترتفع لبناء المعبد ، والحان الحجارة تبدأ بايقاع ينتظم قليلاً قليلاً]
جوق غير منظور : يالقيثارة ! يالقرائب !
الصخر يمشي والارض تخضع لهذا الالـه .
أية حياة مروعة تدب في الطبيعة !
كل شيء ينحني ! كل شيء ينفش عن النظام لينتظم
كل شيء يحس أنهُ خاضع لقدر
[البناء يكمل ، واجزاء من العمارات منثورة في احناء الجبال . رسم المعبد يتوطد . . . عمارة صغيرة مؤلفة من عدة رواصف كاسيات ، ثم تظهر الالاهات موشيات بالذهب ، ينتظمن في المعبد كأنهن اعمدة . . . ويرتلن]
الالاهات : يابنات الذهب ! المزينات بشرائع السماء . . .
يسقط علينا وينام الـه لونه لون الشهد !
[يسطع النور وتشتد الموسيقى . وخلال ذلك يتبدل المشهد ، فالجبل ينتشر عليه البنايات ، وقد غطت الجدران ولمعت السقوف في الشمس والشعب منتشر زمراً زمراً]
جوق الشعب : ايتها الشمس المباركة طلعتها !
أيها اللهب الذي يحمل في السماوات المعرفة والحياة . . .
ايتها الشمس !
ليس ثمة من يقوى على تأمل مصدر قوتك !
ان لمعة الطلعة الالهية — اللمعة التي لا تطاق — تحجب عنا الالـه !
اما انت فانظري ايتها الشمس عجائب الانسان :
ها هنا يبدو عالم يصنعهُ احد منذ أشرق وجهك على الوجود !

جوق الشعب: ها هو امفيون ، امفيون الظافر يقدم لك هذه الحجارة الجنية لكي يلتقط أشعتك الصافية .

اقم هذه المساكن المسوهة بالذهب ، ونصب لك هذه الجدران العالية .

أيتها الشمس !

تأملي معبدك وأريحي شعاعك المتوقد على شكله البديع !

ولكن جميلاً عذباً بالشعاع المنحدر من الجبين الالهي !

(دعاء وتهليل ، يدعى امفيون الى المعبد !)

جوق الشعب : امفيون الجليل تقبل مدائحنا !

كن قائدنا ، وملكنا .

اصعد الى العرش ، واصعد الى المعبد ، يا امفيون ! ...

(يدخل امفيون وقد احاطت به الجماهير وعليه الزينة المتسقة)

(وخلال هذا المهرجان تتقدم الالآهات)

الالهة (١) : الليل انتهى ...

الالهة (٢) : سأتحرى عن معلم ثان

الالهة (٣) : لا يهمنا امره مهما كان !

الالهة (٤) : انني لم اكن الا أملاً ... !

(ينسرحن الظلام وفي اللحظة التي يهم فيها البطل بالصعود الى الهيكل يدنو منه خيال امرأة محجوبة ، يدخل الملأ ويسد عليه الطريق بذراعيه المفتوحين على شكل صليب . يهوي على الزينة حجاب . والنور يضعف والموسيقى يخف بأسها . يدور امفيون ولكن الخيال المحجوب يمسكه بحنان ويأخذ منه العود الذي انبثقت منه الحانه وتلقيه غير بعيد في الينبوع فيوازي امفيون وجهه في حجر هذا الخيال الذي هو : الحب او الموت . وينجذب بها منقاداً مذهولاً ، بينما الموسيقى تعزف لحناً مظلماً عذباً قليلاً .)

« الستار »

الحضارة الحثية

نواحيها العقلية

والاجتماعية كما تبدو وتستخلص من آثارها

بقلم قيصر صابر

عضو جمعية العاديات السورية

توطئة

بعد ان اتينا على ملخص تاريخ حروب الحثيين وفتوحاتهم يجمل بنا ان ننتقل الى تبيان سائر ما وقفنا عليه من فروع حضاراتهم وتطوراتها وهدفنا في ذلك ان نبين مكانة تلك المملكة العهيدة التي تفوّقت على كثير من ممالك الشرق القديمة بمنتجاتها الصناعية والفنية وفنّها وآدابها وشرائعها ومعتقداتها وليس لنا من رائد في هذا الميدان غير مكتشفات العلم التي يصح الركون اليها

ولعل اجلى مظهر اطلعنا عليه من مظاهر تلك الحضارة العهيدة هو ما جاء في رواية استيلاء العاهل اشور ناصربال الثاني على كركميش المنقوشة على حجارة قصوره حيث قال : « في الثالث من شهر نيسان سنة ٨٧٦ ق.م غادرت كالح وعبرت نهر الدجلة قاصداً مدينة كركميش في بلاد الحثيين فاجتزت نهر الفرات على ارماث مكسوة بالجلود ولما اقتربت من كركميش فرضت على سنفارا ملك الحثيين عشرين وزنة من الفضة وحلّي عديدة من الذهب ومائة وزنة من النحاس ومائتي وزنة من الحديد والقصدير وآلات حديدية ومحاسية كمنوس وحراب وسنن وماشا كلها من المعدات الحربية واثاث بلاط الملك وغنائمه واشياء كثيرة لا مثيل لها في جودتها وجمالها واثاثاً من ابنوس واعراشاً من خشب السنديان ومائتي امرأة رقيقة وانسجة من صوف ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب » . فيدلنا ذلك كلهُ على الاوج الرفيع الذي بلغتهُ الحضارة الحثية في الثراء والعمران ورقي الصناعة مما خلب لب ذلك العاهل الاشوري وحملهُ على الاقرار رغم انفته وكبريائه بأنهُ لم يكن قد رأى مثيلاً لها في سائر ممالكه على ان ذلك ليس الاّ عبارة عن وصف

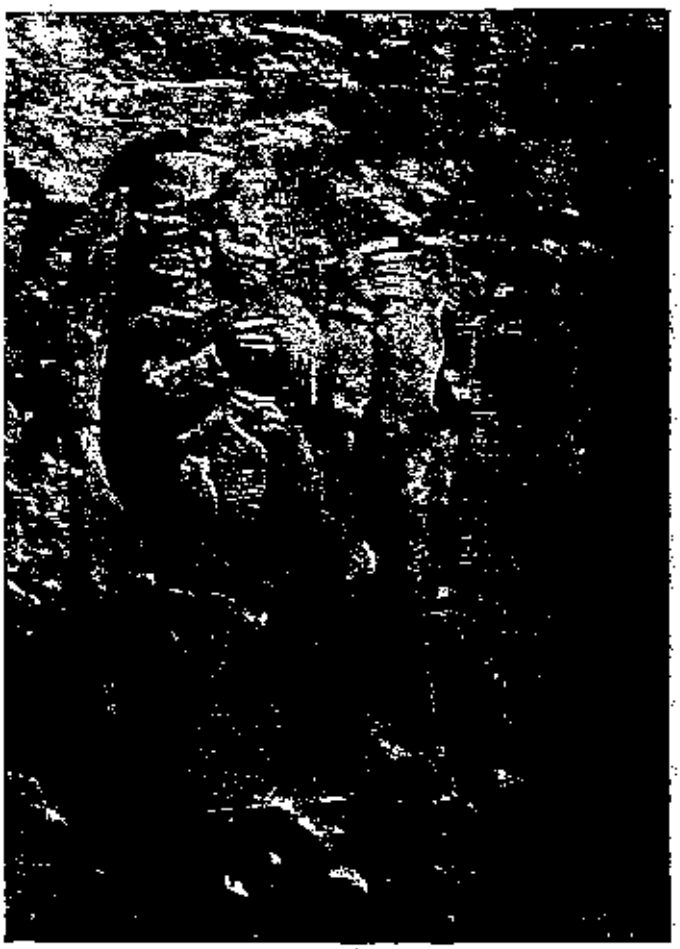

(ش ٦)

نقش حجري نافر على الصخر يمثل اله النباتات الفروي كما فهم من الكتابة المحفورة قبالة وجهه وهو محمل بمناقيد العنب. وقد أمسك بيده اليمنى سنابل الحنطة ووقف امامهُ ملك كبير وقفة التضرع والابتهال

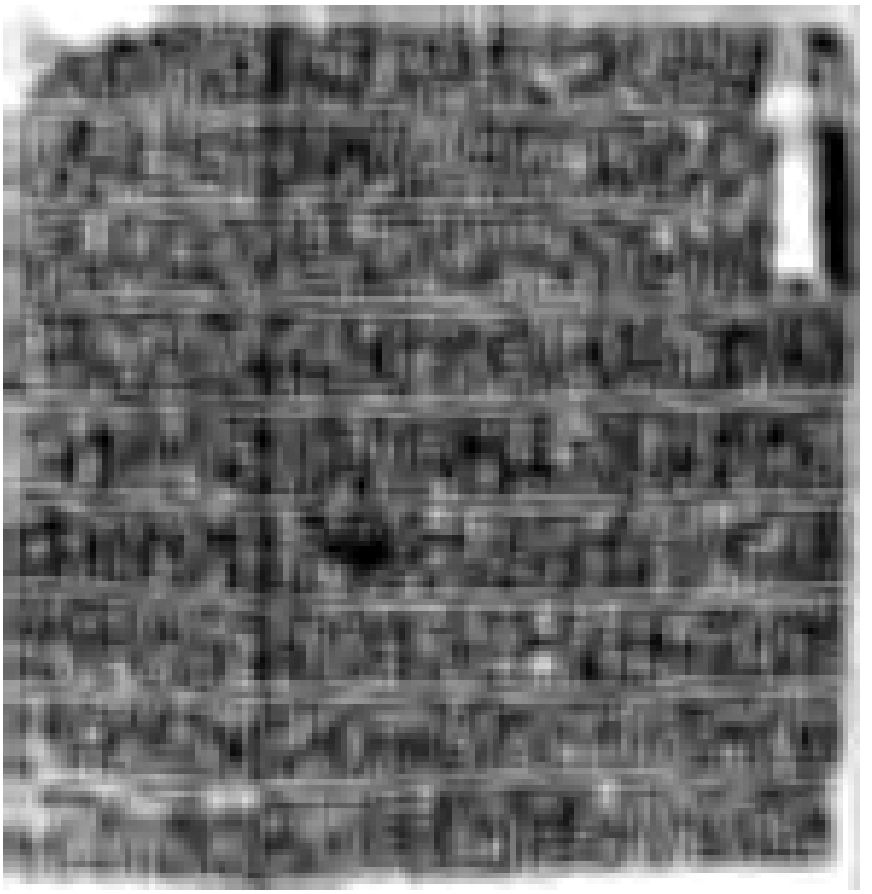

(ش ٤)

الكتابة الهيروغليفية الكبيرة المكتشفة في كركيش وهي تعد من ارقى انواع الكتابات الحثية وترتقي الى القرن العاشر ق. م. وهي اليوم في المتحف البريطاني

سوف نلمس حقائقه بدراسة ما اكتشف من آثار تلك الحضارة القديمة وباستقراء نقوشها البارزة في اساطير الاحبال التي اقامتها ونرى بصورها الراسخة في بطون الاحجار طرار معيشة تلك الامم في بيوتها ومصانعها ومعابدها ولعلنا نستطيع ان نتبعها حتى اعماق قبورها

الكتابة

لا مرية ان معظم هذه المعلومات انبثقت من حل رموز الكتابات الحثية فينبغي اذاً ان نجعل هذه الكتابات قطب دراستنا ونوجه اليها اهتمامنا . فينما نراها في اول طورها كناية عن اشارات مصورة تعرب عن الافكار على شاكلة سائر الكتابات القديمة لا نلبث ان نشاهد الرموز تحل مكان الصور فيدلنا هذا التطور على ازدياد معارف القوم على توالي الايام واتساع حلقة افكارهم. وقد عرفنا لغة الحثية نوعين من الحروف الكتابية الهيروغليفية والمسمارية ونعني بالاولى حروف الكتابة المقدسة التي كانت خاصة بالحفر والزينة فنقشت المسلات والاقصاب وجدران المعابد والقصور وقد احتفظ الكهان باسرارها فكادت تبقى طلسماً لا يحل وحروفها مؤلفة من اعضاء الجسم كافة ورؤوس بعض الحيوانات والمصافير واشياء شتى على مثال الهيروغليفية المصرية بيد انها غير مقتبسة منها بدليل انها تمثل الشائع المخصص بالحثيين كالرجال ذي الرأس المكوف ورؤوس بعض الحيوانات المحلية وغيرها من العوامل التي تتضافر على اثبات استنباطها في آسيا الصغرى. وقد كانت تكتب طوراً من اليمين الى الشمال وتارة من الشمال الى اليمين فيعرف مبدأها من شكل اتجاه رؤوس الحيوانات المصورة وهي تقرأ غالباً من أعلى الى أسفل وفي بعض الاحيان من أسفل الى اعلى ويلوح انها تمتُّ الى عهد ارقى من تاريخ استعمال الكتابة المسمارية لانها تكاد تصور الاشياء المراد بيانها تصويراً . اما الكتابة المسمارية فحروفها مؤلفة من رؤوس المسامير تشبه علامات الالحان الموسيقية ولكنها اكثر منها تلاعقاً . وقد تيسّر للعالم الأثري هروزني التشكوسلوفاكي ان يهتدي الى حل بعض الغازها الغامضة بالاستنتاج من بعض علامات فيها تدل على معان معينة في سائر اللغات السامرية والبابلية من جهة وبمقابلة بعض نصوص مترجمة من ألواح بوغازكوي باصلها الاكادي وكانت اللغة الاكادية في ذلك العهد بمثابة لغة دولية تدون بها بنود المعاهدات ونصوص الطب والفلك وسائر العلوم

وقد وجدنا الخطوط القديمة كثيرة التعقيد ثم رأيناها تميل الى البساطة شيئاً فشيئاً مع تطور الحضارة وكانت تنقر على الآجر والاحجار الصمّ بارزة وتطرق على الصفائح المعدنية من الوراء فتنشأ من جهتها الاخرى وقد باتت الغازها المغلقة قريبة الحل بفضل جهود العلماء ومساعيهم المثمرة

أهم الرسوم الاجتماعية

لقد تسنى لنا الوقوف على أغلب تقاليد الحثيين وعاداتهم وطرازمعيشتهم بالاقتباس من الصور المنقورة في الصخر وبقراءة تفسير النصوص الكتابية التي توافرت لدينا فتبيّن لنا انهم هاموا منذ فجر نهضتهم بالحروب والفتوحات وكانوا يعنون ايضاً بتربية الماشية ويميلون الى التوسع في الاراضي الخصبة بقصد استغلال ثروتها الزراعية ثم أخذوا يستخرجون المعادن ولا سيما الحديد من مناجم آسيا الصغرى وصار عندهم نقود يتبادلونها في قضاء حاجاتهم وكانوا على الأغلب يحلقون لحاهم أما الملوك وبعض الاعيان فكانوا يتأنقون بارخائها ويرسلون غدائرشعرهم على ظهورهم مضمخة بالطيب وكانوا يميزون عن سائر الشعوب بأنوف قنية. أما ملابسهم فكانت بسيطة. كان الرجال يرتدون قمصاناً قصيرة يشدها زنار عريض الى وسطهم فتكشف عن الركب غير ان الملوك والكهان كانوا يرتدون في بعض الاحيان ألبسة خاصة طويلة الاهداب عريضة مثناة كثيرة الزخرفة وكانوا يحتذون نعالاً طويلة معكوفة الطرف وهي من أخص ميزات لباسهم. اما النساء فكنّ يتأنقن بارتداء أثواب منسوجة من أقمشة رقيقة شفافة تبدو من خلال طياتها عن شكل أجسامهنّ وبروز نهودهنّ وكان التزين بالحلى مثل الأساور والعقود والاقراط والأحراز الثمينة شائعاً عندهنّ

وكان للمرأة الحثية شأن كبير في المجتمع فقد شاركت الرجل في أدق أعماله وخاضت الحروب الى جنبه واعتلت العرش وتقلّدت المناصب وأحرزت اسمى الالقاب وكان لها منزلة مكرمة وحقوق ممتازة تنبطها عليها أرقى نساء اليوم على انهُ لم تكن الى ذلك كله سعيدةً في حياتها الخاصة اذ قلّ بينهنّ من ليس لها شريكات من الرقيقات في بعلها حيث لم يكن أحب الى الحثيين ذوي الانوف الكبيرة من ان يقترنوا ويعاشروا اكبر عدد ممكن من الرقيقات الجميلات الى جانب زوجاتهم الشرعيات حتى اشتهرت بلادهم بكونها مهد اللهك واللذات

وقد كان الملك سيدهم المطلق يستمد سلطانه من الآلهة التي كان يمثلها على الارض فكان مطاعاً لانهُ رأس الديانة والجيش والقضاء وكان يحمل مع التاج وشارات الملك لقب تلابارنا اي الملك الحثي الأعظم كما ألمعنا الى ذلك في سياق الحديث. وكان العرش وراثيًا ومن حق الابن البكر فاذا لم يكن ثمّ ولد للزوجة الشرعية تبوأه الأدنى من ذوي القربى ويسري هذا الحق على النساء لا سيما اذا كان ولي العهد قاصراً فتنصب الملكة وصية عليه وتحمل التاج وتلقب بأم الاله وكان من حقوقها أن تشترك في عقد المعاهدات وقد رأيناها في بعض النقوش الى جانب الملك في الحفلات والطقوس الكبرى

وكان الشعب يغالي في احترام ملكه وينزله من نفسه منزلة الآلهة لاعتقاده يقيناً انهُ صائر

بعد الممات الهاً مثل آبائه وأجداده فيدفع لهُ ضريبة أرضه صاغراً كما ان سكان الاقليم كانوا مكلفين ان يدفعوا علاوةً على ضريبة أراضيهم العائدة الى مليك مقاطعتهم ضريبة سنوية لملك الاعظم وعند ما ينتقل هذا الملك الى حياة الخلود كانت تحد عليه رعيته حداداً عظيماً فتمزق ثيابها وتغلق المعابد وتكف عن الافراح والاعراس وتسكب عليه دموعاً سخينة اكباراً لمقامه وحزناً على فقدانه

الديانة

كانت معابد الحثيين تضم عدداً لا يحصى من الآلهة وقد تسنّى لنا ان نتعرّف الى بعضها من الاسماء والنعوت التي كانت تحفر غالباً على اكتاف اصنامها. فقد كان لكل عنصر من عناصر الطبيعة اله يمثله حيث اعتاد الحثيون ان يؤلهوا كل قوة يخشون بأسها على الأرض. فكان عندهم آلهة النار والهواء والمطر والشمس والذرى والصواعق ولكثير غيرها من عناصر الطبيعة على مثال سائر الديانات الشرقية القديمة ولا سيما ديانات الهند التي تشرّب الحثيون كثيراً من عقائدها الآرية والديانة السومرية التي اقتبسوا منها معظم طقوس عبادتهم

زد على ذلك انهُ كان من تقاليدهم ان يبقوا على الممالك التي يفتحونها عقائد سكانها الدينية وعاداتهم المحلية ويضمون آلهتها الى حياكلهم ويراعون حرمة اعيادهم خلافاً لسائر الدول القديمة التي كانت تحمل المغلوبين على انتحال ديانتها. فتجمع لديهم من جراء ذلك مئات من الآلهة حيث كاد تكون لكل مدينة آلهة محلية يعيد فيها بجانب الآلهة الكبرى وكانت تختلف رتبة تلك الآلهة المحلية باختلاف مكانة المدينة التي تنتسب اليها فكانت مثلاً مدينة عارينا الكبرى تحت حماية الهة الشمس التي تأتي مع زوجها الاله الاكبر واهب الحياة في طليعة المعبودات ثم يليها سائر طوائف الآلهة بمراتب متتابعة بعضها تلو بعض وقد أوتيا الآثار لكل تلك الآلهة هيئات وصفات خاصة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً

قلنا في ما سبق ان الملك هو رأس الديانة لانهُ يمثل الآلهة على الأرض وهو كاهنها الاكبر يعاونهُ في وظائفه الدينية رهط من الكهان بمراتب متفاوتة تقتصر وظائفهم على خدمة الطقوس وقد اطلعنا في لوح على وصف طقوس الاعياد لسردها على علاّتها تاركين للقراء ملاحظة وجوه التشابه بينها وبين اصل طقوس بعض الاديان المعاصرة

تؤم الجماعات المعبد يوم العيد فتقام الموائد المقدسة وتتلى الاناشيد وعندما يكتمل عدد المؤمنين يرتدي الملك ثياب العيد الخاصة ويتبرّج بالحلى الطقسية ثم ينتقل من قصره الى الهيكل باحتفال مهيب وعند اجتيازه عتبة فناء المعبد يغسل يديه في حوض الماء المقدس ويحرق البخور حوله ويلج قدس الاقداس مطهراً فيسجد تخشعاً ثم يتلو اريكته فتتقدم عندئذٍ قرابين اللحوم الذكية وتصف على الموائد المقدسة المغطاة بفوطة بيضاء وتراق فوقها الخمور. فيأخذ محله في صدر المائدة

الكبرى ويجلس الاحبار والكهنة عن يمينه وشماله بعد ان يضعوا ايديهم ويضعون قبوطاً على ركبهم ويأخذون معهُ في تناول الاطعمة المقدسة التي تتخللها بعض رموز دينية وتلاوة بعض التسابيح . ينطبق ذلك كلهُ على طقوس الاديان السامرية والاكادية ويجعلنا نتيقن ان جميع اديان العالم مقتبسة طقوسها بعضها من بعض

اما صلواتهم فقد كانت عبارة عن تضرعات الى الآلهة من اجل طلب التمتع بملاذ هذه الدنيا وشهواتها مع الاشادة بمديحها وهنالك صلاة أشبه بتزاهير التوبة تتلى في حال الخطيئة . ويلوح ان السحر والشعوذة كان لهما شأن خطير في معتقدات الحثيين . فقد ثبت انهم كانوا يؤمنون بضروب السحر وتأثير الطلاسم وقد تبطنت عقائدهم الخرافات والاوهام السخيفة . ودليلنا على ذلك ما عثر عليهِ في حفريات بوغاز كوي من الاكياد من خزف مغطاة بخطوط وشعوذات من شأنها ان تدفع الشرور والبلايا عن حامليها كما تبين من تفسير لوح وهو ان الوضع عندهم كان يجري على مقعد خاص يأتون بهِ من المعبد عند ما يبدأ المخاض . فاذا تحدش جسم المرأة بخشب ذلك المقعد في اثناء الوضع او كسر المقعد تحتم بفسر ذلك بان المرأة نجسة فيتحتم عليها ان تمر بسلسلة مراسيم شاقة لتطهير نفسها . قس على ذلك شتى انواع المعتقدات التي يسخجلها العقل . وقد أرتنا النقوش البارزة على جدران المعابد رسوم قصص خيالية لها علاقة بديانتهم مثل الرسم الذي يمثل عراك الآله الاكبر مع حيه رقطاء ونقش آخر يجسم لنا الغواية في رسم امرأة متصفة العري وغير ذلك من النقوش التي سنمر بها عند درس الآثار والفنون الحثية

ولعل اغرب ما في خرافاتهم قصة تلخص باختفاء الآله تلابينو عن وجه البسيطة غضباً وانتقاماً من البشر مما ادى الى اشراف الدنيا بامرها على الهلاك لحمل مزروعاتها والنحط الذي اصابها . فعقدت الآلهة اجتماعاً كبيراً قررت فيهِ ان توفد العقاب للبحث عن اخيهم تلابينو المختفي فجاب العقاب الفيافي والقفار ورجع صفر اليدين مما حمل الآله الاكبر على ان يتحراه بنفسه فجاب مساء كذلك وكانت النحلة اعرف المخلوقات بمخبئه فأمرتها الهمة الشمس ان تذهب اليهِ وتلذعهُ في يديه ورجليه ففعلت النحلة ما أمرت بهِ وتأثر تلابينو بلذعتها فارتدع عن غيهِ وعاد الى الارض فعادت معهُ الحياة الى مجاريها

ويجدر بنا قبل ان نختم موضوع الديانة ان نورد وصف لوقيانوس اليوناني لمعبد ادركه بجوار كركيش في القرن الثاني للميلاد مبني على طراز حثي يساعدنا على معرفة ما كانت عليهِ معابد الحثيين في قديم الزمان . فقد شبههُ بهيكل سليمان في اورشليم وقال انهُ كان مؤلفاً من دار خارجية وهيكل داخلي يحوي قدس الاقداس ويفصله عن باقي المعبد حجاب كثيف على جانبيه عمودان مخروطيان وفي الدار الخارجية مذبح كبير من النحاس وعلى شماله صورة الهمة ومن

(ش ٨)

حجر بارز النقش الحجم (٩٤ر٠ × ٧٧ر١ × ٩٣ر٠ × ٢٧ر١ × متر) اكتشف في قلعة حلب عام ١٩٣٠ ونقل الى متحفها عليه معبودان مجنحان يرفعان على قبضتيهما قرص الشمس داخل هلال وتدلّ هيأتهما على انهما يحلقان به في اجواز الفضاء وهو من الآثار الحثية التي تغلّب عليها تأثير الفن الميتاني

وراءها حوض ماء فسيح كان يسبح فيه السمك المقدس وفي داخل الهيكل فرص للشمس وتماثيل آلهة شتى معظمها على مثال الآلهة المكتشفة في حفريات بوغاز كوى منتصبة على اسد او على ظهر ثيران

القوانين

عزى الى الواح بوغاز كوى على مجموعة قوانين ترتقي الى سنة ١٣٥٠ ق . م . مشربة من روح الديانة الحثية فعني بترجمتها الطاء هروزني وزعرن وفريدرك ولما كانت تضم نحواً من مائتي مادة لم نر بدًّا من الاقتصار على تلخيص المهم منها

فقد قسمت بوجه العامة الى قسمين . قسم يبحث عن حقوق افراد الشعب وفروضه تجاه اوليائه والآخر يتعلق بملكية الاراضي والكروم وهي تعد من القوانين الشديدة ولاسيما ما يتعلق منها بالتأمين على واجبات الرعية تجاه مليكها وممثليه من رجال السلطة كما انها تحظر البت بحقوق اصحاب الاراضي الزراعية وتعين بعدل العلائق بين ارباب الصناعات وعمالهم

واذا تبسطنا في الحقوق المدنية نرى في المجتمع طبقتين : الاحرار والعبيد . اما طبقة الاحرار فقد شدد القانون في صيانة حقوقها بخلاف طبقة العبيد التي عبث بحقوقها حتى أبيح حرمة اعراضها . مثال ذلك اذا تزوج رجل من عبدة او ساكنة لايكلف دفع مال اما اذا عقد خطبته على فتاة حرة فيترتب عليه ان يدفع الى أهلها مهراً حتى اذا نكث بعهده يبقى لها حقًّا مكتسباً . وكانت طريقة الزواج عند الحثيين على نوعين فتى الاول تلتحق المرأة بعلها وفي الثانية يساكنها وهي في حظيرة اهلها وكان منذ القديم الزواج من الاخوات وبنات العم وبنات الخالات ومن سائر الاقربين محظوراً وفي حال وفاة الزوج يتحتم على اخيه او ابيه ان يقترن بارملته وليس في ذلك القانون نص على الطلاق على انهُ ينهى الوالد عن طرد ولده او ابنته ما لم يتكرر منهما ذنب خطير حتى اذا اختلس الابن اباه لايعد سارقاً . اما الملكية فكانت مصونة بحماية الآلهة تشهد مراقبتها الكهان وكانت تنتقل بحكم الطبع الى الابناء بعد وفاة الآباء وفاقاً لمراسيم تجري في المعبد مقابل أجر زهيد . اما المبايعات وفراغ الملكية من الغير فكانت تستوجب تفقات باهظة وتستلزم تضحية لماج في الحقل او في بقعة الملك المراد بيعها ولم يكن يستثنى من تكاليف هذه المعاملات غير الكهنة وبعض قيان المعابد . وكان نظام الاقطاعات شائعاً حيث نرى كثيراً من اراضي الخراج يقطعها الجنود وسائر الذين يؤدون خدمة جليلة الى الملك فتجعل لهم غلتها رزقاً يتوارثونهُ على اجيال متعاقبة . ومما يبحث عنهُ القانون الحثي تعيين اجور العمال التي يفهم منها أن الحداد والخزفي والنجار وكل معلم صنعة كان يتقاضى اجرة تقدرها عشرة مثاقيل من الفضة اذا كان حرًّا وستة اذا كان عبداً . وقس على ذلك بدل ايجار العقارات والاشياء المعينة وسعر الحاجيات الثمينة مما يضيق بحثنا عن استيعابه

اما فيما يتعلق بقانون الجزاء فقد كانت عقوبات الجرائم من اغرب ما سمعت به اذن فقد كان في تقديم بحكم على القاتل أن يقدم لاهل القتيل اربعة رجال عوضاً عن المفدور به اذا كان حرًّا ورجلين فقط اذا كان عبداً ثم استبيض في بعض النصوص المتأخرة بدية من الفضة على انهُ في حال احتفاء الجاني تكون البلدة التي حدثت فيها الجناية مسؤولة بمراضاة اهل القتيل وكان عقاب الاحتطاف والاعتداء على العفاف اشد من ذلك هولاً اذ ليس لهُ من جزاء غير القتل بيد ان الملك كان يمنح العفو في بعض الظروف. اما سارق المواشي فكان يحكم عليهِ بأن يعوض عن سرقته بثلاثين ضعف مثلها وسارق النحل يحبس في مبادٍ موثق اليدين

***

على أن هذه المواد ما لبثت أن تعدلت وخفت وطأة شدتها عما قبل مع تحوُّل الزمن. اما سائر المواد التي تتعلق بالسلطة والدين مباشرة فقد حوفظ على شدتها تعزيزاً لهيبة الحكومة التي كانت تمثل السلطة والدين. مثال ذلك: أن سرقة رمح بسيط من باب قصر الملك او معصية امر من اوامره كانت تعرّض صاحبها للموت المحتّم مع خراب بيتهِ وكان يذبح سارق الحقول المقدسة التي تخص الكهنة والمعابد ويقدم قرباناً للآلهة تكفيراً عما جنت يداه وكان يحكم على بعض العصاة بتر عضو من اعضائهم تأديباً لهم كجدع الانف وصلم الاذن وهلم جرًّا

وكان مسموحاً للرجل ان يقتص من زوجتهِ الفاجرة وعشيقها بالقتل اذا باغتهما بمخدعه في حالة مشينة. اما اذا ابطأ بالاقتصاص فلا يجوز لهُ أن يتعمد قتلهما. ويسلّم القانون الحقي في بعض الحالات بالأسباب المخففة كما ينص بتطبيق اقصى درجات العقوبة في حالات أُخر خلافاً لسائر القوانين القديمة التي لم تكن تراعي الدقة في ظروف الجرائم الى هذا الحد. مثال ذلك: يحكم بالقتل على الرجل الذي يعتدي على عرض امرأة في جبل منقطع. أما الامرأة فتبرأ ساحتها باعتبار الاعتداء واقعاً عليها عنوة في محل بعيد عن الاستغاثة ولكنها تتعرض للقتل عقاب المعتدي باعتبارها شريكة له بالاثم اذا وقع الامر في عقر دارها

***

وصفوة القول ان الحثيين مع شدة ميلهم الى التهتك كانوا يغارون على عرضهم غيرة قوية ويغالون في احترام قوانينهم لاعتقادهم انها موحى بها اليهم من الالهة ومن ميزات هذه القوانين انها كانت تأمر بالاحسان وتنهى عن المعاصي فيخال المرء عند تلاوتها ان بعض وصايا المسيح قد جاءت من اعماق القرون السحيقة

« في العدد التالي تتمة (الحضارة الحثية) وهي تتناول «الصناعة والتجارة والفنون »

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمد مصطفى الرمالي

— ١٦ —

الأُرْجُوَان

وبالفارسية (أرغوان) وفي الشام يقال له (الزَّمْزَرِيق) شجرته ترتفع من ٦ امتار الى ١٠ أوراقها تكون فرادى تتساقط الواحدة منها قلبية الشكل مستديرة كالأذن . أزهارها حمراء أرجوانية بهجة مكتظة في عناقيد تنبثق حتى من الفروع القديمة قبل إنبثاق الأوراق فتبدو الشجرة في مجموعها كأنها إكليل أرجواني وكل زهرة منها على صورة الفراشة وثمرتها قرن طوله من ١٣ سنتيمتراً الى ١٥

اسمها العلمي (Cercis siliquastrum, L.) (كركيس سليكواستروم)[1] وفصيلتها البقلية أو القرنية (الليغومينوزية) (Leguminosæ) وبالانجليزية (common Judas—tree, love—tree) والفرنسية (gaimier ou abre de Judée)

وهي شائعة في جنوب اوربا (الريفييرا) وفلسطين والشام تزرع للزينة ونظراً للحرافة المقبولة في طعم أزهارها ووفرة هذه الأزهار على الاغصان كثيراً ماتؤكل في اوربا ضمن « السلاطة » وخشب هذه الشجرة جميل تتخلله عروق سود وخضر وهو قابل للصقل الجيد

الإفسنتين الكبير

عشب معمّر متساقط الورق ورقته مضاعفة التقسيم الريشي الثلاثي يكسوها شعر حريري الملمس قصير ورؤوسه الزهرية (نوراته) متدلّية الواحدة منها شبيهة بنصف كرة وزهرته صفراء

(١) ديوفراسطوس هو الذي اطلق اسم كركيس (Cercis) على هذه الشجرة . قيل انها كانت محبوبة في الازمان القديمة في حدائق بيت المقدس وأن يهوذا الاسخريوطي صلب نفسه عليها

اسمه العلمي (Artemisia Absinthium, L.) (آرتميزيا ابسنثيوم)[1] وفصيلته المركبة وبالانجليزية (common wormwood) والفرنسية (grande absinthe ou absinthe)

وهو شائع في اوربا وشمال آسيا ووسطها وشمال افريقية وهو من نباتات الزينة ونافع في الطب مقوياً ومضاداً للتشنج والديدان ومتى استعمل من الظاهر كان حلالاً للاورام ومضاداً للعفن وقيل إن استعماله مفيد في أمراض القرص (داء الملوك) والاسقربوط (داء الحفر) والاستسقاء الى غير ذلك ومع أن الطب الحديث لا يعوّل على تأثيره في هذه الامراض الا نادراً فإن له بعض الفائدة في تقوية المعدة

أما العناصر الفعّالة فيه فهي الابسنتين (absinthin) ومادة زيتية قابلة للتبلور وزيت طيار خاص به . هذا وقد أوصى بعض الباحثين بالامتناع عن زرعه حيثما ترعى النحل وقالوا بزرعه منعاً لتفشي الحشرات

الإفسنتين الصغير

عشب قد يرتفع عن الارض متراً متساقط الورق معمّر ورقه ذات شعيرات من وجهيها السفلي وبشية مضاعفة وريشاتها على صورة خطوط ورؤوسه الزهرية (نوراته) كرية وزهرته صفراء

اسمهُ العلمي (Artemisia Pontica, L.) (آرتميزيا بونتيقا) من الفصيلة المركبة وبالانجليزية (true Roman wormwood) والفرنسية (petite absinthe ou absinthe pontique)

شائع في وسط أوربا وجنوبها وغرب آسيا وهو من نباتات الزينة أكثر عطرية وأقل مرارة من الإفسنتين الكبير المتقدم

أذن الحمار الكبير

وباليونانية (سمفيتون)[2] وقد جاء في بعض المعجمات (سنفيتون) وهو عشب معمر خشن أقرب شبهاً بالشجيرة جميل المنظر ولذا يعتبر من نباتات الزينة جذوره درنيّة وأوراقه بيضية الشكل الواحدة منها مستطيلة قاعدتها ممتدة الى أسفل وأزهاره بيض

اسمهُ العلمي (Symphytum officinale, L.) (سمفيتوم او فيشيالي) من فصيلة لسان الثور (الشنجارية) (Boraginaceae) (بوراجيناسية) وبالانجليزية (common comfrey or consound) والفرنسية (grande consoude; consoude officinale)

---

(١) قيل ان آرتميس (Artemis) هو من اسماء ديانا (Diana) ربة العفاف في اساطير اليونان وان هذا النبات سمي آرتميزيا نسبة لآرتميس المذكور فما كان يتجرع عن استعماله من البرء عاجلاً كما عند الاناث اما ابسنثيوم (Absinthium) فمعناه غير سار اشتقاقاً من (A) التي تراد في اول الكلمة اليونانية بمعنى النفي و (psinthos) اليونانية بمعنى مرور وذلك لما في هذا النبات من الطعم المر

(٢) هذا الاسم مشتق من (سمفيسيس) اليونانية المركبة من كلمتي (سن) حرف جر بمعنى معاً و (فيو) فعل بمعنى نمو اي النمو معاً او الالتئام وهذا كان السبب في اشتهار ذلك النبات وعمله طويلاً بأيدي دواة شافي الجروح

شائع في أوربا وغرب آسيا وفيه مادة غروية (mucilage) ولذا قد يستعاض به في الاستعمال عن الخطمي (الخطمية) (Althaea officinalis) وجذره يستعمل في الطب البيطري على الخصوص كما يستعمل دواء دافعاً للإسهال والبواسير

آذَانُ الأَرْنَب

ويقال لهُ في مصر (الخَلَبْلُوب) و (الحِلْوان) كما جاء في معجم النبات لموشلر الالماني عشب سنوي جميل المنظر ورقته بسيطة كاملة الحافة قاعدتها مكتنفة لساقه وزهرته صفراء

اسمه العلمي (Bupleurum rotundifolium, L.) (بوبلوروم روتوندیفولیوم) وفصيلته الصيوانية أو الخيمية (Umbelliferae) (اومبلیفرية)

وبالانجليزية (throw-wax ; thorow-wax; thoough-wax; buplever; hare's ear) والفرنسية (buplèvre; percé—feuille) شائع في اوربا وشمال افريقة وغرب آسيا وشمال أمريقة وهو ليس مهمًّا اقتصاديًّا

الأُسْـوخ

ويقال لهُ (ذَنَب الخَيْل) عشب معمّر ينمو بطبيعته في البقاع التي يوجد بها مستنقعات على الخصوص نذكر منهُ نوعين وهما :

(١) الهولندي : وهو دائم الاخضرار ساقه بسيطة قائمة خشنة جدًّا لتوفر مادة السليكا (الرمل) فيها وتحمل في اطرافها سنابل

اسمهُ العلمي (Equisetum hyemale, L.) (اكيستوم هايمالي) [1] وفصيلتهُ الأسوخية (Equisetaceae) (اكيستاسية) وبالانجليزية (Dutch — rush) والفرنسية (prêle des tourneurs) شائع في فرنسا وهولندا وبريطانيا ينتفع بساقه في جلاء الخشب والمعدن وكثيراً ما يستعمله بيّاضو النحاس وصانعو الاسباط وكان مرغوباً فيه قديماً لجلاء الأواني الزنكية والخشبية في المطابخ

(٢) الحقلي : وهو متساقط الاوراق ساقه غير المثمرة (العقيمة) تكون زاحفة على الارض ذات فروع بسيطة خشنة مربّعة الضلوع وساقه المثمرة ذات اغماد اسطوانية الشكل ذات اسنان

اسمهُ العلمي (Equisetum arvense, L.) (اكيستوم اروانسي) وبالانجليزية (corn — horse tail) والفرنسية (prêle des champs ; rêle petite) شائع في اوربا ولا سيما بريطانيا ويكثر في الاراضي المزروعة وهو من الاعشاب الضارة في الاراضي الغير طينيّة (المكونة من الطمي) العميقة وهي التي تنشأ عن الانهار والبحيرات

---

(١) اشتق اسم (Equisetum) اللاتيني ومعناه شعرة حصان اشتقاقاً لفظياً من كلمتي (equus) اي حصان و (seta) اي شعرة وذلك لوجود فروع دقيقة كالشعر في جميع الانواع من هذا النبات

المارستانات العربية

المارستان النوري الكبير بدمشق

للدكتور سامي حداد

عضو الكلية الطبية الاميركية وأحد
اساتذة العلوم الطبية بجامعة بيروت الاميركية

يقع في جادة المارستان الى الجهة الشرقية من سوق الحميدية المشهور . ويبعد عن القلعة نحواً من خمسمائة متر تقريباً

انشأهُ السلطان العادل نور الدين محمود ابو القاسم بن زنكي اق سنقر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤م) وهو من أشهر المارستانات العربية ولا تزال ابنيته قائمة . ونور الدين زنكي هو ثاني ملوك الدولة النورية كردي الاصل حكم في العجم والعراق والجزيرة وتسلم زمام الحكم في سوريا بعد قتل والده عماد الدين في سنة ٥٤١هـ(١١٤٦م) وامتد حكمه الى مصر وتوفاه الله سنة ٥٦٩هـ(١١٧٣م)

ندر ان خلد التاريخ لاحد من ملوك الارض ذكراً كالذي خلده لنور الدين . فاليك ما قال فيه ابن الاثير : — « وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا اكثر تحرياً منهُ للعدل واشهر بزهده وعبادته وعلمه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الاَّ في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة . . . ولقد شكت اليه زوجته الضائقة فأعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت لهُ يحصل منها في السنة نحو عشرين ديناراً فلما استقلتها قال ليس لي الاَّ هذا وجميع ما يبدي انا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لاجلك. اه »[٢]

اما سبب بنائه المارستان فيرجع الى انهُ « حارب الافرنج في حرب الصليبيين الثانية فوقع في اسره بعض اكابر ملوكهم فقطع على نفسه في فدائه مالاً عظيماً وشاور أمراءه بذلك فأشار كلٌّ بعدم اطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ، ومال نور الدين الى الفدية بعد ان استخار الله تعالى فأطلقهُ ليلاً . فلما بلغ الفرنجي مأمنهُ مات وبلغ نور الدين خبره فبنى بذلك المال

المارستان ومنعهُ الامراء لانهُ لم يكن على ارادتهم » اه[٣٢] وتولى بناءه كمال الدين الشهرزوري وكان الحاكم المتحكم في الدولة النورية بدمشق . « وكان في ذلك الزمن طبيب يدعى مؤيد الدين ابو الفضل بن عبد الكريم الهندسي بارعاً في علم الهندسة وفن التجارة . فصنع اكثر ابواب المارستان » اه[٣٣] ولا يبعد ان يكون بعض هذه الابواب باقياً اليوم ورمم هذا المارستان مراراً وأضيف الى بنائه واملاكه . ولكن لم تحدث هذه الترميمات تغييراً ذا شأن فيه

واول ترميم جرى في ايام الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين محمود بن الملك العادل (احد الملوك الايوبيين) سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧م) . « وتولى الطبيب بدر الدين المظفر ابن القاضي مجد الدين الرآسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحين بدمشق وكتب لهُ منشوراً بذلك . فاشترى بدر الدين دوراً كثيرة ملاصقة للمارستان واضافها اليهِ وكبر بها قاعات كانت صغيرة . وبناها احسن بناء وجعل الماء فيها جارياً فاكتمل بها المارستان » اه[٣٤]

والترميم الثاني جرى في ايام الملك المنصور سيف الدين قلاوون ملك مصر الذي اتى الشام اذكان اميراً سنة ٦٧٥ هـ (١٢٨٦م) فأصابهُ بها قولنج عظيم فعالجهُ الاطباء بادوية اخذت من المارستان النوري فحفظ ذلك وملا تلك على معتبر امر ناظر المارستان بدمشق ان يعيد ترميمهُ . واقيمت في اثناء هذه الترميمات لوحة رخامية تذكارية فوق الباب الداخلي لا تزال الى الآن وهذا ما نقش عليها :

وسع سنة اثنين وثمانين وستمئة

« بسم الله الرحمن الرحيم . والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منًّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً . وقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث . علم ينتفع بهِ ، أو ولد صالح يدعو لهُ ، أو صدقة جارية . والمولى السلطان الغازي في سبيل الله نور الدين ابو الثنا محمود بن زنكي بن اق سنقر قدس الله روحه من جمع الله سبحانه وتعالى لذاته وصف العالمين . ومن شرط وقفه الذي اشهد بهِ على نفسه انهُ وقف على المارستان المعروف بالنوري وجعله مقرًّا لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضعفة المسلمين الذين يرجا (يرجى) برؤهم . وهو يستعدي الى الله تعالى من يساعد في تغيير مصارف وقفه واخراجها عما شرطه ويخصها صمه بين يديهِ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء لو ان بينها وبينهُ أمداً بعيداً . ويجدد ما كان تهدم من بنيانه وبناء أوقافه في الايام السلطانية العادلية الصالحية خلّد الله سلطانها بنظر الفقير الى الله تعالى عمر ابن ابي الطيب غفر الله لهُ ولمن أعان من المسلمين على عمارة هذا الوقف المبارك . وكان الفراغ منهُ فجر العشر الاول من ربيع الثاني سنة ٦٨٢ » . اه . والترميم الأخير جرى « في القرن الثامن عشر

على يد حسن باشا التركي المعروف بشوربجي حسن وبقي المارستان عامراً يستقبل المرضى الى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكان أطباؤه وصيادلته لا يغلون عن العشرين حتى قامت بلدية دمشق بانشاء مستشفى الغرباء وجعلت بناية المارستان النوري مدرسة أميرية للبنات » . [٩] اه

وقد ورد ذكر المارستان القديم والمارستان النوري في رحلة ابن جبير الذي زار دمشق سنة ٥٧٨ هـ وكتب عنهما ما يلي : « وبها (اي بدمشق) مارستانان قديم وحديث والحديث أحفلهما وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً وله قرمة بأيديهم الازمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها من الأدوية والاغذية وغير ذلك والاطباء يكرون اليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلح من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل انسان منهم . والمارستان الآخر على هذا الرسم لكن الاحتفال في الجديد أكثر . وهذا القديم هو غربي الجامع المكرم » . [١٠] اه

واليك وصف المارستان النوري كما هو في حالته الحاضرة : — مدخله واقع في الجهة الجنوبية منه وبارز عن واجهة البناء وهو في غاية الفخامة والعظمة . ويعلو باب المدخل قبة نصفية مزينة بالنقش المقرنص ونحتها عتبة من الطرز اليوناني لعلها مستعارة من أثر يوناني قديم أضيفت الى البناء في أثناء أحد الترميمات . ومصراعا الباب مصفحان من الجهة الامامية بالحديد المزين بالنقوش الهندسية الجميلة وفي وسط كل منها مقرعة حديد ضخمة تزيد هيئة الباب عظمة . (شكل ٢) والجهة الخلفية مزينة حشواتها الخشبية بنقوش نافرة متقنة الصنع (شكل ٣) والى الجهة الشرقية من هذا الباب من الخارج سبيل ماء جار أضيف في أثناء الترميمات التي جرت سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م)

ويفضي الباب الخارجي الى رواق مربع تعلوه قبة مرتكزة من كل من جانبها الأيمن والأيسر على قبة نصفية وكلها منقوشة نقشاً مقرنصاً . ويقابل الباب الخارجي باب داخلي بحجمه ولا يقل عنه جمالاً واتقاناً (شكل ٤) وفوقه اللوحة الرخامية التي سبق الكلام عنها (شكل ٥)

ويفضي هذا الباب الى مدخل صغير ومنه الى الباحة . والى جانبي هذا المدخل غرفتان كبيرتان من نوع العقد المصلب الشاهق البناء ومما يستوقف النظر صغر بابي هاتين الغرفتين بالقياس الى سعتهما وعلو سقفيهما . اما الباحة فساحتها نحو من ٤٠٠ متر مربع والى جانبيها الشرقي والغربي ايوان متوسط بين غرفتين فسيحتين . وقد ازدانت جدران الايوانين بنقوش هندسية جميلة وفي اثناء الترميم الاخير أقيم حائط أمام الايوانين فجعل كلاً منهما غرفة صغيرة . وفي صدر الباحة إيوان متسع قائم على كل من جداريه الشرقي والغربي لوحتان رخاميتان منقوش عليها الآيات القرآنية الآتية : —

(١) يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في

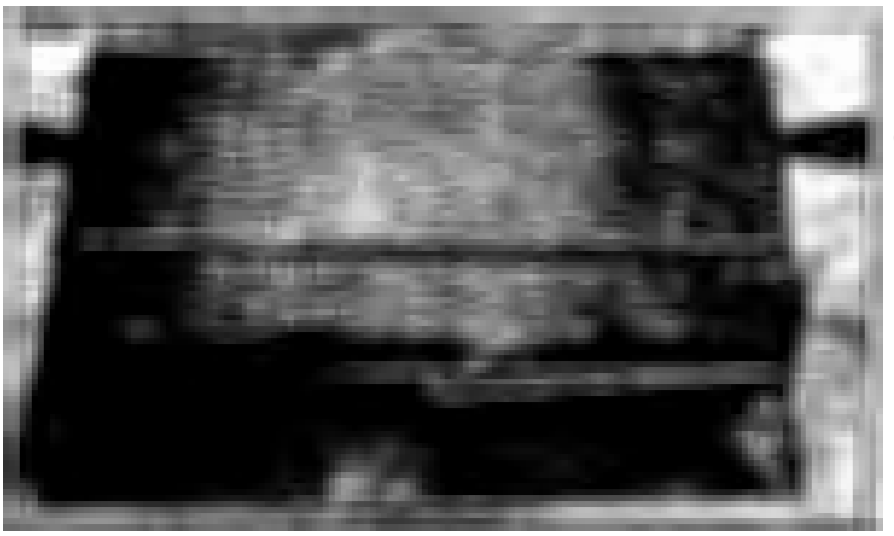

تصوير المؤلف ش ٥

اللوحة الرخامية فوق الباب الداخلي للمارستان النوري الكبير

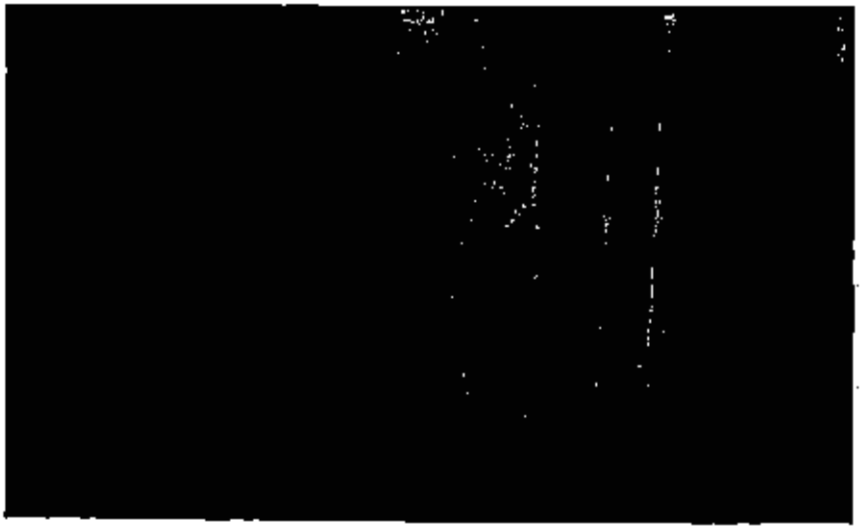

تصوير المؤلف ش ٦

زاوية الديوان الشرقي في المارستان النوري الكبير

(٢) الصدور . يخرج من بطونها شرابٌ مختلف ألوانهُ (فيه شفاء للناس)
(٣) فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
(٤) واذا مرضت فهو يشفين والذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي

أطباء المارستان النوري الكبير

ترجم لنا ابن ابي اصيبعة عدداً من الاطباء الذين خدموا المارستان النوري الكبير اليك خلاصة ترجمتهم

(١) اول طبيب عقد نور الدين عليه ادارة المارستان هو أبو علي ابو المجد بن ابي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي واطلق لهُ جامكية وجراية. وكان ابو الحكم من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والافاضل في صناعة الطب والاماثل في علم الهندسة والنجوم . كان يدور على المرضى في المارستان ويتفقد احوالهم كل يوم . وبعد الفراغ من ذلك يطلع الى القلعة ويتفقد المرضى من اعيان الدولة . ثم يرجع الى المارستان ويجلس في الديوان الكبير ويجيء مفروش وكان نور الدين قد وقف جملة كبيرة من الكتب الطبية وضعت في خزانتين في صدر الديوان الكبير. فيحضر جماعة الاطباء والتلامذة ويعقدون بين يدي ابي الحكم فتجري المباحث الطبية ويقرىء التلامذة وهو لا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب الى داره . وتوفي بدمشق سنة نيف وخمسماية هجرية (٣٥)

(٢) الشيخ مهذب الدين ابو الحسن علي بن ابي عبد الله عيسى ابن هبة الله النقاش . مولده ومنشؤه ببغداد عالم بالعربية والادب يتكلم الفارسية . اشتغل بصناعة الطب على امين الدولة هبة الله صاعد بن التلميذ . ثم أتى الى دمشق وذهب الى مصر ثم رجع الى دمشق وخدم فيها الملك العادل نور الدين وخدم ايضاً في المارستان النوري . ولما مات الملك العادل خدم صلاح الدين الايوبي وتوفي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨م) . وكان كثير الاحسان محبًّا للجميل (٣٦)

(٣) موفق الدين ابو نصر اسعد بن ابي الفتح الياس بن جرجس المطران. كان سيد الحكماء وافر الآلاء جزيل النعماء أميز اهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها . خدم صلاح الدين الايوبي فسره باحسانه ، وانرفه بمنه ، وكان يحترمه ويجله لما قد تحققه من علمه . وكان يغلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر . وحدث بعض من يعرفه فيما يتعلق بعجبه وادلاله على صلاح الدين انهُ كان معهُ في بعض غزواته وكانت عادة صلاح الدين ان ينصب لهُ خيمة حمراء وكذلك دهليزها وشقتها . وكان صلاح الدين راكباً يوماً واذا به قد نظر الى خيمة حمراء اللون وكذلك شقتها ومستراحها تبقي متأملاً لها وسأل لمن هي فأخبر انها لابن المطران الطبيب . فقال والله لقد عرفت ان هذا من حماقة ابن المطران وضحك ثم قال ما بنا ألاَّ يعبر احد من الرسل فيعتقد انها لاحد الملوك واذا كان لا بد فيغير مستراحها وأمر به أن يرمى. ولما رُمي صعب ذلك على

ابن المطران وبقي يومين لم يقرب الخدمة فاستوحاه السلطان ووهب له مالاً . وكان موفق الدين كريماً محبًّا لعمل الخير يساعد تلاميذه على تحصيل رزقهم . وخدم المارستان اجلّ خدمة . وكان معهُ تلميذه مهذب الدين الدخوار الذي تولى رآسة المارستان بعد مدة . وعمران الاسرائيلي الطبيب وابن ابي اصيبعة الكحال وابن حمدان الجرائحي الذي كان يجري العمليات الجراحية على مرأى من التلامذة وابن المطران يتفقد نبض المريض في اثناء العملية . وكان لموفق الدين همة عالية في تحصيل الكتب . ولما مات كان في خزانته منها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخهُ . وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منهُ الجامكية والجراية . ولهُ مؤلفات نفيسة في الطب منها المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية ، وكتاب آداب طب الملوك وغيرها . وقد ادركه الاجل قبل ان يتم كتابه بستان الاطباء وروضة الالباء . ومما يؤسف له جداً ان كل كتبه قد فقدت وتوفي سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١م)[٣٧]

(٤) مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحارثي المعروف بالهندسي ولد ونشأ بدمشق . كان اول امره نجاراً ومحاتاً وهو الذي نجر ابواب المارستان النوري . وكان يصلح ساعات الجامع الاموي بدمشق وهي من صنع والده . وقد طب للمارستان وكان له منهُ جامكية الى ان توفاه الله سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢م) وله من العمر سبعون سنة[٣٨]

(٥) موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار ابن ابي محمد اللمطي . كان كثير الخير محبًّا له مؤثراً للجميل غزير المروءة شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً من كان منهم ضعيف الحال يتفقدهم ويعالجهم ويوصل لهم النفقة وما يحتاجون اليهِ من الادوية والاغذية . خدم المارستان الكبير ثم الملك العادل ابا بكر بن ايوب . ويظهر انهُ كان رئيساً لاطباء المارستان الكبير لان مهذب الدين الدخوار خلفهُ في هذه الرياسة كما سنرى . وتوفي سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧م)[٣٩]

(٦) رضي الدين ابو الحجاج يوسف بن حيدره بن الحسن الرحبي تلميذ مهذب الدين الدخوار . كان نقاشاً . خدم صلاح الدين الايوبي واخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب وكان ملازماً للقلعة والمارستان ومن أغرب ما ذكره عنهُ انهُ قال «السلّم منشار الصبر» وحكى عنهُ انهُ قال اني منذ اشتريت هذه القناعة التي انا ساكن فيها اكثر من خمس وعشرين سنة لا اعرف اني طلعت الى الحجرة التي فوقها الا وقت استعرضت الدار واشتريتها وما عدت طلعت الى الحجرة بعد ذلك الى يومي هذا وكان في اثناء خدمته في المارستان اكبر الاطباء سنًّا واعظمهم قدراً واشهرهم ذكراً . وكان أحد الاساتذة الذين ألقوا الدروس على الراغبين في علم الطب بالمارستان ومن معاونيه مهذب الدين الدخوار والحكيم عمران الاسرائيلي وعاش مائة سنة وتوفي سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦م)[٤٠]

(٧) كمال الدين أبو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي . كان كثير الخير وافر المروءة

كريم النفس اشتغل في الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي وبقي سنين يتردد على المارستان يعالج المرضى فيه احتساباً . ثم ألزم بعد ذلك بان قرر له جامكية وجراية وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) [٤٠]

(٨) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي . افضل اهل زمانه في العلوم الحكمية وفي علم الطب سافر من الشام الى بلاد العجم واشتغل هناك بالحكمة على نجيب الدين اسعد الهمداني وقرأ صناعة الطب على رجل من اكابر العلماء واعيانهم في بلاد العجم كان قد اخذ الطب عن تلميذ لابن سهلان عن السيد الايلاقي محمد . وكان ذا همة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط . له مجلس يدرّس فيه الطب . خدم الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن صلاح الدين واقام عنده بحلب وبعد وفاة غياث الدين اتى الى دمشق وخدم المارستان النوري الى ان توفي سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) وله من العمر احدى وخمسون سنة وله كتب كثيرة [٤١]

(٩) مهذب الدين احمد بن الحاجب . مولده بدمشق سافر الى الموصل وعاد الى دمشق واشتغل فيها بالطب فأتقنهُ واشتهر فيه واتقن العلوم الرياضية واعتنى بالادب . له تصانيف جليلة خدم صلاح الدين الايوبي والمارستان النوري الكبير . ثم توجه الى حماه حيث خدم الملك المنصور واقام عنده نحو سنتين وتوفي بالاسبتساء [٤٢]

(١٠) مهذب الدين ابو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد الدخوار . ولد ونشأ بدمشق واشتهر هو وابوه بالكحالة . واشتغل فيها في بدء امره وخدم المارستان النوري ككحال . واجتهد في تحصيل العلوم ونسخ الكتب وقرأ الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي وموفق الدين المطران وفخر الدين المارديني . خدم الملك العادل ابا بكر بن ايوب بصناعة الطب . وتعين في خدمة العسكر في ايامه . ثم لما مات موفق الدين عبد العزيز عين رئيساً على الاطباء في المارستان الكبير وعين لهُ منهُ جامكية وجراية لخدم المارستان خير خدمة . وكان من معاصريه ممن خدموا في المارستان رشيد الدين الصوري وعمران الاسرائيلي وابن ابي اصيبعة ومهذب الدين ابن الحاجب والشيخ رضي الدين الرحبي

ولما توجه الملك العادل الى مصر اخذه معهُ وولاه رياسة اطباء الديار المصرية بأسرها واطباء الشام ولما استقر ملك الملك المعظم بالشام بعد موت ابيه استدعى مهذب الدين اليه ورسم لهُ ان يقيم فيها وان يخدم المارستان الكبير واطلق لهُ جامكية وجراية . فخدم المارستان خير خدمة . وأسس مدرسة لتعليم الطب في داره فاجتمع اليه خلق كثير من أعيان الاطباء وغيرهم يقرأون عليه الطب وهو يبحث معهم كل في درجة علمه . وكان اذا فرغ من ذلك يصرف بقية نهاره واكثر ليله في الحفظ والدرس والمطالعة . ووقف داره وجعلها مدرسة

يدرس فيها من بعده صناعة الطب ووقف لها ضياعاً وعقاراً اما كان يستغل منها ما يصرف في مصالحها وفي جامكية المدارس وجامكية المشتغلين بها ووصى ان يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحبي وفي سنة ٦٢٨ حضر الحكيم سعد الدين ابراهيم ابن الحكيم موفق الدين عبد العزيز وجماعة من الفقهاء والحكماء وشرع الحكيم شرف الدين بن الرحبي في التدريس بها واستمر على ذلك سنين عدة . ولمهذب الدين كتب كثيرة في الطب واللغة وكان شاعراً رقيقاً [٤٣]

(١١) ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع السيباني الحلوي ويعرف بابن رقيقة . كان صديقاً حميماً لابن ابي اصيبعة فترجم هذا لهُ ترجمة فائقة . قال فيهِ ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، تميز على سائر نظرائهِ واضرابهِ من الحكماء والمتطببين ، ذو الفطرة الفائقة ، والالفاظ الرائقة ، والنظم البليغ ، والنثر البديع . ولد بمدينة حيني سنة ٥٦٤ هـ ونشأ بها وكان طبيباً وكحالاً وجراحاً وتقلب في خدمة عدة ملوك وامراء وفي سنة ٦٣٢ وصل الى دمشق وكان بها الملك الاشراف فاكرمهُ واحترمهُ وامره بان يتردد الى الدور السلطانية بالقلعة وان يواظب على معالجة المرضى بالمارستان الكبير واطلق لهُ جامكية وجراية وبقي يشتغل فيهِ الى ان توفاه الله سنة ٦٣٥ هـ . (١٢٣٧م) ولهُ كتب كثيرة [٤٤]

(١٢) اوحد الدين عمران بن صدقة الاسرائيلي قد مرَّ ذكره . ولد بدمشق سنة ٥٦ وكان ابوه طبيباً واشتغل على الشيخ رضي الدين الرحبي بصناعة الطب وصار من اكابر المتطببين من اهلها وحظي عند الملوك واعتمدوا عليهِ وقد عين في خدمتهم وحصل من الكتب النطبية وغيرها مالا يكاد يوجد عند غيره . خدم المارستان الكبير في ايام الدخوار وابن ابي اصيبعة وتوفي سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩م) [٤٥]

(١٣) سعد الدين ابو اسحق ابراهيم ابن عبد العزيز بن عبد الجبار بن محمد السلمي . ابن عبد العزيز المار ذكره سابقاً (٥) . ولد بدمشق سنة ٥٨٣ وخدم صناعة الطب في المارستان الكبير ودخل في خدمة جملة من الملوك والامراء وتوفي سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦م) [٤٦]

(١٤) رشيد الدين علي ابو الحسن بن خليفة بن يونس بن ابي القاسم بن خليفة مولده بحلب سنة ٥٧٩ هـ وهو عم ابن ابي اصيبعة . درس الطب مع اخيهِ بمصر فلازما الشيخ جمال الدين بن ابي الحوافر ، وكان رئيساً للاطباء بمصر ، والشيخ ابا الحجاج يوسف . ثم عاد رشيد الدين ودرس على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي . ثم انتقل مع والده الى دمشق ولهُ من العمر عشرون سنة فحضر مجلس الاستاذ رضي الدين الرحبي وباشر المرضى في المارستان الكبير في ايام الدخوار وموفق الدين المطران . وعلاوة على طبه كان لغوياً ادبياً فقيهاً يجيد العربية والفارسية والتركية والموسيقى وفي سنة ٦١٥ ولاه الملك العادل ابو بكر ايوب طب المارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل فكان يتردد اليهما والى القلعة وقرر لهُ جامكية

تصوير المؤلف ش ٢
مدخل المارستان النوري الكبير

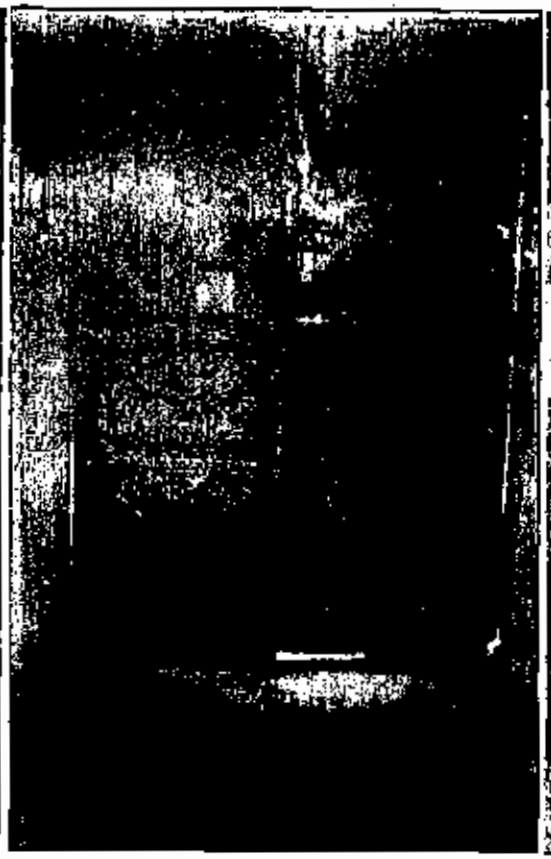

تصوير المؤلف ش ٣
مصراعا الباب الخارجي للمارستان النوري الكبير
كما يريان من الداخل

تصوير المؤلف ش ٤
باب المارستان النوري الكبير الداخلي

وجراية وجعل له مجلس عام لتدريس صناعة الطب واجتمع بالسيد الامام العالم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه وألبسه خرقة التصوف وذلك في سنة ٦١٥ . ولهُ كتب كثيرة في الطب والادب والحساب وغير ذلك من الفنون[٣١]

(١٥) شرف الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي . ابن رضي الدين الرحبي الذي مرَّ ذكره (٦) . ولد بدمشق سنة ٥٨٣ هـ وحذا حذو أبيه واتقن ما كان يقتفيه وهو أشبه به خلقاً وخلقاً . خدم مدة في المارستان الكبير وتولى التدريس في المدرسة الدخوارية وكانت وفاته سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨م) [٤٧]

(١٦) جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي . ابن رضي الدين (٦) واخو شرف الدين [١٥] . مولده ومنشده بدمشق خدم المارستان الكبير وكان يحب التجارة ويسافر بها في بعض الاوقات الى مصر وتوفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨م) [٤٨]

(١٧) بدر الدين بن قاضي بعلبك . نشأ بدمشق وقرأ الطب على الشيخ مهذب الدين الدخوار سافر الى الرقة وخدم في المارستان هناك ثم أتى الى دمشق واستخدمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود بن الملك العادل وكان حظيًّا عنده مكيناً في دولته . ولاه الرياسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحين وكتب لهُ منشوراً بذلك سنة ٦٣٧ هـ . فجدد في محاسن الطب ما درس واعاد من الفضائل ما دثر وكان محبًّا لفعل الخير . مرَّ بنا انه وسع المارستان النوري ورأسه بموجب منشور من الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل سنة ٦٤٥ هـ وقد قرأ الكتب الفقهية والفنون الادبية وحفظ القرآن حفظاً لا مزيد عليه ولهُ كتب كثيرة في الطب وسواه [٣٤]

(١٨) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن ابي المحاسن الكلي . والده اندلسي اتى الى دمشق فنشأ شمس الدين بها وقرأ الطب على الدخوار . وحفظ كليات قانون ابن سينا حفظاً متقناً حتى لقب لاجل ذلك بالكلي . خدم الملك الاشرف والمارستان الكبير [١٩]

(١٩) عز الدين ابو اسحق ابراهيم بن محمود بن السويدي . ولد بدمشق سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣م) ونشأ بها . درس الطب على الدخوار وبرع به وخدم المارستان النوري الكبير والمارستان الذي بباب الحديد . وتردد الى القلعة وكان يدرس في المدرسة الدخوارية وله جاسكية من كل هذه الجهات . وكتب بخطه كتباً كثيرة وكان صديقاً لابن ابي اصيبعة [٣٢]

(٢٠) عماد الدين ابو عبد الله محمد بن القاضي الخطيب الدنيسري . ولد بمدينة دنيسر سنة ٦٠٥ هـ واشتغل فيها بالطب واتى دمشق وخدم المارستان الكبير والاسرة الناصرية اليوسفية بالقلعة وكان شاعراً . ولهُ كتب كثيرة [٥٠]

(٢١) ابن العبري (مختصر الدول) معجم سركيس [٤]

حيوانات مشهورة
وصحة أسمائها

للقس بولس الراسبوتي ابن المعلوف

أوردت في الجزء الماضي بعض الحيوانات المشهورة وصحة رجمها وها أنا أذكر الآن غيرها مما قد يرد على الكتّاب والمؤلفين وأذكرها اختباطاً لا رابط بينها أو رابط قليل ولا أريد بذلك الا خدمة العلم واللغة وأصحاب المعاجم الانكليزية وإني أرجو منهم ان يقللوا من الحذلقة ما أمكن تسهلاً يسهلوا القارىء وإني ذاكر الالفاظ الانجليزية دون الالفاظ العلمية أو الفرنسية فهذه لا يعسر العثور عليها لمن أراد

ظبي أو غزال Gazelle

حيوان رشيق من ذوات الظلف مجوّف القرون وهو أنواع كثيرة ذكرت معظمها في معجم الحيوان من ١١٢ منهُ نوع في جزيرة العرب ونوع آخر في الفيوم جنوباً يعرّف كلاهما بالرئم في أيامنا ولم يذكر الظبي بهذا الاسم في التوراة الانجليزية بل باسم آخر على ان اسمهُ المشهور هو هذا وهو عربي . أما الظبي فقد ورد في التوراة العربية بهذا الاسم وترجمته صحيحة

إيّل جمعه أيايل وأيائل Deer or Hart. Male called stag female doe

والأيايل فصيلة من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة ومصمتة أي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء وهي تسلخ عنها كل عام وينبت غيرها اما أناثها فجمّ اي لا قرون لها . وفي كثير من المعاجم خلط كبير بين الظبي والايّل فيسمون الواحد منها باسم الآخر والصواب ما ذكر . والظباء على الغالب في البلاد الحارة والأيايل في البلاد الباردة

يحمور Roe, Roebuck, Roe deer

نوع من الايايل لكل من قرنيه ثلاث شعب قصير الذنب احمر اللون آزر أبيض العجز غير البطن مصفره ينفصل قرنيه كالايّل

ولم تذكر المعاجم هذا الايل باسمه هذا ولا ذكرت صحة ترجمته وهو وارد في التوراة .

والظباء كثيرة في مصر وسورية وجزيرة العرب واليحمور كان في سورية الجنوبية اي فلسطين الى زمن قريب وهذه الحيوانات الثلاثة مذكورة في التوراة والايل كثير في الاناطولية واوربة. واليحمور لا يزال معروفاً في اوربة ولا سيما في حدائقها العامة

جاموس (فرسية معربة)	Buffalo
جاموس هندي او اهلي واصله من الهند	Buffalo, Indian or Water buffalo
جاموس افريقي	Buffalo, African

وهو من جنس آخر خلاف الهندي ومن اشد الحيوانات خطراً على الانسان

جَيْهل (هندية معربة وتعريب بوست)	Gayal
جُور (هندية معربة وتعريب بوست)	Gaur
بَيْسون (تعريب احد فارس)	Bison
بقر دوبانية والواحدة بقرة	Zebu

قوتاش وقطاس. خُشقاء. كلهُ تركي معرب وهو الذي كان الترك يلقبونهُ في اعلامهم Yak فيقال للواحد منهم باشا ذو ذنب واحد وباشا ذو ذنبين وباشا ذو ثلاثة اذناب وقد بطلت هذه الاذناب الآن والا كانت جميع البقر لا تكفي واذكراني قرأت في الانجليزية قصة اسمها الباشا ذو الاذناب العديدة وفي الانجليزية جناس في الاذناب فاذا هي ذو القصص العديدة

بيسون اوربي	Aurochs or Wisent
بقر جاوة او ثور جاوة وان شئت الخذلفة فقل الزابج	Banteng
نلجاي او بقر ازرق والواحدة بقرة	Nilgai
بقرة وثور والبقرة تطلق على الذكر والانثى	Cow and Ox
بقرة المسك	Musk ox

هذه الحيوانات جميعاً من جنسي البقر وهي تلو الظباء ولا يخفى ان البقر مجوفة القرون كالظباء لا كالايائل وليس في المعاجم كلها من هذه الحيوانات مع صحة ترجمتها الا الجاموس

فُقْمة وفُقَّمة	Seal

حيوان من لواحم البحر شبيه بالسمك في الظاهر لكنهُ حيوان لبون ومن ذوات الرئتين والكلمة تعريب فوقي اليونانية وهي شائعة في بيروت فهل تعريب العامة هذا خيرٌ من تعريب الخاصة فالعامة قالوا فقمة والخاصة قالوا فوقي لكنهم صحفوها وكتبوها فوقي في بعض مؤلفاتهم منها مفردات ابن البيطار وغيرها واستعملوها لحيوان آخر كما صحفوا الدنانير الفوقية وصوابها الفوقية من ضرب فوقا ملك الروم قبل هرقل . وأرى ان تعريب العامة افضل من تعريب الخاصة.

ومن اسماء هذا الحيوان شيخ البحر والشيخ اليهودي وابو مريمة وليس من هذا الجنس غيره في البحر المتوسط ولا بأس باطلاقه على جميع الانواع التي ذكرتها في ص ٢٢٢ من معجم الحيوان مع ان الفقمة هذه ليست الا في البحر المتوسط وليس فيه غيرها . قلت ولم يذكر اصحاب المعاجم هذا الحيوان على صحته

اطوم . مليصة . زالحة . حنشلة Dugong or Halicore

حيوان لبون من بنات الماء او الخيلان يقال له في ساحل سواكن ناقة البحر وفي الطور البطوم اي الاطوم وكاد ينقرض اوردته في ص ٨٨ وص ١١٢ من معجم الحيوان . وكلة أطوم فصيحة أوردها كعب بن زهير في « بانت سعاد » ولم ار معجماً كتب اسم هذا الحيوان على صحته ولا سيما في مادة Dugong واظن الاطوم افصحها لذلك قدمتها على الكلمات الاخرى

أما قولي الخيلان فعن الاب انستاس واظنه أخذها عن محيط البستاني وهذا أخذها على ما أظن عن فريتاغ ولم أعثر عليها الا في محيط المحيط فليدافع الاب انستاس عن هذه الكلمة وقد سمعتها منهُ في بغداد . اما بنات الماء فحقها ان تكون بنات البحر لانها ترجمة اسمها في لكن بنات الماء في كتاب قديم ذكره شارح كتاب عجائب الهند . وأظن الذي اراده البستاني في قوله سرنس انها كلة يونانية محرفة هي اسم امرأة جميلة سميت بها فصيلة هذا الحيوان ولعلها شيرين الحسناء الفارسية وكانت يونانية الاصل في ما أظن

ظربان Ratel

حيوان من اللواحم اي آكلات اللحوم اصغر من السنور اصلع الاذنين مجتمع الرأس طويل الخطم قصير القوائم اسود الظهر ابيض البطن والذنب كريهة جداً . اما احد انواعه في السودان فيسمى ابو دجاجة ولصلوص ذكرها فون هوغلن وابوكيم ذكره روبل وهو لا يعول عليه في اسماء الحيوان بالعربية وسمعت في حديقة الحيوان ابو كعب

هذا تقريباً وصف ابن سيده . ووصف غيره من اللغويين فراجع ما كتبوه

وكنت قد سميت هذا الحيوان الرتل وآكل النمل في معجم الحيوان ص ١٦٠ فالرتل اعجمية وآكل النمل ترجمة اسمهُ النوعي وابقيت الاسمين الاخيرين الى ان يهتدي احد الناس الى اسمه الحقيقي ولم أدرِ يومئذٍ اني سأهتدي اليه وهو الظربان المشهور عند العرب وقد اهتديت اليه من قول الميجر تشيزمان كما ذكرت في ص ١٣٣ واري الآن ان الميجر مصيب في . . فانهُ ومن شاء مناقشتي في ذلك فاني اناقشهُ على شرط ان يرفع الحذلقة

ظربان افريقي منهُ نوع اسمهُ ابو عَفَن وابو المنتن Zoril

ظربان اميركي Skunk

بقي عليَّ ان اقول ان المعاجم لم تذكر هذه الحيوانات الاربعة فلتذكرها الآن ولكن بلا حذلقة فالظربان قد انتبى كثيراً وان الميجر تشيزمان سماه باسم السر ارنولد ولسن عدو

العرب وخصم كل امة تطلب استقلالها فسم هذا الحيوان ظربان ولسن Mellivora wilsoni
تهل هذه مصادفة

الحمير وهي كثيرة وقد ذكرتها في الصفحة ٩٨ والصفحة ٢٧٠

حمار . عير . اخطب Domestic ass

يسمى الاهلي عيراً والاخطب لان لهُ جُدّة على ظهره ويظن انهُ كان قبلاً في جزيرة العرب ثم انقرض . اما الآن فليس من الحُمُر هناك الاَّ الفراء الآتي ذكره

فَرَاء Syrian wild ass

وهو الفراء المذكور في التوراة والفراء عند العرب وليس الفراء جُدّة على ظهره

فراء التبّت . قولان بالتركية سميتهُ بالفراء لانهُ لا جدة لهُ Kiang

اخدر واخدري Onager

وهو حمار وحشي سريع جدًّا اما سبب ذكر هذه الحمير بهذه الاسماء دون غيرها فلاسباب يطول شرحها

عتّابي . حمار عتابي Zebra

سمي بذلك لهذه الخطوط السود التي فيهِ وقد بينت ذلك في ص ٢٧٠ وهو الذي يسمى عادةً بحمار الزرد وكلة عتابي عربية الاصل

قط عتّابي Tabby

اي فيهِ خطوط او توشيم وهذه عربية ومنهُ اسمه بالانجليزية وليس لهذه الحيوانات ذكر في المعاجم الاخرى وان ذكرت فذكرها خلط او تنافس في الحذلقة

زَبَّاب والواحدة زَبَابة Shrew

حيوان من آكلات الحشرات شبيه بالفار في الظاهر ولكنهُ ليس من الفار ولا من رتبته بل يختلف عنهُ في الفصيلة والرتبة

ذكرت الزباب في ص ٧٥ ر٢٢٧ من معجم الحيوان ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم على الاطلاق لانها جديدة . وقد سرني ان مجلة مجمع اللغة الملكي اوردتهُ في الجزء الثاني من المجلة ص ١٢٦ لكنها لسنه الى القاموس وصاحب القاموس لم يفعل شيئاً من هذا وكان حقها ان تنسبها لهذا الذي سهر الليالي في تأليف معجمه لا الى القاموس ولا ادري ما يقول المجمع في ذلك

حيّات والواحدة حية للذكر والانثى Serpents or Snakes

وفي سورة طه «فاذا هي حية تسعى» اي ان الحية بهذا المعنى افصح الكلام ولا أدري سبب غرام جرائد بيروت بالافعى ويريدون بها كل حية ضخمة طويلة فيقولون قتلت في القرية الفلانية أفعى طولها يزيد من خمسة امتار او نحو ذلك فالافعى لا تكون خمسة امتار او ما يقرب من هذا

ولكن العامة تقول الحية كما جاء في القرآن الكريم فلماذا لا تقول الجرائد حية . وفي مصر تقول العامة وبعض الادباء كلة ثعبان كانها مرادف للحية فترام أهل مصر بالثعبان كترام أهل بيروت بالافعى ولا أريد ان يكون جميع أدباء بيروت ومصر من علماء الحيوان بل أريد ان يكونوا كالعامة في استعمال هذه الحيات وبالامس أصلحت كتاباً في الحيات فبقي المؤلف يقول الثعبان بمعنى الحية كلما تناولت عنه ولم اقدر ان احوله عن ذلك . كذلك في مجمع اللغة الملكي فانهم قالوا في سنة ١٩٣٤ الثعبان وهم يريدون الحية فأصلحت ذلك. اما في هذه السنة فقالوا الحية والحمد لله. فعسى ان جرائد بيروت تقول الحية وتترك الافعى وادباء مصر تقول الحية وتعدل عن الثعبان وسأذكر فيما يلي اسماء بعض الحيات بالانجليزية وما يقابلها بالعربية

Viper or Adder افعى

وقد وردت كثيراً في التوراة وهي حية قصيرة دقيقة الشق عريضة الرأس مفلطحته خبيثة جداً تقتل لساعتها وتعرف بالافعى في كتب اللغة وفي السودان وجزيرة العرب والعراق

Lacertine snake حنش او حنش اسود

حية طويلة سوداء سمها قليل ولكني احذر القارئ من الصل الآتي ذكره فهو حية طويلة سوداء ومن اخبث الحيات

Asp or Cobra صيل حية خبيثة جداً ربما اشد سماً من الافعى

والصل وارد في التوراة بهذا الاسم بالعربية والانجليزية ويظن انه الناشر المصرية ولا بأس بتسمية الناشر الهندية بهذا الاسم ايضاً (انظر معجم الحيوان ص ٢١ و٦٩ فقد ذكرت فيها الصل والحية الناشر على انواعها) اما سبب تسمية الجاحظ هذه الحية بالافعى الهندية فلانها خبيثة سامة

Culuber, Couleuvre ثعبان

وفصيلة الثعابين حيات عظيمة سمها قليل وبعضها من أخبث الحيات

وقبل ان اترك البحث في الحيات احذر القارىء من التعرض لها مهما ظن ان سمها قليل لئلا يصيبه ما اصاب حاوي عاليه بلبنان منذ خمسين سنة فانه حاول القبض على حية سوداء ظنها حنشاً اسود فاذا هو يقبض على اسود آخر هو الذي قال عنه رؤبة

كنت كمن ادخل في جحر يدا فأخطأ الافعى ولاقى الاسودا

وهنا اخطأ الجاحظ على علو كعبه في العلم والادب واصاب رؤبة كما ذكرت في معجم الحيوان ص ٧٠ وعامل حاوي عاليه قبض على ناشر مصرية او على احد انواعها المعروف بالبرجيل وهو اشد الحيات سماً على ما يقول جواة مصر وهم اخبر الناس بالحيات وسمها والبرجيل معروف في مصر والشام والعراق وكنت اهرب منه عشرة امتار او اكثر ولو كان الحاوي قابضاً عليه وان لم تصدق فجرب اي جربني انا عندما أهرب من البرجيل او جرب القبض عليه. اما انا فلا افعل

حديقة المقتطف

اوجين اونيل

(حاز جائزة نوبل الادبية ١٩٣٦)

منعطفات الجدول

إلهي — تحت جنح الظلام

نقلها جورج نقولاوس

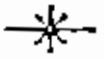

أوجين أونيل

Eugene Gladstone O'Neill

أوجين أونيل الكاتب الاميركي الذي فاز بجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٣٦ من نوابغ رجال الفن والادب المسرحي في أميركا . وهو طويل القامة قوي البنية ذو وجه كالح يدل على الشراسة والعناد . اشتهر بمؤلفاته الدالة على قوة فنية رائعة وذوق أدبي ممتاز ، ولكنه لا يزال تحت تأثير فهم غير تام لبعض نواحي الحياة وقساوة في تآليفه المسرحية نضع لها من وقت لآخر ، ولعل لذلك أسباباً تعود الى المغامرات الكثيرة والحياة الجامحة التي عاشها متنقلاً بين بلد وآخر . ولما كان أونيل يفضل حياة الخشونة والتواضع منزوياً متكتماً في شؤونه الخاصة وكانت حياته الأولى حافلة بالمغامرات والأهواء المضطربة فقد كانت شخصيته الغريبة الاطوار باعثاً على تواتر قصص وشوائع مختلفة جعلت اسمه شبه اسطورة في الادب الأميركي

***

كانت الدراما والآداب المسرحية في أميركا — قبل الثورة والاستقلال — ذات ميول واتجاهات استعمارية وصبغة تورية متأثرة بالثقافة الانكليزية البحتة تتخللها مؤثرات تنشف عن الروح التوتونية ، وكانت المؤلفات للمسرحية والقصص التمثيلية تقليدية أكثر منها أصيلة

على أن أول من بدأ بتأليف القصص المسرحية في أميركا William Dunlap وهو المعدود أبا الدراما في الولايات المتحدة و Bayall Taylor مؤلف القصة الهزلية The Contrast التي مثلت عام ١٧٨٧ وهي أول قصة مسرحية أظهرت للعالم الشخصية الاميركية باسم Yankee . أما (دنلاب) فقد ألف واقتبس أكثر من ستين قصة مسرحية أهمها Andre وقد ظهرت عام ١٧٩٨ . وهذان المؤلفان (دنلاب وتايلر) هما اللذان سارا بالقصة المسرحية في أميركا سيراً حثيثاً في سبيل التقدم والارتقاء ، حتى بدأت تتحرر تدريجياً من المؤثرات الاوربية . وما كاد يبزغ القرن

التاسع عشر حتى كانت الدراما قد انفلتت من معظم القيود الاجنبية واصبحت تعتمد على نفسها وجاء William Gillette بمسرحيته (Held by the Enemy) و (Secret Service) فوضع أسس القصة المسرحية في الولايات المتحدة ، وجاء بعده غيره من الكتاب المسرحيين فألفوا القصص التمثيلية خالية من المؤثرات الاجنبية وظهرت القصة التمثيلية مستقلة الاستقلال كلهُ عن المسرحيات الاوروبية مبنىً ومعنىً . وكان هؤلاء المؤلفون الافذاذ الجذوع التي قامت عليها المسرحيات في اميركا ثم أيبست غصونها فاورقت الدراما في العالم الجديد ثم أثمرت بتأليف اونيل — اعظم كاتب مسرحي في اميركا — في الوقت الحاضر

وكما ان الادب الاميركي امتاز في عصرنا الحاضر بتأثيره في المذاهب الطبيعية والنفسية والفلسفية وبتحرره من القيود التي كانت تعرقل سيره فكذلك تأثر الادب المسرحي والدراما بمظاهر الحياة الاميركية الحرة وبالبواعث والمؤثرات نفسها بعد ان امتزجت بالميول والاهواء الخيالية فأبعدتها عن الحقيقة ولكنها القت عليها نسخة من الروعة والبهاء كما يتجلى لنا ذلك في مؤلفات اونيل ذات القوة الجذابة الرائعة

***

ولد اوجين اونيل في مدينة نيويورك في ١٦ اكتوبر ١٨٨٨ من اصل ارلندي وكان ابوه جيمس اونيل ممثلاً شهيراً اشترك في تمثيل دور في رواية « مونت كريستو » فربح في فصل واحد خمسين الف دولار . وقد درس اونيل في عدة مدارس داخلية معظمها كاثوليكي ثم دخل مؤسسة Betts وكان ينتقل من مدرسة الى اخرى الى ان دخل جامعة برنستون وظل فيها سنة واحدة ولكنهُ لم ينجح في الامتحان فغادر المدرسة لخوض معارك الحياة العاصفة . وقد تزوج في سنة ١٩٠٩ ولكنهُ عدّ زواجهُ هذا « خطأً فادحاً » . ثم اشتغل في نيويورك وعمل اعمالاً مختلفة فقضى سنتين بحاراً وسافر الى اميركا الوسطى للبحث عن الذهب ولكنهُ عاد بعد ستة اشهر وقد أصيب بالملاريا . ثم عاون والده في الشركة التي يعمل بها ولم يطل به الامر اكثر من ثلاثة اشهر حتى انسحب من العمل . وكان يطالع في اثناء ذلك مؤلفات جوزيف كونراد ورديارد كبلنغ وجاك لوندن . وقد ظهر اثر هؤلاء الكتاب في تآليفه الاولى . ثم عزم اونيل على ركوب البحر ومجابهة المخاطر والاهوال فسافر

في مركب نرويجي رحل به الى (بونس ايرس) بعد ان قضى في البحر ٦٥ يوماً . وقد احترف حرفاً شتى كانت لهُ خير معين في تأليف مسرحياته فيما بعد وساعدتهُ على فهم نواحي الحياة المختلفة وزوَّدتهُ مادة لا تنضب لقصصه وتآليفه . ثم عاد الى نيويورك وقد تطورت شخصيتهُ وطباعهُ فاذا به تأثر على المجتمع بحاربهُ بما اوتي من قوة وعزم . ولما عاد من رحلته الاخيرة الى سوثبتون (في انكلترا) كان قد ربح من المقامرة ارباحاً طائلة ولكنه قطن الى امره وفكر في سوء العاقبة فركب القطار الى (نيو اورليز) وهنا وجد نفسه فقيراً معدماً لا يملك شيئاً ، بيد انهُ رأى اباه يمثل دوراً في رواية (مونت كريستو) فطلب منهُ اجرة قطار ليعود الى نيويورك ولكن أباهُ اراده على تمثيل دور في الرواية ذاتها فقام بما عهد اليه خير قيام ، وكان هذا بدء دخوله المسرح وباكورة اعماله الفنية التي خلدت اسمهُ كاعظم كاتب مسرحي معاصر في اميركا . ومثل خلال هذه المدة أدواراً مختلفة مجياً انتقادات أبيه بقوله « انهُ من العجيب أن يتمكن من القيام بتمثيل دور ما في رواية مشهورة هي «مونت كريستو» . ثم اشتغل بعد ذلك محرراً صحفياً مدة ستة اشهر وقد أعجب به رئيسه « لتواضعه وأدبه ولطفه وعينيه الجذابتين وأسلوبه الادبي ! ... » وكان لرئيسه هذا فضل عظيم عليه في تشجيعه على الكتابة والتأليف

***

ثم بدأ اونيل بالكتابة الا بعد ان ساءت صحته واقعده المرض فظل مدة في المصح يشكو داء السل الوبيل وذلك سنة ١٩١٢ هناك تمثل اونيل ما بلاه في الحياة من ضروب المعاناة والتجريب . ويحدثنا انهُ في اثناء اقامته في المصح المذكور عرف هناك لاول مرة قيمة الحياة ووجد الفرصة سانحة امامه لوضع اسس ثابتة لحياته المستقبلة ولاسيما ان حياته كانت زاخرة بالتجارب والاعمال وتتراكم في مخيلته بعضها فوق بعض دون اشباع ولا اتباع . وهنا فكر بماضيه وحاضره وشعر بدافع قوي يحفزه الى كتابة القصص المسرحية وهو ذو الخبرة بالمسرح وحياة التمثيل والفن

دخل المصح وهو شاب عنيد شرس الاخلاق غريب الاطوار مقلق الافكار لا غاية لهُ في الحياة الا كما تعيش الملايين الكثيرة من الناس حياة كلها تعب وشقاء ...

وآخرها عدم وفاء. ولكنهُ خرج من المصح وهو شخص آخر — رجل ماضيه العزيمة تهُ هدف في الحياة يسعى اليهِ . ومنذ ذلك الحين وهو يحيا حياة ملؤها النظام والعمل الجدي الناجح . فأكبَّ على تأليف القصص المسرحية وأخرج خلال ستة واربعة اشهر احدى عشرة قطعة تمثيلية ذات فصل واحد وقطعتين طويلتين . وهو يبذل مجهود متواصل في تأليف القصص التمثيلية والروايات المسرحية . وكانت مسرحيته الاولى (١٩١٤) ذات الفصل الواحد ، البراس الذي أضاء سبيله في عالم الادب والفن

***

كانت الحرب الكبرى الضربة القاضية على المسرح والقصص التمثيلية . فلما استعرت نارها في شهر اغسطس ١٩١٤ انزل الستار على المسرح وساد ظلام الوحشية على معالم الثقافة والفن . والحضارة لا تورق الا في ظلال السلم والطمأنينة ولا تزدهر الا حيث تمرح العقول والافكار في رياض الحرية وبين خمائل العلم والفن

ولكن الدراما نشطت في نيويورك بعد ذلك السبات العميق واخذت تستعيد ما فقدت من قوة ونشاط . ويعود سبب ذلك الى اهتمام سكان تلك المدينة العظيمة بالمسرحيات والتمثيل ، بل تعد مدينة نيويورك الآن في الدرجة الاولى بين المدن التي يرتادها هواة الملاهي والمسارح لمشاهدة أروع القصص التمثيلية والقطع الفنية الراقية

وقد ظهر عقب انتهاء الحرب في المانيا مذهب جديد في الفن والتأليف المسرحية . نشأ هذا المذهب الفني من الحقد واليأس اللذين استوليا على الشعب الالماني بعد اضمحلال الامبراطورية الالمانية وتهدم الآمال الجرمانية في السيطرة والتوسع ، فكاد يُقضى آخذ على آمال الشعب وأمانيه وشعر المفكرون وارباب الفن بهذه الكارثة الطارئة ، وهم يرون اكثر المؤلفات المسرحية تطغى عليها روح التشاؤم منبعثة مما يختلج في نفوس المؤلفين والكتَّاب من شعور واحساسات دفينة . تُظهرُ مايكنهُ المؤلف وابطال قصصه من آلام نفسية مبرحة وتأثرات عميقة متأججة — فنشأ من ذلك المذهب التعبيري Expressionism يصف نفسية الشعب المتألمة المرهقة بعار الذل والانكسار !

وكان لمسرحيات الكاتب القصصي الالماني Frank Wedekind (١٨٦٤ —

١٩١٨) أثر عظيم في تطور المذهب الواقعي في الادب الألماني ، وقد مهدت تآليفه السبل وهيأت الافكار للدرامات الحديثة وكانت هي طليعة «المذهب التعبيري» الذي كان اهم الداعين لهُ والقائمين بهِ Georg Kaiser (المولود في سنة ١٨٧٨) ، و Ernest Toller (المولود في سنة ١٨٩٤) ، على ان هذا المذهب الفني الذي تأثر بهِ «أونيل» غير ثابت الاوضاع ، فهو متقلقل في سيره ، وقد أصبح الآن ضئيل النفوذ خفيف الأثر ، ولا سيما ان كثيراً من مؤلفي المسرحيات (في المانيا) يفضلون العودة إلى المذهب الواقعي . يقول المؤلف والنقادة المسرحي الانكليزي «سنت جون ارفن» : «ان الملهى (تياتر) سيبقى في حالة ضعف وانحطاط الى ان تستعيد الانسانية نشاطها وقوتها ، لان الدراما اكثر الفنون تعلقاً وصلة بالمجتمع وسعادته».

***

لنعد الآن الى أونيل بعد هذا الاستطراد الوجيز عن المذهب التعبيري . فقد قضى سنة في جامعة (هارفرد) ١٩١٤ — ١٩١٥ يدرس الفن والتمثيل . ثم امضى صيف عام ١٩١٦ في مدينة (برنستون) وكان هنا على اتصال وثيق بالممثلين الشباب الذين قام اكثرهم فيما بعد بتمثيل قصصه القصيرة . وكان يطالع كثيراً من المؤلفات المسرحية ولا سيما كتب (ابسن) و (ستريندبرغ) و (وديكند) و (بيتشه) . وكان لهؤلاء اثر ظاهر في مؤلفاته الاخيرة . وفي خلال ذلك ذاع صيته وانتشر اسمه على افواه الناس وفي الصحف والمجلات ، فاذا به اشهر مؤلف مسرحي في اميركا ، وفاز ثلاث مرات بجائزة (Pulitzer) . وصدر لهُ في عام ١٩١٨ (In the Zone).

ثم تزوج للمرة الثانية (١٩١٩) فكان سعيداً بزواجه هذا اكثر منهُ بزواجه الأول، حتى اعتبره مواطنوه راجعاً الى حظيرة الانسانية، ووصفوه بانهُ «مواطن انساني تقريباً»!

وفي سنة ١٩١٩ اخرج مؤلفه The Moon of the Caribbees وست مسرحيات عن البحر و ١٩٢٠ «الذهب» و«ما وراء الافق» Beyond the Horizon ومنذ صدر كتابه هذا (ما وراء الافق) وهو يتمتع بلقب اعظم مؤلفي الدراما في اميركا ، بيد انهُ لم يفز بالشهرة العالمية الا بقصته « الامبراطور جونز » ١٩٢١ The Emperor Jones ثم بقصته Anna Christie سنة ١٩٢٢

ولا شك ان سبب نجاحه الفني هو ثباته واخلاصه للغاية التي يعمل من اجلها ورغبته الصادقة في وصف الحياة وصفاً مطابقاً للواقع ، ولكن مما يؤخذ عليه تسرعه في الكتابة وقلة عنايته بموضوع مؤلفاته . وقد كان لحياته الأولى درس مفيد عليه ان ينظر الى طبائع الانسانية الخفية ونفسيتها المتسترة والعوامل التي تطرأ على الحياة فتغير مجراها . وهو يصف الحياة كما تتراءى له معتمداً على ما يسيرها من العوامل والقوى النفسية الكامنة في اعماق الانسان . ثم ظهرت له قصص اخرى ذات صبغة صرفية رمزية، منها : The Hairy Ape اي « الفرد الاشعر » ١٩٢٢ وبدا عليه اصحاب المذهب التعبيري ان هذه القصة تمثل مذهبهم الفني وتعبر عن آرائهم ، ولكن ادعاءهم هذا لا يرتكز على اساس ثابت

وفي سنة ١٩٢٤ صدرت له مجموعة في جزئين تتضمن Desire Under the Elms و Welded, All God's Chillun Wings وفي سنة ١٩٢٥ (ينبوع الحياة) The Fountain وفي سنة ١٩٢٦ The Great God Brown وهذه اكثر مسرحياته تأثراً بالنزعة الصوفية . وله غير ذلك Lazarus Laughed, Marco's millions ١٩٢٧ و Strange Interlude ١٩٢٨ ، وربما كانت هذه القصة اشهر مسرحياته . وفي سنة ١٩٣١ ظهرت له القصة الثلثة (trilogy) Mourning becomes Electra

ان الابداع الفني والصور الغريبة التي اكثر منها اونيل في تآليفه قد وضعت حداً للجادية الفنية في مسرحياته التي كان لها الاثر البين في تطور الدراما ولا سيما في اميركا . كما ان بعض مسرحياته مثل « الظأ » و « القمر في بحر الكاريب » هي صور حقيقية لرحلاته البحرية وحياته الحافلة بالمغامرات

ويعمل « اونيل » الآن ، بعد ان فاز بجائزة نوبل ، على وضع قصة مسرحية عن حياة (نوبل) صاحب الجوائز العالمية المشهورة ، وستعرض فصولها على لوحة السينما ، وربما اختص اونيل نفسه بتمثيل دور نوبل

وما هذه القصص التخيلية والقطع الفنية الرائعة ، إلا قلائد ثمينة في جيد الادب الاميركي وصفحات حية خالدة من حياة اونيل ذات الصور البراقة المتنوعة والمغامرات الجريئة التي تجعله في مصاف اعلام الادب المسرحي في العصور الادبية الزاهرة

حلب فؤاد عيتاني

[المقتطف] تفضل كاتب هذا المقال فوعد بتلخيص احدى مسرحيات اونيل لمصلحة قراء

منعطفات الجدول

السيدة آمي خير شاعرة ، رقيقة العواطف ، دقيقة الشعور ، ترسم بقلمها مشاعر النفس ، وخوالج الفؤاد ، فتعبر شعراً ، عما تكنُّهُ جوانحها ، وتمثلهُ روحها الفيَّاضة . وقد اصدرت اخيراً ديوان شعر باللغة الفرنسية سمتهُ (Méandres) اي « مُنْعَرَجات النهر » او « منعطفات الجدول » اودعتهُ ما فاضت به عواطفها ، فرأينا ان ننقل منهُ قطعتين رائعتين من متين قصائدها ، ليتذوق ابناء اللغة العربية ، آيات قلمها وشاعريتها . وقد صدَّر الديوان بالقصيدة التالية وهي من نظم خليل مطران

الحسن كل الحسن في الطبيعه انظر الى آيها البديعه
ماذا تقول الزهرة الوديعه ؟
« آمالي العذبهُ والآلامُ ويقظاتُ العيش والاحلامُ »
« من كلّ ما تداول الايامُ »
« أنثُرها بنفحاتِ طِيبي الى البعيد والى القريبِ »
« خالصةً من ريبة المُريبِ »
« وامنحُ الابصار من رُوائي ما فيهِ قرَّةُ لعين الرائي »
« بلا مداجاةٍ ولا رياءِ »
« صُنْتُ جمالي وبذلتُ عطري وذاك لله الكريم شكري »
« فإن يكن شِعْرٌ فهذا شعري »

إلهي

وهاك قصيدتها التي استهلَّت بها ديوانها تحت عنوان : « إلهي »

إني لأشكرك ايها الفاطر ، انا الامرأة ، لكونك جبوتني ، بمنحة جليلة القدر ، وهي النفسُ ، الجديرة بان تؤمن بك ، والقلبُ القادرُ على محبتك

من بين الهبات الالف ، التي صوَّرتها لي طفولتي عنك ، ليس ثمة واحدةٌ ، توازي ما في ذلك الانحطاف ، فائق الدهشة ، الذي يتلاشى فيهِ ذاتي ، من النشوة العمياء

إني لأعبدك ، ايها الخالق ، الذي أجدهُ ، حتى في جمال ، اقلّ الاوراق ، وابحث عنك خلال الكون المختلج الخفّاق

تحت هيج الظلام

أيها الحبيب ، تعالَ تحت ضياء النجوم ، الى روضة الحبّ ، فالسكوتُ الآن يعزلها بأستاره ، التي يزيدُها الليلُ كثافةً

فهنا الحَصيلةُ ، حيثُ يَسودُ ، الزنبقُ والقرنفلُ والسَّبلكُ ، الباعثُ على الاضطراب ، وهناك المَرْجُ ، حيث الحَوْض محفورٌ ، في المرمر الثمين

نذهبُ بالقرب من المقعد الخشبي النتيق ، ذلك المقعد ، الذي يكاد يكونُ أثريًا ، والذي تحيطُ به الادغالُ ، لنجدَ ، ونحن نسيرُ بتمهّلٍ ، الياسمينَ الباطنيَ ، وزهرتَه المرتعشة

فنقطف لي ، الخلاجلَ الشاحبةَ الواهيةَ ، التي تحرّكها أقلُّ نسمة ، والتي يتضوّع منها ، أريجٌ مُبهمٌ مُغرٍ ، يُسكرُ رويداً رويداً ...

وعند الفجر ، اصنعُ منها عقوداً واكاليلَ ودمالجَ لصدرَكِ ، فأتحلّى بها ، من دون ان يرتابَ احدٌ ، لماذا أتحبّبُ بها

فتلطفها دون تأففٍ عمّا قليلٍ ، وغداً دون شكٍّ ، تهبُّ نسمةُ هواء ، فتلقي ارضاً هذه الزهور ، التي تحسنُ الموتَ كلُّها ، من دون ان تفتقر اوراقها.

ومثلها ، واأسفاه ! الانحطافُ والنشوةُ ، اذ كلُّ شيء يدركهُ الموتُ ، لحين يتطشان ، أودُّ ان يكون ذلك ، مثل الياسمينة ، التي تسقطُ دفعةً واحدةً ، دون ان تفتقر

ايها الحبيب ، فلنَّتفقْ ، لان ثمة ضياء النجوم ، في روضة الحبّ ، فالسكوتُ الآن يعزلها بأستاره ، التي يزيدُها الليلُ كثافةً

[نظمها جورجي يقولاوس]

سير الزمان

هبوط العقوبات

روسيا وخصومها

لحنا خباز

قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقوتها وطرق تنظيمها

حبوط العقوبات

ان حبوط العقوبات التي فرضتها جامعة الامم على ايطاليا تثير في الناحية الواحدة مشكلة جامعة الامم نفسها من حيث قواعد تألفها وحقيقة عملها. وفي الناحية الاخرى مسألة خطيرة تدور حول تأثير الضغط الاقتصادي في التغلب على القوة العسكرية واركان الخطة التي تفضي الى نجاحه

القوة ثلاث نواح اساسية، احداها روحية كانت في الماضي في ايدي الرؤساء الروحيين وتحولت في العصر الحديث منذ ضعفت العقائد وتصل في معظم البلدان بين الدين والدولة الى التربية و الدعاية المنظمة . وثانيها اقتصادية، إستفحل مقامها في العصور الاخيرة بارتقاء الحضارة الصناعية . فالجيوش تمشي على بطونها والمال والبترول عصب الحرب وقوتهُ المحرّكة . والتاريخ ينبئنا ان الدول البحرية كانت دائماً تصحب عملها الحربي بالضغط الاقتصادي . الاّ ان الضغط الاقتصادي كان حتى السنة الاخيرة ، فرعاً من الضغط العسكري . فلولا ابو قير والطرف الاغر لما تمكنت انكلترا من اغراض الحصر البحري الذي ضربتهُ على نابوليون

إلاّ أن ارتقاء الحضارة الاقتصادية ، أفضى الى توسيع نطاق الضغط الاقتصادي وإلى توجيه نقد عنيف إلى إستعماله . فالحرب كانت في نظر الاقتصاديين الاحرار في انكلترا العدو الاكبر للنظام الصناعي . ولذلك كانوا يرون أنهُ يجب أن تحصر في دائرة المحترفين وان لا تتعدّاها الى التجارة . وكانوا يذهبون كذلك الى وجوب الغاء الحصر البحري وما يتبعهُ من حق الزيارة والتفتيش وحصر المواد الحربية المتنوعة ضمن حدود ضيقة . فالشرّ كلّ الشرّ — عندهم — أن تعاقب عمّال في منطقة لا تكثير بضرب نطاق على بلدان تصدّر اليها القطن او تستورد منها المنسوجات

فلما كانت الحرب الكبرى سار الضغط الاقتصادي جنباً الى جنب مع العمل الحربي ، ولم يبن الاول عن الثاني . ولكن كلّ هذا لم يصرف الناس عن التفكير في استعمال الضغط الاقتصادي بدلاً من الاعمال الحربية ، بل لمنع الاعمال الحربية. وحجّتهم في ذلك ان الشلل الذي يصيب النظام الصناعي والاقتصادي في أمة ما عندما يقع فيها اضراب عام ، دليل على قوة السلاح الاقتصادي . وأذن فاذا هدّدت دولة تنوي الاعتداء بتطبيق مقاطعة اقتصادية تامة لها ، كان ذلك التهديد وافياً على تنفيذ وكافين لثنيها عن عزمها

ان الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة في عهد جامعة الامم تفصّل ما يتحتّم على اعضاء الجامعة من تطبيقه حالاً على الدولة المعتدية كقطع جميع العلاقات التجارية والمالية فتطبيق هذه المادة على ايطاليا كان تجربة توفرت لها ظروف النجاح . فايطاليا من الناحية الاقتصادية ليست من مقام الولايات المتحدة الاميركية او بريطانيا او فرنسا او المانيا . ان مصادر ثروتها

الخصبة ضئيلة ومتوسط سكانها في الميل المربع من ارضها عاشر وثروتها يسيرة ومتوسط دخل الفرد من ابنائها لم يبلغ ربع متوسط دخل الانكليزي في سنة ١٩٢٩ . ثم انها معرّضة كلّ التعرض للخطر لانها تعتمد في معظم غذائها والمواد الخام اللازمة لصناعتها على ما تستورده من الخارج . وكلّ ما تحتاج اليه في صناعة الاسلحة الحربية كالفحم والنحاس والحديد والقطن والرصاص والصوف والزيت يردها من الخارج . وليس فيها مناجم للفحل والكروم والبلاتين والتنغستن والقصدير ولا حراج يستخرج المطاط من اشجارها . وعلاوة على ذلك كان ميزانها التجاري في غير مصلحتها فزاد عجزه زيادة مطردة من ١٥٠٠ مليون ليرا في سنة ١٩٣١ الى ٢٤٠٠ مليون ليرا في سنة ١٩٣٣ وبلغ ١٤٠٠ مليون ليرا في الاشهر الستة الاولى من سنة ١٩٣٤ . ومعظم هذا العجز كان يغطى بما تجنيه ايطاليا من السيّاح ومن مال يرسله ابناؤها المهاجرون. فقد بلغ الاول ١٣٠٠ مليون ليرا سنة ١٩٣٣ والثاني ٩٠٠ مليون ليرا سنة ١٩٣٢

أضف الى ذلك موقعها الجغرافي وامتداد سواحلها حالة ان باب البحر المتوسط من المغرب في قبضة بريطانيا فالسفن التجارية القادمة بحراً من الغرب يجب ان تجتاز مضيق جبل طارق ، والبضائع الواردة من طريق البر يجب ان تجتاز دولاً هي اعضاء في الجامعة . نعم ان جارتيها الصغيرتين سويسرا والنمسا كانتا غير راغبتين في تكديرها ، ولكن هذه الدول لا تستطيع ان تصدر اليها كثيراً من منتجاتها الخاصة فتذاعتها بضائع في الخارج عن طريقهما فيجب ان تمرّ هذه البضائع في فرنسا او المانيا ، والاولى عضو في الجامعة ، والثانية لم يكن في وسعها ان تغيظ بعض الدول الكبرى في سبيل دولة (ايطاليا) لم تربطها بها حينئذٍ اوثق أواصر الودّ

نعم ان الولايات المتحدة واليابان والبرازيل ليست اعضاء في الجامعة . ولكن اليابان لا تستطيع ان تصدر الى ايطاليا موادّ هي في أشد الحاجة اليها . اما الولايات المتحدة فكان في وسعها أن تكفي جميع مطالب ايطاليا اذا اصرّت على صون حقوقها التقليدية كدولة محايدة متأكدة ان بريطانيا لا تحاربها ولو عهدت اليها الجامعة في تنفيذ الحصر البحري على ايطاليا . ولكن الرئيس روزفلت ورجاله ابتكروا صورة جديدة للحياد أودعوها في قانون الحياد وقوامها أن الحكومة تمنع الاميركيين على الامتناع عن الاتجار مع الدول المتحاربة ، وتمنع على كل حال تصدير بعض المواد الحربية ، وتسلّ التجار الاميركيين ان كل اتجار مع الدول المتحاربة انما يحملون تبعته هم ولا ينتظرون من الحكومة أن تصون مصالحهم إذا صودرت أو عطلت من قبل أحد الفريقين المتحاربين أو كليهما . وكلّ ما كانت ايطاليا تستطيع أن تتوقعهُ من الولايات المتحدة أن لا ينقص ما تستورده ايطاليا من اميركا عما كانت تستورده قبل نشوب النزاع مع الجامعة . ولو أن دول الجامعة أظهرت رغبتها في التضحية في سبيل السلامة الاجماعية ، لما امتنعت اميركا عن مجاراتها في الغالب.

يقابل ذلك ، ان ايطاليا كانت تعلم ان الحرب ليست حرباً كبيرة ، وان خصمها لم يكن مسلحاً بادوات الحرب الحديثة ، فما تحتاج اليه ايطاليا من المواد التي قد تمنع عنها ليس كبيراً . فخزنت مقادير كبيرة كانت ترى انها وافية بغرضها اذا اقتصرت مقاومة الدول على مقاطعتها دون التدخل تدخلاً حربياً في خطتها . فايطاليا في اثناء الحرب الحبشية لم تشعر قط بالحاجة الملحة التي تشعر بها دولة كبيرة اذا كانت في حرب مع دولة كبيرة اخرى

يضاف الى هذا ان الكساد وتكدس البضائع في كثير من الاسواق ، حملا التجار على الرغبة في البيع ولو كانت تونية الثمن غير مؤكدة . اما الحكومات فأبت ان تزيد الكساد السائد بقيود تزيده تفاقماً على الرغم من قبولها ما تفرضهُ الجامعة على الاعضاء في مثل هذه الحالة

ان احد الاغراض التي يتجهُ الضغط الاقتصادي الى تحقيقها منع الحرب بثّ الجزع في الامة التي تنوي الاعتداء من مقاطعة دول الجامعة لها . ولكن هذا الغرض لم يمكن تحقيقهُ في ما يتعلق بايطاليا . ذلك ان الجزع لم يساور ايطاليا وقد اثبتت الحوادث صدق حدسها . قد تكون اعتمدت في موقفها الجريء على معالجة الجامعة الضعيفة لمشكلة منشوريا ؛ وقد تكون أقنعت نفسها بأن حربها في الحبشة ليست الاّ حرباً استعمارية ولا تهديد فيها لنظام السلامة الاجماعية . على كلّ حال ان سكوت بريطانيا او عدم افصاحها عند ما عقد اجتماع ستريزا ، عمّا تكون خطتها اذا هوجمت الحبشة ، اعتبر في ايطاليا نوعاً من الموافقة الصامتة ، فلما سمع صوت بريطانيا القلقة ، في كلام حازم فاه به وزير خارجيتها السر صموئيل هور يوم ١١ سبتمبر في جنيف ، كان السيف قد سبق العذل او كاد . لان ايطاليا كانت قد شرعت في اعداد حملتها وبلغت في اعدادها شأواً بعيداً . ففي مايو سنة ١٩٣٥ كانت الحملة قد كلفت موسوليني ٦٥٠ مليون ليرا . وكان في تكتمها ان تصنع أسلحتها اذا لم تمنع عنها المواد الخام حالة ان الحبشة كانت لا تملك نقداً تشتريها به ولا معدات ميكانيكية تصنعها بها . فلما استعمل الضغط السياسي البريطاني على المستر ريكت لكي يعيد الى التجاشي امتياز الزيت اثباتاً لتضامن الحكومة من هذه الصفقة ، جاء العمل في مصلحة ايطاليا لانهُ منع عن التجاشي مالاً كان في اشد الحاجة اليه . وعلاوة على ذلك كانت ايطاليا مقتنعة بأن الحكومة الفرنسية مستعدة لتسلم بفرض حماية ايطاليا على الحبشة اذا وقفت ايطاليا في اوربا موقفاً معيناً

فالعقوبات الاقتصادية لم تخفق في منع الحرب لانها لم تجرّب في حرب بين دولتين متكافئتين . فالجامعة لم تهدد ايطاليا باخراجها من الجامعة اذا انتهكت العهد . وكان عند ايطاليا ما يحملها على الظن بان الدول المختلفة لن تقترح استعمال القوة العسكرية لصون العهد على نحو ما تنص المادة ١٦

في يوم ٩ اكتوبر سنة ١٩٣٥ قرّر مجلس الجامعة ان ايطاليا دولة معتدية وتلا ذلك قرار فرض العقوبات الاقتصادية عليها في ١٩ اكتوبر ولكن لم يشرع في تطبيق العقوبات الاّ في ١٨

توفير . فالتطبيق لم يكن حالاً ولم يشمل جميع العلاقات التجارية والمالية وهما شرطان تنص عليهما الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة

وفي يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ اقترحت لجنة التنسيق منع جميع الاعمال المالية التي تؤاتي ايطاليا كعقد القروض وفتح الاعتمادات واصدار السندات سواء أكانت الاعمال حكومية ام أهلية فالمقاطعة المالية كانت شديدة ، ولكن شأنها العملي كان يسيراً ، لان حالة ايطاليا المالية كانت قد ساءت قبل ذلك والبل الى عقد قروض لها في أسواق العالم كان ضيقاً علاوة على ان تجار الصادرات الاجانب كانوا يعانون مصاعب شتى في استيفاء ما لهم عليها حتى بلغ ما تتجار الصادرات البريطانيين عليها في أغسطس سنة ١٩٣٥ مليوني جنيه . فالمقاطعة المالية لم تدخل عنصراً جديداً في حالة ايطاليا المالية ، بل كانت اجمالاً لحالتها المالية الدولية كما كانت عند اقتراحها

وفي يوم ١٩ اكتوبر اقترحت لجنة التنسيق منع الاستيراد من ايطاليا ، مستثنية البضائع التي اتفق على استيرادها منها بعقود حررت قبل ذلك التاريخ . فاتفقت خمسون دولة على قبول هذا الاقتراح ، وبعضها أبدى قليلاً من التحفظ في قبولها . كانت هذه الدول تستورد من ايطاليا معظم ما تصدره ايطاليا (٥ر٩٥٪ — ٥ر٩٦٪) . فقد بلغ متوسط الصادرات في كل من ديسمبر ١٩٣٤ ويناير وفبراير سنة ١٩٣٥ مبلغ اربعة ملايين من الجنيهات فتقص الى ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه في الشهور المتوالية بين اواخر سنة ١٩٣٥ و١٩٣٦ . اي ان قدرة ايطاليا الشرائية نقصت بذلك الى خمسيها ونقصت الصادرات من ايطاليا الى انكلترا بين ٤٠٠ الف جنيه في يناير سنة ١٩٣٥ الى ١٨٠٠ جنيه في مارس سنة ١٩٣٦ والى قرابة من نحو ٤٠٠ الف جنيه الى نحو ٣٠ الف جنيه . أما الصادرات الى الولايات المتحدة الاميركية والمانيا والنمسا والمجر فظلت على ما هي أو زادت قليلاً . والصادرات الى سويسرا نقصت بمقدار النصف

وليس في ايطاليا بضائع لا يمكن الحصول عليها في بلاد أخرى . فاذا حذفت كدولة منتجة من سفر الوجود لما خسر العالم شيئاً . ولكن هذه المقاطعة كانت شديدة على الذين يتعاملون معها وليس لهم سبيل الى استيفاء ما لهم عليها الا باستيراد ما تصدره ، فجاء حكم المقاطعة وكأنه « موراتوريوم » لا قبل لهم الا بالاذعان له

ولكن الحكومة الايطالية ، عمدت الى اخراج بعض الذهب المودع في بنكها لتشتري به ما تحتاج اليه ، والى بيع ما يملكه الايطاليون من سندات في الخارج ، كانت قد صادرتها في سنتي ١٩٣٤ و١٩٣٥ وعوضتهم منها بسندات ايطالية فائدتها ٥ في المائة . ففي يناير سنة ١٩٣٤ كانت قيمة الذهب في بنك ايطاليا ٧٢ مليون جنيه فهبط الى ٥٢ مليون جنيه في أغسطس من السنة نفسها . ولا يعلم بالضبط مبلغ ما كان منه في البنك عند الشروع في الحملة الحبشية ، ولكن

يقدر ما خرج من البلاد بين نوفمبر سنة ١٩٣٥ ومارس سنة ١٩٣٦ بمبلغ ١٧ مليون جنيه أو أكثر قليلاً . اما قيمة السندات الاجنبية التي صادرتها الحكومة كما تقدم فتقدر بأربعين مليون جنيه ولا يعلم مقدار ما بيع منها لشراء المواد اللازمة

هذا في ما يتعلق بالصادر من ايطاليا . أما الصادر اليها من الدول المشتركة في العقوبات ، فقسمان قسم يشمل الاسلحة والذخيرة والغاز الحربي والمتفجرات وهذا منع عنها حالاً (١١ اكتوبر) واما الباقي فتأخر منعهُ وبعضهُ لم يمنع مطلقاً وما منع كان يشتمل على حيوانات النقل والمطاط والبوكسيت والالومنيوم والحديد الخام والتيكل والقصدير وبعض المعادن الخام اللازمة لصناعة الصلب . فكان هذا المنع باعثاً على نقص الوارد الى ايطاليا نقصاً كبيراً . فالواردات اليها من ٣٨ دولة كانت قد بلغت في المتوسط ٥٠٠ و١٢٠ و٥ جنيه كل شهر من نوفمبر ١٩٣٤ الى مارس ١٩٣٥ وبلغت اقصاها في الشهر السابق لفرض العقوبات اذ بلغت ٥٦٠٠٠٠٠ جنيه . تنقص الوارد بعد المنع الى ٠٠٠ و٧٨٠ و٣ جنيه في يناير سنة ١٩٣٦ ثم عادت فزادت الى ٥١٢٠٠٠٠ في مارس سنة ١٩٣٦ . ومن الواردات التي نقصت نقصاً كبيراً الحديد والاخلاط الحديدية فقد بلغ ما استوردتهُ منها في شهر دسمبر سنة ١٩٣٤ نحو ٧٨ الف طن تنقص الى ١٨ الف طن في يناير سنة ١٩٣٦ ثم عاد فارتفع الى ٣٦ الف طن في مارس سنة ١٩٣٦ . ونقص الوارد من بضائع مصنوعة من الحديد والصلب من ٧٣ الف طن في يناير ١٩٣٦ الى ١٥ الف طن في يناير سنة ١٩٣٦ . وقد جاءها معظم البضائع الحديدية المصنوعة من المانيا والنمسا والولايات المتحدة وهي دول لم تشترك في فرض العقوبات

ولم يكن الفحم والبترول والنحاس من المواد المشمولة . الا ان ايطاليا نقصت ما كانت تستوردهُ من الفحم من ١١٠٠٠٠٠ طن في ديسمبر سنة ١٩٣٤ الى ٦١٧٠٠٠ طن في مارس ١٩٣٦ وقد وقع معظم الخسارة في هذا النقص على انكلترا اذ هبط ما كانت تصدرهُ من الفحم الى ايطاليا من ٤٢٠ الف طن الى صفر . وتليها في الخسارة بولونيا . حالة أن ما كانت تصدرهُ المانيا والبلجيك والولايات المتحدة زاد قليلاً

ومع ان النفط وما يشتق منهُ من الزيوت المختلفة لم يكن محظوراً الا ان الصادر منهُ من دول العقوبات الى ايطاليا نقص نقصاً كبيراً . ولكن ايطاليا كانت قد خزنت مقادير كبيرة منها قبل ان تصبح العقوبات نافذة . وتحولت الى الولايات المتحدة في استيراد بعض ما كانت تستوردهُ من رومانيا وروسيا في الغالب . فالولايات المتحدة كانت تصدر الى ايطاليا نحو ٦٪ في المائة مما تحتاج اليهِ ايطاليا بين سنة ١٩٣١ و١٩٣٤ فزاد ما تصدر الى ١٢٪ في المائة في سنة ١٩٣٥ وارتفع في الاشهر الثلاثة الاخيرة من تلك السنة (وهي شهور الحرب والعقوبات) الى ٨ و١٧ في

المائة . اما النحاس فقد كان جلّ اعتماد ايطاليا على ما تستطيع استيراده من الولايات المتحدة الاميركية اذا امتنعت دول العقوبات عن تصديره اليها

وقد كان وجود هذه الاسواق الحرة واستطاعة ايطاليا ان تبتاع منها ما يمنعهُ عنها الباقون، اكبر باعث على عدم كتابة هذه المواد في قائمة المواد الممنوعة . كان في الامكان ان تتبع دول العقوبات الحظر الاقتصادي برقابة فعّالة على جميع السفن القادمة الى ايطاليا عند مدخلي البحر المتوسط ، ولكن خطر الالتجاء الى الحرب اذا امتنعت بعض الدول عن الرضوخ لذلك ، علاوة على استفزاز ايطاليا نفسها ، حال دون امتحان هذا الاسلوب من تطبيق العقوبات

وكذلك ترى ان خطة الجامعة في فرض العقوبات الاقتصادية لم تتوافر لها الاحوال المؤاتية. فبعض المواد اللازمة للحرب لم يحظر تصديرها الى ايطاليا كالنفط والفحم والنحاس وعلاوة على ذلك لم تعرقل اعمال الملاحة ولا السياحة ولا ارسال الاموال من المهاجرين الايطاليين . وقد كان موقف ايطاليا من العقوبات لا يحتمل التأويل اذ قالت انها تحتمل العقوبات ما زالت لا تعرقل عملها عرقلة عظيمة الشأن. فاذا فعلت فانها تحارب . فكان على الجامعة ان تختار، اما ان تجاز ايطاليا تحديها بفرض الحظر على المواد التي لا مندوحة عنها لايطاليا في مواصلة الحرب، واما ان تعترف بان استقلال الحبشة غير جدير بحرب عالمية في سبيله . وليس في امكان احد ان يعلم الآن ، هل كانت الحرب العالمية نشبت لو ان الجامعة اقدمت. فالعقوبات لم تحبط بمعنى انها لم تفرض فرضاً تامًّا حتى يمكن ان يقال انها جرّبت ولم تسفر عن الاثر المرتقب. وليس ثمة دليل على ان فرضها يفضي حتماً الى حرب في جميع الاحوال. بل ليمكن ان يقال انهُ لو فرضت وكانت سياسة ايطاليا عملية لما كان اقدامها على محاربة دول الجامعة خير سبيل لها للفوز في حرب الحبشة

يضاف الى هذا ان الحكم على دولة بانها معتدية ثم التوسّل اليها بالبقاء في الجامعة ، كان لا بد ان يفضي الى خذلان أدبي ولو نجح الضغط المادي. ولذلك يعتقد بعض الكتّاب — ومنهم كاتب هذا المقال وهو الاستاذ بون المحاضر في مدرسة العلوم الاقتصادية بلندن وكان قبلاً استاذاً للاقتصاد السياسي في جامعة برلين وقد نشرهُ في مجلة الشؤون الخارجية الربعية — ان بقاء ايطاليا عضواً في مجلس الجامعة متمتعة بجميع مزايا العضوية حالة كانت تدوس دستور الجامعة، كان مهزلة لم تزرَ فيها ايطاليا الا باعثاً من بواعث التشجيع

والنتيجة التي يخلص اليها الاستاذ بون ان العقوبات الاقتصادية لم تطبّق تطبيقاً فعّالاً كما كان يجب او يمكن ان تطبّق ، وانها مع ذلك كانت السلاح الوحيد في يد الجامعة ضدّ ايطاليا فرفعها قبل عقد السلام بين الجامعة والدولة التي انتهكت دستور الجامعة يدلُّ على ان الذين بأيديهم الحلّ والربط ، اما انهم لم يحسنوا استعمال هذا السلاح وإما لم يجرؤا على حسن إستعماله او كليهما

روسيا وخصومها

تسعة عشر عاماً مرّ والحقيقة ضائعة

بقلم منا لمياء

لم يستحكم المراء في موضوع استحكامه في امر النظام السوفياتي وحالة الشعوب الروسية في الوقت الحاضر. فان العلم الحديث ليكاد يحصي عدد الذرّيرات في المجرّة، ويزن اكبر الاجرام ويعين بعدها، ويصف ما في عالم الجوهر الفرد من الوحدات والنسحات، فيريك في الدقيقة المادية مجرّة، وفي الجوهر الفرد نظاماً شمسيًّا. مع ذلك قد عجز العلم والعلماء عن تعيين موقف روسيا ولم يمكن الاتفاق على حقيقة ما هو جارٍ فيها اليوم

امّة معاصرة، تعد ما يزيد عن مائة وخمسين مليوناً، يشغلون نحو سدس اليابسة، وهي ألصق بلدان الدنيا بالعالم المتمدّن (لانها قسم من اوربا)، مع ذلك، قد تضاربت الاقوال في ما هي عليه من يسر او عسر، وشدّة او رخاء، وصعود او هبوط. فنقرأ المتناقضات عن روسيا ويعسر علينا ان ندرك الموقف الذي ليس فيه مراء

فقد كنت اقرأ في صحف الولايات المتحدة في اميركا المقالات الضافية عن سوء الحال في روسيا، وأن أهاليها في حال فقر أسود، والمجاعة ضاربة اطنابها في انحائها. واذكر جيداً ان احدى المقالات أكدت ان روسيا لا يمكنها البقاء على هذي الحال الى ما بعد مارس سنة ١٩١٩ وانها مهدّدة بالفناء والدمار. وليست الثراية في ذلك تعين سنة ١٩١٩. ولكن الغرابة كل الغرابة، انهُ بعد مرور ١٧ سنة وبعد ذهاب مئات من الكتّاب والمحققين الى روسيا، بل بمئات مدرسية جمعت عشرات من طلاب المدارس الانكليزية وغيرها، عدا القناصل والصحافيين والتجار والسياح ومن اليهم وقد كتبوا ونشروا وتكلموا عما هو جارٍ تحت سماء روسيا — بعد كل ذلك لا نزال نسمع تضارب الاقوال والآراء في حوادثها اليوم كما كنا قبل ثمانية عشرة سنة

لست اشتراكيًّا بالمعنى الرسمي، ولا شيوعيًّا، ولا اقدر ان اقول هل تحتمل مبادىء الشيوعية النقد او لا، وهل هي على هدى او على ضلال. كل ذلك خارج دائرة موضوعي. فلست محامياً عن الشيوعية ولا خصماً لها. بل انا ناشد الحقيقة، مجايد، نزيه، مخلص اريد ان اقرر الواقع كواقع، لا كما يريد المتحيزون أن يلونوه. بناء على ذلك اروم ان اثبت في ما يلي بعض

ما عزت عليه في كتاب ظهر حديثاً موضوعه نتائج الحرب العظمى السياسية بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٣٦، وللقارىء الحكم بنفسه لنفسه هل تستحق هذي الاقوال الاحلال محل القبول او النبذ قصبًا. واليك بعض ما في ذلك الكتاب بالحرف او بالمعنى. قال: —

صرح ڤيكونت جراي في مجلس اللوردات الانكليزي في ٣ مارس سنة ١٩٢٧ ان حكومة السوڤيات الروسيَّة هي غير قوميَّة. فليست هي روسيَّة بالمعنى الذي فيه حكومة فرانسا فرنسية وحكومة ايطاليا ايطالية. ذلك ان تينك الحكومتين والحكومة الانكليزية ايضاً، انما ترمي الى ترقية مصالح قومها، ولا تكترث لمصالح غيرها الاَّ بمقياس تأثيرها في مصالح قومها الخاصة

انقسم العالم منذ سنة ١٩١٧ الى رأسماليين واشتراكيين. واخذ الانشعاب بينهما يتزايد كل عام. وبينما نرى الشقاق والحروب والازمات مخيمة في اجواء الامم الرأسمالية، حتى ان ملايين من عمالها هم بدون عمل، نجد في الوقت نفسه عالم الاشتراكيين في روسيا متمتعاً بالسلام والقوة والنجاح. فالبون شاسع بين سواد ليل اولئك وبياض نهار هؤلاء

هذا الانقسام العالمي، الى رأسمالي واشتراكي، هو من احداث العصر. فقد نجحت الثورة الاشتراكية في روسيا، وخابت في غيرها من البلدان كالمانيا وايطاليا مثلاً، فبرزت بهذا التطوُّر مسائل جمة في علاقات الفريقين، اعربت عن ميول كثيرين في البلدان الرأسمالية نحو الاشتراكية واعربت بالحري عن تحقيق النظام الاشتراكي، في امة كبيرة، ذات استقلال تام، وعلاقات كونية، وهو امر لم يسبق له نظير في الدنيا، الاَّ في حالات وقتية استثنائية كما في وقت الثورة الفرنسية مثلاً

ساء الرأسماليين نجاح النظام الاشتراكي في روسيا، فعمدوا الى صد تيارهم بشتى الوسائل فصد السوڤياتيُّون لهم، وصدُّوا هجماتهم، ثم اخذوا يسعون لتأسيس علاقات سلمية ودية مع تلك الامم التي كانت تحاربهم. والسوڤيات يرغبون في السلم، لان كل سنة سلم وراحة، تزيدهم قوة وتأصلاً. والروسية تحصن الاشتراكيين في الدنيا. فمن مصلحة الانسانية أن تتزعزع من المشاكل العالمية وتتفرغ لترقية شؤونها، ولنشر مبادئها. فقد حل عندها قانون الجماعات برعاية العمال، محل قانون الاقلية من الماليين التي كانت تسود الاكثرية فتستعبدها وتذلها وتسحقها

وقد تسنى للعمال ذلك سنة ١٩١٧ في روسيا. فأحرزوا ذلك الفوز الحاسم بهمة العمال والفلاحين والجنود الحمر. وقبضوا على مقاليد الاحكام، والفوا قوة لم يسبق لها نظير في تاريخ الاجتماع الانساني. انضوى تحت لوائها جماعات الاتحاد السوڤياتي وهم يزيدون عن مائة وسبعين مليوناً (١٧٠٠٠٠٠٠٠) في شرقي اوربا. فهبَّ الرأسماليون في المانيا وايطاليا واليابان وانجلترا واميركا يهاجمونهم، وبذلوا الجهد في قمع الحركة الشيوعية في روسيا. فقاطعوها، وحاصروها، وحاربوها سنة ١٩١٨ بقيادة كولشاك ودنكين وبودينتش نوَّاد القيصر المعروفين. وقد صرَّح

لويد جورج ان انكلترا انفقت في هذا السبيل مائة مليون جنيه ولكنها ومن معها قد آبت بالخيبة وأشار لينين الى ذلك سنة ١٩٢١ قال : —

لقد عجز البورجوازيون عن سحقنا ، مع ان قواتهم تبلغ مائة ضعف ما لنا ، وسبب عجزهم هو نشوب الثورة الاشتراكية في كل اصقاع الدنيا . فوضع ذلك حدًّا لاطماع الرأسماليين فيما على ان الحرب الاقتصادية ما زالت . وهي لا تقل عن الحرب المادية خطورة وتأثيراً . يضاف الى ذلك تراث الحكم القيصري الغاشم ، وجهل الامة ، وفقرها المدقع ، وقلة المواد الخام والآلات ، واضطرارنا الى الاعتماد على الموارد الخارجية زد على كل ذلك ويلات الحروب سبع سنين متواصلة ، منها اربع سنين في الحرب الخارجية ، وثلاث في الحرب الاهلية . وفوق الكل نطاق الحصر الذي ضربهُ علينا دول الغرب . فكان امام النظام الاشتراكي عمل شاق ، هو مجابهة كل ما ذكر من الصعاب ، وهو لا يزال في مهدهِ . ولكنهُ تغلب على الكل وفاز بالبقاء . كل ما ذكر انما كان الخطوة الاولى في حياة الاشتراكية في روسيا . والخطوة الثانية هي التنظيم الاقتصادي الجديد الذي وضع اساسه سنة ١٩١٨ ، وحالت الحرب الاهلية دون تطبيقه الى سنة ١٩٢١ ، ولم يدرك الرأسماليون فضل ذلك النظام حتى تجلّى لهم في مشروع الاعوام الخمسة . فكان اول ما نزعت به حكومة السوفيت هو أنها حصرت قواتها الاقتصادية في ايدي العمال . والمراد بتلك القوات البنوك والصناعة والتجارة الخارجية والمصائد ووسائل النقل وتركت للافراد التجارة الصغيرة لتتناول امام تيار التجارة القومية العظيم . فتمكنت بذلك من صون جميات الزراعة والتجارة ، وحفظت مكانها في الخافقين .

ولما كان غرض الماليين قهر الاشتراكية باستخدام الذرائع المالية وجدت حكومة السوفيات نفسها مضطرة للقيام لصد ذلك التيار الجارف . فأبت اعطاء امتيازات ، لاية شركة اجنبية في اصقاع روسيا . جاء في تقارير السر روبرت هورن الوزير الانكليزي سنة ١٩٢٤ : ان افضل الذرائع لسحق البلشفية هي اختراق بلادها بالانظمة الاقتصادية . وجاء في مذكرات سفير انكلترا في برلين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٣ : روسيا في حال الدمار التام . ولا يمكن انشاء تجارة رابحة فيها الا بعد مرور سنين

واشار مستر بلدون بشغل اسواق روسيا بالتجار الالمان على ان المانيا تتمكن بذلك من وفاء ما عليها من اقساط الحرب . وظلت الآمال معلقة بسقوط روسيا اقتصاديًّا ، وخضوعها لشوكة الرأسماليين ، الى سنة ١٩٢٤ . جاء في الاوبزرفر بتاريخ ٢٨ دسمبر سنة ١٩٢٤

لا يمكن استمرار النظام الحالي في روسيا زمناً طويلاً . ومهما يكن من امر الامر السوفياتي فلا بد من تحوله رأسماليًّا في خلال بضع سنوات . على ان هذي الآمال قد خابت كما اثبتت ذلك مجلة ايكونومست ، قالت : بعد مضي تسع سنوات لا يزال النظام السوفياتي في روسيا غير ممسوس

لم يبدُ اي دليل على ضعف التجارة القومية في روسيا. وقد تضاءلت التجارة الفردية امامها. فكان عدد العمال في ورش الحكومة سنة ١٩٢٦ نحو ٢٧٠٠٠٠٠ عامل بازاء ٣٦٠٠٠ عامل في ورش الافراد. وكانت وسائل النقل جميعها — خطوط المواصلات من شركات بحرية وقطارات حديدية وطائرات — في يد الحكومة

بدأ مشروع الاعوام الخمسة سنة ١٩٢٨ وانتهى سنة ١٩٣٢ بفوز باهر. فاستفز فوز الشيوعية هذا امم الرأسماليين في كل انديا. لانهم رأوا ان روسيا قد بلغت ذروة الصناعة. قال ستالين سنة ١٩٣٣ : ان منتجات روسيا بلغت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه قبل الحرب، وضعفي ما كانت عليه سنة ١٩٢٨. مع ان منتجات انكلترا بلغت في الوقت الحاضر ٧٥ ٪ ما كانت عليه قبل الحرب (سنة ١٩١٣) و٨٠ ٪ ما كانت عليه سنة ١٩٢٨ وشلها تقريباً المانيا والولايات المتحدة الاميركية. وقد أُنشئت مصانع كبيرة في مكنسوجورسك في اورال. ومحطة للكهربائية في دنيبرستروي. ومعامل للعربات في لينجراد وخاركوف. ومعامل للسيارات في غوركي. ومعامل للكيمياء في مورسك ابرسينكي. فزاد عدد المعامل عشرة اضعاف ما كانت عليه سنة ١٩١٣. وبلغت معامل الاشتراكيين وحدها ٩٩ ٪ من مجموع المعامل في روسيا. كذلك الانشاءات الزراعية. فقد انشئت ٥٠٠٠ مزرعة، و٢٠٠٠٠٠ حقل. وزادت الاطيان الزراعية على ٢١ مليون هكتار. وارتفعت اطيان الاشتراكيين من — ٣ — سنة ١٩٢٨ الى — ٧٥ — سنة ١٩٣٢ وارتفع دخلها من ٤٤ الى ٩٣ وزادت الاجور ٦٧ ٪. وبلغت الاموال في شركات التأمين ثلاثة اضعاف ما كانت

وفي الوقت نفسه يزعم خصوم روسيا ان العمال مسخرون وان الحكومة عاجزة اما عن التقدم في المعارف فحدث ولا حرج. فقد بلغ التلامذة في المدارس البدائية ٢١٠٠٠٠٠٠ من الجنسين وارتفعت منتجات الصحافة من ٣ الى ٣٦. ومراكز الاسعاف الطبية من ٨٥٨ سنة ١٩٢٨ الى ٥٤٣٠ سنة ١٩٣٣، وارتفع عدد اطبائها من ١٩٠٠٠ الى ٧٦٠٠٠

واليك جدول الانتاج في الممالك العظمى في سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٣

سنة ١٩٢٨	الدول	سنة ١٩٣٣
٧٫٠	فرنسا	٧٫٠
٢٫٤	اليابان	٤٫٧
١١٫٦	المانيا	١١٫٢
٩٫٣	الممالك الانكليزية	١٤٫٩
٤٤٫٨	الولايات المتحدة	٣٤٫٥
٤٫٧٠	روسيا	٣٤٫٥

فأين زعم من يزعم شح الموارد في روسيا . وانتشار الثقافة والمجامات وتحيم شيح الموت ؟ فأنت ترى انها على ضد ما يزعمون

أمام هذا البيان الواضح تغيرت لهجة الرأسماليين . وزالت من عالم الوجود الآمال التي عقدوها بفناء روسيا . وحلّت محلها دعاية اخرى ترمي الى اثارة امم الارض ، على « الخطر الروسي » وليس هنالك من خطر ، ليس الا فتح العيون واثارة الاذهان . فان روسيا غير طامعة في أحد ، وليس لها مطامع استعمارية[1] ، فهي مسالمة نزيهة السانية . جاء في التيمس الانكليزية بتاريخ سنة ١٩٣١ من مقالة افتتاحية بقلم رئيس تحريرها يقول : اذا اراد العالم التخلّص من الشيوعية فعليه بمقاطعة روسيا مقاطعة تامة . لانها متى تمت انشاءاتها الصناعية ، ووراءها مائة وخمسون مليون نفس ، فحينذاك تستمر منتجاتها اسواق الدنيا : ليتأمل القارىء ما هو سبب تخوفهم منها . وقد أقر ستر بلدون سنة ١٩٣١ ان الصناعة الروسية « خطر على العالم الصناعي »

هذا هو كلام خصوم روسيا . فأين الهلاك والموت الزؤام الذي كان يهددها قبل بضعة اعوام . فترى انهُ ليس عجز روسيا هو الذي أقلق كاهل الرأسماليين ، بل جدارتها ومقدرتها ومزاحمتها الرأسماليين مزاحمة شديدة هي التي تقضُّ مضاجعهم ووفرة منتجاتها لا قلتها هي التي تقضُّ في عضدهم لذلك أجمعوا على ابادتها ليصفو لهم الجو في التحكّم بأمم الارض فقد ملأوا المشارق والمغارب صياحاً بأن الأمة التي توحد اقتصادياتها أمة عقيمة عاجزة لا تصلح للبقاء . وواقع الحال انها أصلح للبقاء . والا فلماذا يخشونها وهي لا تخشاهم ويحاربونها وهي لا تحاربهم ؟ هو ذا الدول الصغرى حولها ، لم تطمع بأحد منها ، بل صانتها وعقدت معها عهود عدم الاعتداء[2]

وقالوا ان التسخير ، وعدم دفع الاجور وزيادة ساعات العمل اليومية ، هو السرّ في رخص البضائع الروسيّة ، فالظاهر ان الماليين لم يريدوا ان يميزوا بين استعباد طبقة من الامة قليلة العدد لطوائف العمال جماء ، وبين تدريب الأمة عموماً ، دون ما طبقات ، لتعمل في ما هو ملكها الخاص . فالعامل الروسي يعمل في بيته ورزقه ، يعمل ليزيد الثروة القومية التي هو سهم فيها ، لا ليقوّي عضد ارباب المطامع والجشع الذين يستأثرون بالأموال والعقار . وهب ان روسيا بنت مجدها على استعباد العامل فما هي النتيجة ؟ . لقد برهنت تواريخ كل الاجيال على ان التسخير شرّ الامور على شؤون الامم الاقتصادية . فليس الحافز العالين على القيام على روسيا رأفتهم بها ، بل نقمتهم على الذين يحولون دون تمكين مخالبهم من خناقها . فأساس الدعاية ضدها هو حسن ادارتها لا سوء ادارتها ، ونجاح مساعيها الاقتصادية لا خيبتها

(١) المقتطف : أليست الدعاية للثورة العالمية أشد خطراً من المطامع الاستعمارية أو مثلها على الاقل ؟
(٢) المقتطف : ان عهود عدم الاعتداء لا تعني ان الثورة العالمية ركن خطة الروس الثالث

بناء على ذلك هبّ اولئك السادة ، يحملون على الشيوعية حملة شعواء . يبثون سمّها ويلفونها بألسنة حداد ، وهم يحرّقون الأرض على الذين حالوا دون افتراسهم الحلان . وقد وقع اولئك الفطارسة بين شقي المقص . فاما ان يعرجوا عن مزاعمهم ان الشيوعية في حال الافلاس . وإما ان يعدلوا عن النظام من مزاحمتها إياهم في أسواق الدنيا . على ان وراء التقيضين ما هو أعمق من ذلك وهو ذعر الرأسماليين من سقوطهم امام الشيوعية لان اساسها اصحّ علميا، واثبت نفساً . وبالامس كان النطاق الصحي مضروباً على الشيوعية خوفاً من افسادها الاخلاق ! واليوم ضرب حولها نطاق الحصر الصناعي بكتفها . والخلاصة ان المبدأ الرأسمالي أخذ يطأطىء الرأس امام المبدأ الشيوعي . وهو يحاول دفعه بما اوتي من حيلة. بالامس كان المالبون ينادون بجوع الامة الروسية وفقرها ودنوها من الفناء . واليوم الازمة المالية ضاربة في البلاد الرأسمالية في اوربا واميركا . أما الروسيون فلا خوف عليهم فليس فيهم جائع واحد . ولا عامل ليس له عمل ولا ارملة او عطلقة تبيح عرضها لتعيش

جاء في تقرير مدير بنك انكلترا السنوي سنة ١٩٣١ ما نصه : —

اذا لم يقم هنالك من تدبير في عالم المالية فليس امام انكلترا الا الانحدار تدريجاً الى دركات الفقر والهلاك . وليس انكلترا وحدها بل اوربا بأسرها منحدرة في ذلك المنحدر بسبب مزاحمة روسيا وزيادة منتجاتها يدل على ذلك ملايين العمال بدون عمل في فرنسا والمانيا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية . هذا سرّ المسألة وبيان فلسفتها. هذي هي السنة الرابعة من السنين الخمس الثانية ، وهي تبشر بالحياة السعيدة والفوز التام فليس ثمة مجال لاتهام الشيوعية بالمجاعة والفناء والاضمحلال

(حاشية) : يقول مقتبس هذي الاقوال ، اذا كانت الاقوال الآنفة كاذبة ، وكانت دعوى خصوم البلشفية صادقة في انها على شفا جرف هار فلماذا يتحد الالمان واليابان ضدها ، فان الاقوياء لا يتحدون على الضعيف بل اتحاد الجميع على فرد اعتراف منهم بقوته . ثم لو صح قولهم سنة ١٩١٩ ان روسيا على شفا الهلاك فلماذا لم تهلك الى اليوم بعد ١٨ سنة ؟ ولو انها شريرة فلماذا لم تغر جيرانها الضعفاء بل عاهدتهم معاهدة المسالمة والحب ؟ ولماذا قبلتها كل الدول في سنة الامم ؟ واذا كانت ضعيفة فلماذا يخشونها ؟ (١)

والمعلوم عندنا ان روسيا اليوم من اقوى دول العالم . والعلم فيها بلغ الذروة العليا ، وكذا الادب والفلسفة ، وهذي المزايا لا تكون في امة تتضوّر جوعاً وقد اشرفت على الهلاك ، وهبني قلت هذا الصبح ليل الخ خزان جبل الاولياء حنا خباز

(١) المقتطف : ثمة فرق بين نجاحها الاقتصادي والصناعي وهذا لا ريب فيه وبين دعايتها الثورية الدولية وهو ما يتعلون له . فاذا لم تغز جيرانها بالسيف فانها تسعى الى غزوهم بالسنة الدعاة . وقد اعتبرنا في عصبة الامم سياسية ولها حديث طويل

قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقواتها وطرق تنظيمها

— ٣ —

الريخ

فاذا انتقلنا الى الكلام عن الجيش الألماني وجدنا قصةً طويلة يمكن ان نبدأ بها في ١٥ مارس من سنة ١٩٣٥ لما صرّح المسيو فلندان رئيس الوزارة الفرنسية في ذلك الحين في مجلسي النواب والشيوخ الفرنسي قائلاً :

« ان الحكومة قررت ان يخدم المجندون سنتين بدلاً من سنة واحدة وأن يستمر ذلك أربع سنوات » وقد علل الوزير الفرنسي هذا القرار بموازنة رقمية بين قوّة فرنسا وقوّة المانيا العسكرية فقال « ان قوّة فرنسا في سنتي ١٩٣٥و١٩٣٦ تكون ٣٧٢٫٢٠٨ في حين ان قوّة المانيا فيهما تكون ٦٠٠و٤٨٠ »

وكان الماريشال بتان وهو أكبر الخبراء العسكريين في فرنسا اليوم أول من نبه الى هذا الامر في مقالة كتبها في « مجلة العالمين » قال فيها ان الوسيلة الوحيدة لدرء الخطر الذي يهدد فرنسا من ناحية التجنيد هي جعل مدّة الخدمة العسكرية سنتين بدلاً من سنة واحدة

بعد صدور القرار الفرنسي كان الرّد الطبيعي لحكومة الريخ ان قررت من ناحيتها إعادة الخدمة العسكرية الالزامية وزيادة قوات الريخ الحربية الى نصف مليون جندي . ومعنى هذا القرار رفض المانيا رفضاً رسمياً لبنية الزامية من المواد الحربية في معاهدة فرساي وهي التي نصت على ان لا يتجاوز عدد الجيش الالماني المائة الف . وكان الهر هتلر قبل اعلان الخدمة الالزامية قد اجتمع بسفراء فرنسا وبريطانيا وبولندة وأطلعهم على عزمه وتضمن القرار الخطير الذي أذيع على الأمة الألمانية يوم ١٦ مارس ١٩٣٥ بخصوص العودة الى نظام الخدمة الالزامية كلمة تمهيدية عن البطولة العظيمة التي أبداها الشعب الألماني خلال أربع سنوات ونصف سنة وهي المدّة التي استغرقتها الحرب الكبرى وكيف ان المانيا ألقت سلاحها في نوفمبر من سنة ١٩١٨ ثقةً منها بتأكيدات الرئيس ولسون وقد قابل الشعب الالماني قرار حكومته بأشد مظاهر الحماسة والابتهاج

وأطلق على القانون الجديد اسم « قانون تنظيم الدفاع » واشتمل على ثلاث مواد . فالمادة الأولى نصت على ان الخدمة في قوى الدفاع تكون على أساس الخدمة العسكرية العامة وجاء في

المادة الثانية ان الجيش في وقت السلم بما في ذلك قوى البوليس التي ستنضم الى الجيش يتألف من ١٢ فيلقاً تكوناً من ٣٦ فرقة . وتقول المادة الثالثة ان وزير الحربية سيقدم فيما بعد الى مجلس الوزراء النوانين التكميلية التي تنظم الخدمة العسكرية العامة ويتكوّن الجيش الالماني بعد تقرير إطالة مدة الخدمة العسكرية من ٥٥٠٫٠٠٠ جندي وفي استطاعة المانيا زيادة هذا العدد في حالة الحرب الى ستة ملايين محارب بسهولة . ولولا إسراع المصانع الالمانية خلال العام الأخير لكان الجيش الالماني تموزه الاسلحة الحديثة ولكن توجيه العناية التامة الى هذه الناحية مكّنت المانيا من سدّ هذا النقص وسوف لا تقضي مدة طويلة حتى يتنحى برنامج التسلح الالماني

وزادت قوة الجيش الالماني العام فيلقين جديدين في ٦ اكتوبر ١٩٣٦ وهما الفيلق الحادي عشر في هانوفر والثاني عشر في كوبلنز . وعلى ذلك تحقق تكوين الاثني عشر فيلقاً التي نص عليها قانون تنظيم الدفاع السابق ذكره وينقسم كل فيلق من هذه الفيالق الى ثلاث فرق فيكون الجيش الالماني مكوناً من ٣٦ فرقة . وتتوزع الفيالق العشرة الاصلية على النحو الآتي :

كونجزبرج — ستيتن — برلين — درسدن — شتوتجارت — مونستر في ويستفاليا — ميونيخ — برسلو — كاسيل — هامبورج

وقبل ان نفصل تكوين الجيش الالماني نقول ان الجمهورية الالمانية بعد ان سلخت منها عدة مقاطعات بعد الحرب ضمت الى الدنمارك وبلجيكا وفرنسا وبولندة وبعض دويلات البلطيق وتشكوسلوفاكيا تقدر مساحتها بـ ٤٨٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة وتتصل حدودها بعدة دول اكثرها ليست دولاً صديقة وهذه الدول تشتمل على فرنسا ولوكسمبرج وبلجيكا وهولندة والدنمارك وبولندة ومدينة دنزيج الحرة وليتوانيا (ميمل) وتشكوسلوفاكيا والنمسا وسويسرة

وتعتمد الدولة الالمانية على الجيش في تحقيق كل آمالها التي تعجز السياسة عنها ولذلك نرى أن كل مرافق الدولة متصلة اتصالاً وثيقاً بأعمال الجيش والطيران والبحرية والجيش الالماني الحديث ما يزال شعاره Über alles اي «فوق الجميع» وهو عنوان المجد القديم ومحط آمال المستقبل

قلنا ان الخدمة العسكرية في المانيا اجبارية لكل الماني والمانية من اصل آري ولغير الآريين قوانين اخرى خاصة بتجنيدهم وتبدأ الخدمة العسكرية من سن الثامنة عشرة الى الرابعة والخمسين لجميع الذين ادوا الخدمة في فرق العمل الاجبارية وهي بمثابة مراكز للإعداد العسكري للشباب الالماني حيث يتدربون على الأعمال والتمرينات الحربية في معسكرات يسع الواحد منها مائة وثمانين جندياً تقريباً وكل ثمانية معسكرات تؤلف مجموعة وكل ثمانيه مجموعات تكون (Gau) وهنالك في المانيا ما لا يقل عن اربعين من هذه التشكيلات التي يبلغ عدد افرادها اليوم

٤٥٠٫٠٠٠ على الاقل . كما ان فرق الهجوم وفرق الوقاية تمد الجيش الالماني باحتياطي عظيم كاحتياطي القوات المنظمة نفسها تماماً . وفرق الهجوم هذه مقسمة الى ثلاثة أقسام بقيادة الهرهتار ومساعدة رئيس هيئة اركان حربه

افراد الفرق العاملة وتتفاوت اعمارهم من ١٨ — ٢٥

الاحتياطي الاول وتتفاوت اعمار افرادهم من ٢٥—٤٥

اللاند ستورم لمن يزيد على الخامسة والاربعين

وتبلغ قوات الفرق المذكورة ٦٢٧ اورطة

اما فرق الوقاية فمؤلفة من ٢٠٠٫٠٠٠ شاب موزعين على عشرة فرق اي ٨٥ اورطة

واذا انتقلنا الى قوات الطيران الالمانية وجدنا مرتبتها الثالثة بين الدول الاوربية وان كانت لم تبدأ في تكوينها الحربي الا بعد الانقلاب النازي منذ اربع سنوات ويكاد يكون من اسرار الدولة ان تبقى الكفاءة الجوية الحديثة في حكومة الريخ مكتومة وان كانت جمعيات الطيران التي تقوم بتعليم الشبان منتشرة في جميع انحاء البلاد ولا يقل عدد الطيارين الذين يمكن الانتفاع بهم وقت الحرب عن خمسين الف فضلاً عن مدارس الطيران في برنسويك وشلايس هيم ودارمشتد وستتن وكويتس — الخ التي تخرج عدداً وافراً من الطيارين كل عام ينتظم كثيرون منهم في الشركات الجوية في اوربا والقارات الاخرى

وفي ألمانيا جمعية للدفاع ضد الغازات الجوية يبلغ عدد أفرادها ستة ملايين عضو واسمها (Deutsche Luftschutzbund) ويبلغ عدد موظفيها ٢٨٠٫٠٠٠ وعدد متطوعيها ١٫١٠٠٫٠٠٠ وهناك ما لا يقل عن ٢٫٢٠٠ مدرسة للدفاع الجوي فيها ١٠٫٣٠٠ معلم وقد شيدت هذه الجمعية ٢١٫٥٠٠ ملجأ للوقاية من الغازات . وقد توقعت الجريدة التي نقلنا عنها هذه النبذة ان يبلغ عدد الافراد الذين يتقنون التعليم الفني في هذه المدارس مليونين قريباً

ويبلغ عدد المطارات في انحاء البلاد الالمانية مائتين على الاقل فيما عدا القواعد البحرية المعدة لنزول الطائرات البحرية . اما عدد الطائرات التي تملكها الدولة فلا يقل عن ثلاثة آلاف طائرة مختلفة الاطرزة والاغراض موزعة بين الاقسام الستة الجوية في الدولة في كونجزبرج وبرلين ودرسدن وسولستر وبونيخ وكيل

ايطاليا

وهذه ايطاليا حيث بلغ التطور الحربي شأواً كبيراً صارت اليوم نموذجاً للأمة المسلحة (Nation in Arms) . فالسائح القادم الى ايطاليا اليوم بطرق الشمال تروعه الدهشة من الجو العسكري الذي يسود ايطاليا الآن . فالشبان الاشداء بين سن الثانية والعشرين والخامسة

والعشرين اما مجندون في الخدمة العامة وإما انهم دعوا الى حمل السلاح والانضمام الى آلياتهم

والواقع ان هؤلاء الشبان تزاهم بالملابس العسكرية العادية او القمصان السود او سراويل الميدان الرمادية او ملابس الكشافين ذاهبين او عائدين الى معسكرات التمرين او الثكنات او ميدان المناورات

ونظراً الى الحاجة المتواصلة الى معدات القتال في جميع الاسلحة تقرر الحكومة الايطالية من وقت لآخر زيادة ساعات العمل في مصانع الاسلحة والذخيرة الى متوسط تسعين ساعة في الاسبوع. وقد صرّح السنيور موسوليني في احدى جلسات مجلس الوزراء منذ شهرين بأن الفوميسيرية العامة للمصانع الحربية تراقب ١٣٠٠ مصنع حربي وان تسلح الجيش الايطالي لا يزال سائراً بانتظام وسيبلغ تمامه في المدة المحددة لهُ. اما فيما يختص بالطيران فقد صودق على مبلغ ١٥ مليوناً من الجنيهات خصصت لانشاء حظائر حربية ومدفعية جديدة في وادي بو وعلى طول سواحل البحر الادرياتيكي وتيرانيا وفي سردينية وصقلية

وقد كان أهم قانون صدر في عهد حكم الفاشست «قانون إعداد الامة العسكري» الذي أريد به جعل الشعب الايطالي عن بكرة أبيه شعباً عسكرياً. وأهم مواد هذا القانون:

١ — الرعوية الايطالية والجندية صفتان متلازمتان في ظل النظام الفاشيستي

٢ — التدريب العسكري جزء من برنامج التعليم القومي ويبدأ بمجرد بلوغ الطفل سن الادراك ويستمر بحيث يكون الايطالي على استعداد دائم لحمل السلاح والدفاع عن وطنه

٣ — هذا التدريب العسكري ينقسم الى ثلاثة أقسام:

فالطور الاول التدريب العسكري التمهيدي والغرض منهُ اعداد الايطاليين روحياً وجسمانياً وعسكرياً اثناء المدة السابقة لتجنيدهم في الجيش. والطور الثاني تلقين الايطاليين الفنون العسكرية واستكمال التدريب التمهيدي. والطور الثالث تدريب الايطاليين بعد قضاء مدة الخدمة العاملة ليكون احتياطي الدولة على أتم استعداد عند اعلان الحرب. وهذا التدريب اجباري لمدة عشرة أعوام بعد التسريح من الجيش العامل وايطاليا يبلغ عدد سكانها اليوم ٠٠٠ و ٠٠٩ ر٤٣ نفس ومساحتها ٠٠٠ ر ٣١٠ كيلو متر مربع واصبحت لها اليوم امبراطورية واسعة الارجاء تمدها آلاف المجندين الاتوياء

والجيش الايطالي من قوات الدفاع الاوربية الاولى ويبلغ عدده اليوم ٠٠٠ و٥٢٨ جندي على الاقل ويصل هذا العدد في وقت الحرب الى أربعة ملايين بكل سهولة ويشرف على أعمال الجيش الايطالي مجلس الجيش وهو هيئة استشارية لوزير الحربية في كل ما يختص بأعمال الدفاع وهذا المجلس مؤلف من وزير الحربية ورئيس هيئة اركان الحرب وجميع قواد

الجيش العاملين وقواد الجيوش وثلاثة من قواد الفيالق او الفرق ينتخبون كل سنة بقرار وزاري وتجدد مدة انتخابهم عند انتهائها.

وهناك هيئات ولجان ومجالس يقوم بعضها بتنظيم اعداد الامة إعداداً عسكرياً وبعضها لتنظيم الانتفاع بمرافق الدولة الاقتصادية كلجنة الدفاع المدنية التابعة لوزارة الزراعة والغابات. والجيش الايطالي مقسم الى ٢٣ فيلقاً موزعة في تورين وباسكندية وميلان وڤيرونه وتريست وبولونيا وفلورنسة وروما وباري ونابولي وأودين وجزيرتي صقلية وسردينية.

وأهم الاسلحة التي يشتمل عليها الجيش الايطالي هي المشاة (١١٤ آلايا) والخيالة (١٢ آلايا) والمدفعية (٦٥ آلايا) والمهندسين (٨٧ آلايا) وسلاح الدبابات وأهم الخدمات الاخرى والمصالح العسكرية هي سلاح الكيمياء الحربي والقسم الطبي وادارة المهمات والتكنات ومصلحة الادارة العسكرية والقسم البيطري وخدمة النقل الميكانيكية وقسم الطبوغرافيا والجغرافيا ومصلحة المحاكم العسكرية والمصالح العسكرية للاسلحة والذخيرة وأهم مؤسساتها في « تيرني » وروما وكابوا وغيرها

والقوات غير العسكرية التي يتكون منها قوات تمد الجيش عند الحاجة هي قوات البوليس وعددها تقريباً ١٥٫٠٠٠ وفرق الكازيزي الملكية وعددها ٠٠٠ و٥٠ والميليشيا الوطنية وهي منضمة كوحدات الجيش تماماً

ومن المعاهد العسكرية في ايطاليا نذكر:

كليتان حربيتان — أكاديمية للمشاة والخيالة — أكاديمية المدفعية والمهندسين — مدرسة تدريب المشاة — مدرسة تدريب الخيالة — مدرسة تدريب المهندسين والمدفعية — تسع مدارس لضباط الاحتياط — ثلاث مدارس لضباط صف الاحتياط — اربع مدارس مركزية للاسلحة — كلية أركان الحرب — مدرسة المدفعية — مدرسة الطب العسكري وغير ذلك من المدارس الفنية كالاستكي والكيمياء والميكانيكا.

وقوة ايطاليا الجوية لا يستهان بها والطيارون الايطاليون مشهورون بشجاعتهم وتدريبهم ويعتمد على السلاح الجوي لتحقيق اكثر العمليات الحربية وهو من أكثر القوات الجوية انتظاماً في العالم وضباط الطيران ينقسمون الى ثلاثة اقسام: ضباط الملاحة الجوية وضباط الخدمة وضباط الاخصاء وقد بلغ عدد الفريق الاول خلال العام ١٩٣٥ — ١٫٣٨٨ والفريق الثاني — ٤٠١ والفريق الثالث ١١١ وهناك ايضاً فيلق جوي للمهندسين عدد ضباطه ثمانون ضابط.

ولا يقل عدد الطائرات الايطالية عن ٢٥٠٠ طائرة قوتها مليون ونصف مليون حصان وعدد رجالها ٣٠٫٠٠٠ رجل تقريباً (كولونيل)

باب الأخبار العلمية

العلم في العام الماضي

مختارات من أجل آثار العلماء في سنة ١٩٣٦

العلم والاجتماع

اشتد في العام الماضي اتجاه العلماء الى البحث في تأثير العلم من ناحيته الاجتماعية وكان هذا الاتجاه قد ظهر على أثر الأزمة الاقتصادية التي انتابت العالم في العهد الاخير ثم بلغ ذروته في اجتماع مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي عقد في مدينة بلاكبول بانكلترا في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر الماضي . وقد نقلنا للقراء في حينه ملخصاً من خطبة الرئيس السر يوشيا ستامب وقد دارت من أولها الى آخرها على هذا الموضوع الخطير ومن اقواله فيها : « أن العالم قلما يعنى بنتائج كشفه واستنباطه مع ان ثمارها من أقوى العوامل على احداث التحول الاجتماعي . واذا عني بها فغايته تنحصر في الغالب في تعديد الفوائد التي تعدتها مكتشفاته ومخترعاته على الناس . ولا تتعداها الى تبيين ما تحدثه من الهزات الاجتماعية يسيرة كانت او قوية . فكأن المنطقة التي تحصل فيها الهزات وكيفية اتقائها كانت منطقة حراماً على الباحثين . فالعالم كان يحسبها خارجة عن نطاقه الخاص . والاقتصادي قلما اعترف بأن الواجب عليه يقضي بدراسة هذه الناحية من موضوعه . والحكومات كانت تتقلب بمعزل عما هو حادث من هذا القبيل الى ان تستفحل النتائج . فتربية العالم كانت لا تشتمل على تبصيره بنتائج عمله من الناحية الاجتماعية . وتربية السياسي والاداري كان يعوزها تدريبهما على فهم تقدم العلم وما يقتضيه من ملاءمة للكيان الاجتماعي له . فلما وقع الاصطدام أنكر كل من يهمه الامر ان الامر من شأنه »

هبات علمية كبيرة

ومن الحوادث العظيمة الشأن في تاريخ البحث العلمي الهبة السخية التي جاد بها لورد نفيلد صاحب معامل سيارات موريس على جامعة اكسفرد لتشجيع البحث في الطب السريري وأهبة بلغت مليونين من الجنيهات او أقل قليلاً . وقد تلقت الجمعية الملكية في لندن هبات كبيرة كذلك لتشجيع البحث العلمي ومن مشروعاتها البحث بحثاً وافياً في علاقة الملاريا بالتغذية في الهند

ومما يتصل بالبحث العلمي وعلاقته بالمجتمع عناية العلماء بموضوع التغذية وتعيين لجنة لهذا الشأن كتب فيه لاعلام مثل السر جون اور والدكتور ماكونجل والاستاذ جوليان هكسلي

تطبيق العلم الطبيعي

ولعل أظهر مظهر لتطبيق العلم الطبيعي في السنة الماضية اتساع نطاق التلفزة حتى اصبح في طاقة من يملك جهازاً لاقطاً أن يلتقط ما يذاع من محطة مركزية اذاعة منتظمة. والغالب في تاريخ المخترعات التي من هذا القبيل انها عندما تبلغ مرتبة الاستغلال التجاري يطرد فيها التقدم بسرعة عظيمة على نحو ما تم في الاذاعة اللاسلكية من سنة ١٩٢٢ الى الآن

زرع النبات في الماء

ومن هذا القبيل تقدم الاسلوب الجديد في زرع النباتات في الماء. فقد تمكن الاستاذ جريك احد علماء كاليفورنيا من زرع نباتات في ماء لم يضف اليه الا المركبات غير العضوية التي يتركب منها جسم النبات فيها النبات وأورق وأثمر. وقد كان النمو في هذه التجارب سريعاً والمحصول كثيراً ولا سيما في ما يخص الطماطم. وقد ابتكر الالمان طريقة مماثلة لهذه الطريقة تمكنوا بواسطتها من بذر بذور علف الماشية والحصول على العلف نفسه منها في عشرة ايام. ولاريب أن هذه المبتكرات قد تسفر عن انقلاب عظيم الشأن في الزراعة

بلورات الفيروس

ومن المكتشفات الاساسية في علوم الاحياء ما اثبته بعض الباحثين من أن عوامل المرض الخفية المعروفة باسم فيروس يمكن الحصول عليها في شكل بلورات. والفيروس الخاص الذي أفضى بهم الى هذا الاكتشاف هو الفيروس الذي يسبب في ورق التبغ (الدخان) داء التبقع. وعليه فقد يحسب الفيروس في مرتبة متوسطة بين المادة الحية والجامدة

مائة مليون مجرة

وقد حسب الدكتور هبل احد علماء مرصد جبل ولسن باميركا ان في الكون مائة مليون مجرة في نطاق قطره ٥٠٠ مليون سنة ضوئية. والسنة الضوئية هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية. وينتظر ان يتسع هذا النطاق ويزيد عدد المجرات متى تم صنع التلسكوب الكبير الجديد وتصبه

الفيتامين المجرب

ومما أسفر عنه العام الماضي في ميدان الكيمياء الحيوية اكتشاف فيتامين جديد رسم بحرف P الفرنجي ودعي ستزين وهو يؤثر في مقدرة جدران الاوعية الشعرية على منع الدم من تخللها وهو لذلك يؤثر في النزف ويفيد في منعه وكذلك في مرض تبقع الجلد الناشيء

عن ضعف جدران الاوعية الشعرية في مناطق معينة من الجسم تحت الجلد

وهناك اكتشاف آخر ذو شأن كبير وهو ان الحقن المتوالي بالانوار اي الهرمونات (مقرزات الغدد الدم) ينتج اجساماً مضادة لها تقاوم فعلها

النجوم المتحيرة

ان الذين يرصدون السماء يرون احياناً وعلى حين فجأة نجماً مشرقاً حيث تعودوا أن يروا نجماً خفيًّا . وبذلك يزعم بعض العلماء انهُ يمكننا أن نفسر النجم المتألق الذي ظهر فجأة في السماء ليلة ميلاد السيد المسيح

وقد أطلق علماء الفلك على هذا الضرب من النجوم اسم النجوم الجديدة (نوفي) والواقع ان هذه النجوم ليست جديدة وانما هي نجوم قديمة انفجرت فاشتد اشراقها

وقد كانت سنة ١٩٣٦ من السنين التي امتازت بكثرة النجوم الجديدة فيها . فقد ظهر ما لا يقل عن خمسة نجوم جديدة من الطبقة الاولى احدها اكتشفهُ باحث في مرصد جبل ولسن في كوكبة العذراء وقيل أنهُ بعيد جدًّا عن النظام الشمسي حتى ليستغرق نورهُ ستة ملايين سنة في الوصول الينا مع أن سرعته تبلغ ١٨٦ الف ميل في الثانية

وجميع هذه النجوم حدثت فيها انفجارات كبيرة فأطلقت مقادير عظيمة من الغاز بسرعة ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ كيلو متر في الثانية . ولو أن شخصاً تصرفت على هذا النحو لكن انفجار واحد فيها ان يمحق الحياة على وجه الارض . وقد لوحظ أن النجم الجديد المعروف باسم « نوفا لاسترتي » وبعده ٢٦٠٠٠ سنة ضوئية حصل فيه اربعة انفجارات من هذا القبيل

سديم أحمر

السدم لطخ سحابية من المادة الكونية داخل المجرة وخارجها . والسدم الغولية او الحلزونية هي خارج المجرة وترى سدماً لبعدها مع أن فيها قدراً كبيراً من النجوم

وقد تم في السنة الماضية اكتشاف أول سديم أحمر اللون في مرصد مكدونالد بجامعة تكساس الاميركية

« طيب » ! وما قيمة اكتشاف سديم أحمر ؟

للعلماء نظرية في اشراق السدم وهي أنها تشرق بانعكاس الضوء الذي يشعه ما فيها من النجوم . والنجوم باعتبار حرارتها طائفتان عامتان طائفة حمراء وطائفة زرقاء . فالأولى باردة بالقياس الى حرارة النجوم والثانية شديدة الحرارة

فاذا كانت السدم تضيء بالنور المنعكس من النجوم وجب أن تكون هناك سدم زرق وسدم حمر . وقد اكتشف العلماء سدماً زرقاً ولكنهم لم يعثروا قبل السنة الماضية على سدم حمر فالعثور على سديم احمر يؤيد النظرية المتقدمة . ومن هنا قيمته النظرية

أبرد النجوم

تختلف درجة الحرارة على سطوح النجوم من ٣٦٠٠ درجة بميزان سنتغراد الى ٣٥ ألفاً واعلاها ٥٠ الف درجة . ولكن الدكتور هنزل مدير مرصد يركيز بأميركا اكتشف نجوماً لا تزيد حرارتها على الف درجة بميزان سنتغراد . وقد اكتشفها بالتصوير بأشعة الحرارة لا بأشعة الضوء لان هذه النجوم لا تبلغ من الحرارة درجة تجعلها مضيئة

وعلى ذلك فلا يستبعد ان يكون على مقربة من النظام الشمسي نجوم من هذا القبيل لا يراها بالعين او بالمرتب لانها لا تشع الا أشعة حرارة وهي مما لا تراه العين ولكن يحس به بعض الالواح الفوتغرافية

التغلب على الستربتوكوكس

الستربتوكوكس اسم يطلق على طائفة من الميكروبات تشاهد مجتمعة في سلاسل ومن العلل التي تحدثها هذه الميكروبات التهاب الحلق وبثرات الحمرا وحمى النفاس وغيرها . وقد اكتشف في السنة الماضية ان مادة كيمياوية تضع في احد مصالح الاصباغ بالمانيا تدعى بروتوزين تمكن الجسم من مقاومة هذه الميكروبات والتغلب عليها . ويمكن ان يؤخذ البروتوزين اقراصاً كما تؤخذ أقراص الاسبرين

لعم ان اكتشاف هذه المادة واستعمالها لم يتما في السنة الماضية ولكن التسليم العام بفعلها وفائدتها حدث في السنة الماضية

ومن قبيل البروتوزين مادة أخرى تدعى البرونتوزيل ويدعى مكتشفها دوماك والرأي العام ان اكتشافها من اهم مآثر البحث العلمي الحديث في مقاومة الامراض المعدية

توليد الارانب في الانابيب

في الاجتماع الذي عقدته الجمعيات الاميركية للبيولوجيا التجريبية في ربيع سنة ١٩٣٦ أذاع الدكتور بنكس احد اساتذة جامعة هارفرد انهُ لا حاجة به الى ذكور الارانب في توليد الارانب . ذلك ان الدكتور بنكس أخذ بيضة أرنب ووضعها في أنبوب والقحها بمحلول مالح لا اكثر ولا أقل . فنمت البيضة وتحولت جنيناً كامل التركيب ثم زرع هذا الجنين في أرنب أنثى وبعد اسبوع تلك هذه الارنب لدراسة الجنين المزروع فيها . وفي تجربة أخرى تمكن الدكتور بنكس من تلقيح البيضة بمجرد تعريضها للحرارة

نقل الاعضاء وزرعها

وتجارب الدكتور بنكس تمتد الى الذهن ما تمَّ على أيدي نفر من العلماء في نقلهم أعضاء كاملة وزرعها في حيوانات أخرى وحتفظها حية نامية . فالدكتوران ريط وكولنز من أساتذة جامعة بتسبرج نقلا قلباً حيًّا من متمندل وزرعاه في آخر . والدكتور شوند أحد أساتذة مدرسة لويولا الطبية بشيكاغو بتر لخذ جزءاً أبيض وزرعها لحماً وعظماً في جزء آخر . والدكتور وليس أحد أطباء مستشفى الفرد بملبورن باستراليا نقل عظام القوائم الأمامية من جرذ وزرعها في دماغ حيوان آخر . والدكتوران افروسي

ويدل نزعاً تيوناً ومبايض وغيرها من عيون الحشرات وزرعاها في حشرات أخرى غير التي نزعت منها وقد جرى فريق آخر على خطة الدكتور كارل وهي نزع قلب فرخ ووضعه في سائل خاص ومراقبة عمله الحيوي . فأخذ الدكتور أوسجود والدكتور سكونيتش نخاع العظم ووضعاه في انبوب من هذا القبيل وراقباه في نموه حتى هاجمه الاعلال

تحويل المادة

أن عنصر الراديوم يطلق ثلاثة انواع من الاشعة هي اشعة الفا وبيتا وغما وعندما ينفد اشعاعه يتحول الى رصاص . وهذا الفعل يستغرق الوفاً من السنين . ومن المراتب التي يمر بها الراديوم في هذا التحول مرتبة يعرف فيها براديوم E ولكن العالم ليتفورد احد اساتذة جامعة كاليفورنيا تمكن من صنع راديوم E من عنصر البزموت . ذلك انهُ اطلق على عنصر البزموت قنابل ومقذوفات هي نوى الايدروجين الثقيل بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية وبعدل ١٠٠ الف قذيفة في الثانية فأصابت بعض هذه المقذوفات نوى ذرات البزموت فحولتها الى ذرات راديوم E . وعند امتحان هذه الذرات وجد انها كراديوم E الطبيعي في جميع خصائصها

وبالطريقة نفسها حوّل لورنس وكورك البلاتين الى ذهب . ولورنس حوّل اليثيوم الى بريليوم . وبرام حوّل الصوديوم الى مغنسيوم

وفيات الاسبوع

وقد فقد العلم في خلال السنة الماضية طائفة من اكبر اعلامه في مقدمتهم الاستاذ بافلوف وهو الفسيولوجي الروسي الذي قضى ما يزيد على ثلاثين سنة يجرب التجارب في ما يعرف الآن بالافعال المكيفة المحولة وبحثه فيها أساس لمذهب سيكولوجي كبير الشأن يعرف باسم المذهب السلوكي . ومنهم الاستاذ لويد مورغن الانكليزي صاحب الفلسفة العلمية المعروفة باسم « فلسفة البزوغ » ومن اكبر انصارها هوبتهد الانكليزي الاميركي والكسندر الانكليزي والجنرال سمطس . ثم توفي لويس بليريو الفرنسي وهو اول من عبر بحر المانش بطائرة سنة ١٩٠٩ والدكتور كاتي وقد كان في مقدمة العاملين على استعمال القلم السينمائي في البحث العلمي

أما في ميدان الادب العالي فقد مني العالم بوفاة كبلنغ وهوسمن وتشسترتون الانكليز ومكسيم جوركي الروسي وبيراندللو الايطالي

جوائز نوبل

وقد منحت جائزة نوبل الطبية للسر هنري ديل الانكليزي والاستاذ لوفي النمسوي جزاء لهما على ما قاما به من المباحث الطريفة الدقيقة في فهم انتقال الرسائل العصبية في الاعصاب من ناحيتها الكيماوية . ومنحت جائزة نوبل الطبيعية للاستاذين هس واندرسن لما لأولهما من فضل المتقدم في دراسة الاشعة الكونية ولآخر دراسة هذه الاشعة أفضت بالثاني الى اكتشاف دقيقة من دقائق المادة الكهربائية الاساسية ولهي الكهرب الموجب « البوزيترون » . ومنحت جائزة نوبل الكيماوية للاستاذ دبي الهولندي الالماني لما قام به من المباحث الاساسية في المحلولات

اطار وعدوى الفيلاريا برشيد

بحث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك استاذ الطفيليات في كلية الطب ومدير معهد الامراض المتوطنة بحثاً طبياً قيماً دقيقاً في موضوع عدوى الفيلاريا برشيد خلص منه الى النتائج التالية :

بما أن عدوى الفيلاريا متوطنة في رشيد ولا أثر لها في القرى والبلدان المجاورة وبما ان آبار المياه المالحة كثيرة في رشيد ولا وجود لها في القرى المجاورة وبما أن بعوضة الكولكس بيبنز كثيرة جداً في هذه الآبار فالنتيجة المحتمة هي ان مصدر البعوضة الدقة بفيلاريا في رشيد هو تلك الآبار ذات المياه المالحة التي في المنازل

ومن حسن الحظ ان في رشيد الآن موارداً للمياه العذبة الرشحة مما يجعل هذه الآبار لا لزوم لها . والبلدية لها مصلحة ظاهرة في توزيع المياه المرشحة الى اكبر عدد ممكن من السكان فضلاً عن أنهُ يؤدي الى تقدم كبير في حفظ الصحة من الامراض المعدية وفي نفس الوقت يجعل من الممكن تخفيض ثمن المياه المرشحة تخفيضاً يساعد على الاقبال على استعمالها

وقد تبين ان مياه الآبار ملوثة جداً حيث اظهرت تباين الفحص الكيماوي وجود مقادير كبيرة من نيتريت النشادر والنشادر

وخزانات المياه على الرغم من انها ليست ذات أثر يذكر في توالد البعوض فانها لو أهملت او تركت مكشوفة لتوالد فيها البعوض. وعلاوة على ذلك فان المياه المستعملة بها والتي تؤخذ من النهر مباشرة ملوثة من المجاري العامة التي تصب في النهر امام رشيد

وعلى ذلك يتبين جلياً ان الآبار وخزانات المياه في رشيد هي مصدر الخطر وفي الوقت نفسه يمكن الاستغناء عنها. وعليه يوصي الدكتور عبد الخالق بك باتخاذ اشد ما يلزم من الوسائل لردم جميع الآبار والخزانات في رشيد ومد انابيب المياه المرشحة الى اكثر المنازل فاذا تم ذلك فالمنتظر ان عدوى الفيلاريا تقطع تماماً

ومدينة رشيد تتيح فرصة نادرة لمقاومة مرض فتطبيق باجراء صحي بسيط وهذا الاجراء الصحي نفسه له اثر عظيم جداً في تخفيض الاصابة بالامراض المعدية الاخرى ولا سيما حمى التيفود والدوسنطاريا

اكتشاف عنصر جديد

في الفضاء بين النجوم

جاء من مرصد جبل ولسن في كاليفورنيا انهُ تم الاهناء فيه اكتشاف عنصر جديد في الفضاء الذي يكاد يكون فراغاً ، وهذا العنصر الجديد هو عنصر التيتانيوم ولكنهُ في حالة مؤينة أي ان ذراتهُ ليست كاملة كما ولكن كهاربها مفصولة عن نواها

يسند هذا الاكتشاف الى الدكتور ولتر أدمن مدير المرصد ومساعده الدكتور ثيودور دنهام وقد فازا به اذ كانا يبحثان في الجانب الذي وراء اللون البنفسجي من طيف

نجمة كبيرة تعرف باسم (ثي ٢ اوريونيس)

ويقول علماء مرصد جامعة هارفرد أنهُ اذا تأيد اكتشاف هذا العنصر في الفضاء الذي بين النجوم فانهُ يكون دليلاً إلى معرفة طبيعة هذا الفضاء أهم مما يستخلص من اكتشاف الصوديوم والكلسيوم فيهِ . ويظهر من طيف النجمة المذكورة ان فيها خطوطاً جديدة من عنصر التيتانيوم ومن المرجح ان موالاة البحث في النجوم شديدة الحرارة تسفر عن كشف هذه المادة في الغلاف المحيط بالارض في جميع الجهات

أونامونو فيلسوف سلمانكه

توفي الفيلسوف الاسباني اونامونو مدير جامعة سلامنكة وصاحب الكتب العديدة في الفلسفة والادب العالي . كان في بدء حياته فيلسوفاً يميل الى الصوفية ولكن حالة بلاده السياسية حملتهُ على النزول الى ميدان الاجتماع فأصبح الصوفي اجتماعيًّا وتحول الفيلسوف سياسيًّا فنفي وعزل من منصبه في سبيل الحملات الشديدة التي حملها على الظلم والاستبداد والمفاسد في عهد الملك الفونسو والديكتاتور بريمو ده ريفيرا

في ابريل سنة ١٩٢٥ اصدر الكاتب الاسباني بلاسكو إيبانز كتابه في الجمهورية الاسبانية المرتقبة فأحدث هزة في دوائر الأدب والسياسة وقد ختمهُ بالعبارة التالية : اني انظر الى المستقبل بلا وجل لانه سيقول عني : كان في وسعه ان يظل على الهامش ولكنهُ خاض المعركة على الرغم من اقتناعه بأنهُ لن يربح شيئاً بل يخسر كثيراً . اقدم غير متردد الى ميخويل دي اونامونو وادواردو اوريجا المجاهدين ببسالة في سبيل الكرامة الاسبانية قبل تحقيقها ومن دون تبصر في هل كان صحبه في الجهاد قليلين او كثيرين

ان مجرد ذكر اونامونو في مستند خطير كهذا يلخص تاريخ نشاطه في سياسة اسبانيا من سنة ١٩٢٤ او قبلها الى حين وفاته

كان اونامونو اعواماً طويلة مديراً لجامعة سلامنكة الشهيرة يدرس فيها اللغة اليونانية القديمة وعلم المقابلة بين اصول اللغتين اللاتينية والاسبانية ويصدر الى جانب ذلك الكتب والرسائل في شتى الموضوعات الا انهُ انبرى من عزلتهِ العلمية يعارض ديكتاتورية بريمو ده ريفيرا ويزعم حركة سياسية عنيفة ضد ذلك النظام فتعرض لغضب اولي الشأن فأخرج من وطنه الى المنفى فثار الرأي العام على نفيه وحمله حتى على حكومة دكتاتورية فاخلى سبيله وسمح له بأن يعود الى اسبانيا ولكنهُ رفض ان يعود اليها فذهب الى فرنسا وظل فيها الى ان اعلنت الجمهورية سنة ١٩٣١ فعاد الى وطنه حيث استقبل بأعظم مظاهر الحفاوة

وكان قبيل وفاته قد انضم الى فريق الجنرال فرانكو لما خشيهُ من الفوضى الشيوعية في البلاد ثم اعرض عنهُ لما رآهُ يدخل على البلاد طوائف من الاجانب لتمكينهِ من النصر وقد ادركتهُ الوفاة والحيرة تدمي قلبهُ القائم باسبانيا

وحي القلم

لمصطفى صادق الرافعي: جزءان: ٨٠٨ صفحة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٥ — سنة ١٩٣٦

الرافعي كاتب حبيب الى القلب، تتنازعهُ اليه اسباب كثيرة من اخوة في الله، ومن صداقة في الحب، ومن مذهب متفق في الروح، ومن بيئة معروفة في الفن، ومن اعجاب قائم في البيان ومن هنا ومن ثم لا أدري من أين تبدأ ولا أين تنتهي. فأنا حين أريد القول في صداقته او في إتقانه او في حبه او في بيانه او في فنه أجدني كالمهموم اذا ابتدأ لهُ همٌّ تداعت اليه الهموم من كل جانب، فأضع القلم وارفعهُ وأديره وأتنوى به لأن المعاني تتلوى بي في سبيل مضلَّة، فأراني أمحاشى القول خشية الغلوّ او خوف التقصير. وقد تكلفت شططاً وحملت نفسي على ما لا تطيق وأنا أكتب عن « وحي القلم »، لئلاَّ اغلو في الرافعيّ فيقال: معجب غلا به اعجابهُ، او اقصر فيه فيقال: صديق شقيت به أصحابه

كانت سنة ١٣٤١ — سنة ١٩٢٣ — فقرأت للرافعيّ كتابهُ «المساكين» فنازعتني نفسي الى مراسلته لأصل ما بيني وبينه، فكتب اليَّ كتاباً رقيقاً كنور الفجر، ثم مضت الايام ولقيت رجلاً كهلاً قد اشتعل الشيب في رأسه، خفيفاً قد اخذت منهُ الايام، سامتاً قد اسكتهُ الفكر، ثم قيل هذا الرافعي. فيوم ذاك عرفتهُ، فاذا هذا الكهل شباب مشتعل يتوهج، واذا هذا الخفيف قوة مستصحبة مستمرة لا تلين، واذا هذا الصامت لسانٌ عربيٌّ مبين. ثم هو بعد صديق أنت من صداقته في مثل الروضة تجيء الى ظلها، وتستشفي شذاها، وتصاحبها وتصاحبك فتسمح عن قلبك الحزن بالرضى والفرح، ما لا تسمح صداقة الناس كما ترى وتعرف

وهذا سر الرافعي كلهُ، سره في فكره، وسره في علمه، وسره في بيانه، وسره في فنه. وذاك هو سر المؤمن إذا ارتفعت عن قلبه الحجب، وسقطت عن عينه الغشاوة، وارتفع به الايمان عن أشياء الأرض الى أسرار السماء، فلا تجد الدنيا منهُ ما يحمد أو يطنيه أو يلفته، فهو بصيرة تنفذ، وقوة تعمل، واخلاص يجلوهُ وجمال يحبب. هذا هو سر الاسلوب الذي انفرد به الرافعي

والرافعي كاتب قد استولى على الامد في مادة الكتابة، فاللغة عنده مادة للتعبير لا مادة للحفظ والاستعمال، فهو قد قرأها قراءة البصير لبرى الفروق الخفية بين اللفظ ومرادفه

وليعلم حق اللفظ من العبارة ، وحق العبارة من الالفاظ فيظن بعض من لا قدرة لهُ أن الرافعي يريد الاغراب على الناس في كلامه ، واستجلاب الغريب من اللغة للتفاصح ، وما به ذلك ، وإنما هي المعاني . . . المعاني عند الرافعي هي التي لها حق اختيار الالفاظ من بلغته . وهو لا يأخذ ألفاظهُ من المعاجم وإنما يأخذها من سليقته التي صنعتها المعاجم . وقد أكثر الناس من نقد الرافعي زمناً ووضعوا عليهِ من أوهامهم غشاء أذهم ولم يفهم ، وحجبهم في ذلك هذه اللغة التي أحيا الرافعي موتاها ببيانه . وما اللغة ؟ أهي الألفاظ قائمة بالمعاني التي وضعتها لها المعاجم ووقفت عندها ؟ ان هذه ليست بشيء ، وما هي الا أداة كالسيف . فالسيف على جودته لا يعمل الا اضعف العمل ، فاذا أخذتهُ أنت وجعلت تتدرب بهِ وتمرن ساعدك عليهِ ، وعرفت كيف تجيد الضربة وتصيب المقطع ، كان لهُ أقوى العمل ، لأن السر في ساعد ينتضيهِ وبصره وحيلته لا في حده ومعارضهِ

واللغة لا تقوم بغير فكرة ، والرافعي قد استولى على أسرارها ، بقوة الادراك وشمولهِ وتراميه ، وبالقدرة على الابانة عنها باللفظ المتصل الماضي الذي لا ينقطع دونها ، وبسمو الخيال وتراجعه واستطالته . فالرافعي يدمن على الفكرة الواحدة إدمان الفيلسوف الصابر الثابت بين ادارتها وتطبيقها وبسيطها وردها الى أصول مقررة في الحياة ، ثم لا يزال يجمع بينها وبين قرائنها ، ويحدد فرق ما بين القرينين ما ظهر من ذلك وما استتر ، ثم يصحح النظر في الاصل الذي يردُّ اليهِ أفكاره تصحيح الحكيم المقرر حتى لا يقع بينها التدابر والاختلاط والفساد . ولا يزال على ذلك يقيد ويطلق ويأخذ ويدع بقانون طبيعي في نفسه ، فلا يترك الفكرة الا وقد ولدت لهُ صغاراً من الافكار فيها من الجمال والسحر والقوة الكامنة بالطفل الصغير الوديع الجميل ، واذا الفكرة الاولى التي أدمن عليها أمٌّ فيها هيبة الأمومة العامة المخلصة وحنانها وروعتها ووقارها

وهناك أسرار اخر في بيان الرافعي فمنها ادراك الجمال الساري غير المبتذل ، فهو يدرك الجمال في القبيح لانهُ يعرف أسرار جماله ، ويدرك الجمال في القبيح لانهُ يعرف أسرار قبحه . فالجمال عندهُ في السر والجوهر وأصل البناء لا في العرض ، وكذلك الخير والشر والفضيلة والرذيلة وما الى ذلك ، هي كلها عند الرافعي موضوع للاسرار فهو لا يقف عليها وقفة المتشبث بل يهزها من أصولها ليخرج أسرارها ، فاذا فعل كتب صفة الشيء الحي بكلام حي فيهِ قوة المقاومة والقدرة على البقاء ، وكل الاسباب التي تضمن لهُ الحياة القوية والبيانية

ثم لا يقف الرافعي عند ذلك بل لكل هذا مكان آخر يصل اليهِ فيصهره ويذيبهُ ثم يردهُ في صورة فذة ، ذلك هو الاحساس القوي المشبوب . فهو يأخذ الفكرة بلحمها وعظمها وسرها من احساسهِ هو لا من احساس الناس ، حتى اذا آمن بها إيماناً لا مطعن فيهِ استعان بايمانهِ القوي على

انشائها انشاء مبتدعاً خاصاً موسوماً بسمة صاحبه ، تلك السمة التي تسمى « أسلوب الرافعي »

كلُّ ذلك بعض العمل البيانيّ الذي يتدفق من لسان هذا الرجل . وان لهُ خاصّة عجيبة إذا تكلم في الاجتماع العربيّ الاسلاميّ في هذا العصر ما بين خُلُق وعلم وعمل ودين ، هي هذه الروعة المستطلة منصبّة على معانيها كنور الشمس . وسرُّ هذه انهُ يحسُّ ويفكّر وينقد ويبيّن بقوة ثلاثة عشر قرناً من التاريخ الاسلامي ، ويحسُّ باحساسها ، ويدرك أفكارها ، ويعرف أسرار فضائلها ورذائلها ، وأسباب قوتها وضعفها ، وقد أحاط بكثير من أصول القانون الطبيعيّ الذي يجمع ويفرّق ويضبط وينشر ، ويزيد وينقص في هذه الامة الرابضة في قلب الشرق

أما الرافعيّ المحب فهو رجلٌ وحدهُ سام عن الاسفاف ، مشرق كالنجم ، صافٍ كأنهُ مرآة مجلوّة ، ثم فرحٌ كأنهُ أملٌ يتحقق ، باكٍ كأنهُ عضوٌ يقطع ، متألم كأنهُ محارب باسلٌ ينهزم ، ثم لا يزال على ذلك — الرجل الجلد القويّ الذي لا ينكسر ولا يتحطم ، ولا تتدنّى به القوة الغالبة ، قوة اللذة الانسانية القرمة المتشهّية . لذلك يخلو حبّ الرافعيّ من الفجور القبيح ، وانما يصف الرافعيُّ المحبُّ فجور الرجل والمرأة فيسمو بالرجل الفاجر ويخرجهُ من سلطان لذته ، ويصف فجور المرأة ليهديها ويطهرها وينزهها وينصفها من ظلم الرجل الفاجر . ولهُ على ذلك قدرة قلّ أن يبالها كاتب من عرف

وأما الرافعي رثيب الشعب ، فهو الواصف البليغ الذي يستطيع ان يجمع آلام أمة مظلومة في ألفاظ تتألم ، ويؤلف آلام المساكين في كلمات تبكي ، ويحصر سخط المستعبدين من الفقراء في حروف تبكي وتتألم وتتسخط وتتشنج وتبغض وتسخر من هذا الاجتماع الذي استعبدهم وقد ولّدتهم امهاتهم احراراً . فهو في هذه « رجمان القلوب المتحطمة »

وأما الرافعي الساخر ، فهو الكلمة القصيرة التي تبلغ ما لا تبلغهُ الثورات الساحقة . . . .

وأما الرافعي فهو الرافعي الذي لا تعرفه حتى تقرأه وتصبر على ملازمته ، وتعطيه من نفسك لتأخذ من بيانه ومن فنه ومن بلاغته ومن فكره ومن حكمته . فهو كاتب حكيم قوي فلا يجدر بك ان تأخذ كلامه على النظرة الطائرة كما تقرأ مقالة في صحيفة يومية لتستفيد ، بل أقرأه لتحس وتنفذ اليه وتهتز معهُ ثم تستفيد

اقرأ « وحي القلم » تجد الرجل الذي حدثناك به ، وتجد البيان الفنّ القوي المتدفق الذي يثير في نفسك التاريخ اللغوي المكتوب في دماغك بالوراثة ، وفي قلبك بالحب ، وفي احساسك بالاحوال النفسية التي تمر بك . فان بيان الرافعي اذا تدبرتهُ وتدبرتهُ أيقظ فيك البيان لأنه بيان حر غير مقلد ، وأوحى اليك بالفكرة المستحكمة والعبارة المجودة لأنه بيان سام غير مقيد ، ثم يلهمك القدرة على التفكير والابانة لأنه « وحيُ القلم »

محمود محمد شاكر

فلسفة اللذة والالم

تأليف اسماعيل مظهر — مكتبة النهضة المصرية — صفحاتها ٢٥٨ قطع المقتطف

الشقة طويلة بين أرسطبس في القرن الرابع قبل الميلاد وبنتام ومل وأتباعهما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبأفلوف ووطسن في القرن العشرين. والفرق بعيد بين اللذة والمنفعة. ولكن الفيلسوف الفوريني كان رأس سلسلة من المفكرين أحدثهم في هذا العصر وطسن السلوكي. واللذة وهي اساس السعادة في نظرهم تحولت بتوالي القرون الى المنفعة في مذاهب المتأخرين

هذا التطور التاريخي، من ناحية الاشخاص ومن ناحية الموضوع، هو محور هذا الكتاب النفيس

في سيل الكتب العربية المتدفق على أدارات الصحف والمجلات، يجد المنقب طائفة ممتازة من الكتب هي من خير ما أنتجت عقول العربيين وهي على الغالب اما مترجمة « كسلسلة المعارف الحديثة » و« تراث الاسلام » واما مقتبسة من غير كاتب واحد « كقصة الفلسفة الحديثة ». فاذا وجد كتاباً يمكن ان يقال انهُ أُلف، وان مؤلفهُ قصرهُ على موضوع بعينهِ من موضوعات العلم او الفلسفة او الادب، تبسط فيهِ وبثَّ ما تفرق من دقائقهِ، كان ذلك من بواعث غبطتهِ لانهُ دليلٌ على الحيوية والاستقلال الفكري

وقد عرف كاتبُ هذه السطور، كتابَ اللذة والالم، عندما كان رسالة صغيرة لا تعدو عشرات الصفحات وتتبع تقدُّم البحث فيهِ، وما كان لكل خطوة خطاها مؤلفهُ من أثر عميق في نفسهِ، فهو حين ربط بين قواعد فلسفة اللذة، فالمنفعة، وقواعد المذهب السلوكي في علم النفس الحديث، كان أسعد الناس طرًّا. فاذا هو قال انهُ قضى اربعة اعوام في تأليفهِ فصدِّقوهُ. واذا قال انهُ طوى ما كتب في درجهِ ثلاثة اعوام اخرى فصدِّقوه كذلك ولكن بتحفظ لأنهُ في خلال هذه الاعوام كان يخرج صحائفهُ وينقحها ويضيف اليهِ ويحذف منها ما يبدو لهُ بعد تمحيص دقيق وتأمل عميق

وارسطبس هذا فيلسوف يوناني (٤٣٥ — ٣٥٦ ق. م) منشيء المدرسة الفلسفية المعروفة بالمدرسة القورينية، زار اثينا في حداثتهِ وأغرتهُ شهرة سقراط بالبقاء فيها فتتلمذ لهُ ثم تجوَّل في مدن اليونان وأخيراً استقرَّ في قورينة على ساحل شمال افريقية المتاخم لليونان. وقد كانت فلسفتهُ واقعية عملية. فانهُ بناها على مبدأي سقراط في الفضيلة والسعادة وقدم الثاني على الاول وجعلهُ مقياس الحياة وحكَّمها. فالخير في رأيهِ ما يفضي الى أعظم نصيب من اللذة. والغريب في هذا الرجل انهُ، مع تقديسهِ اللذة كمبدإ فلسفي، امتنع عن الانغماس فيها.

بين ما دعا اليهِ ارسطبس في القرن الرابع قبل الميلاد وما دعا اليهِ هيوم وبنتام ومل في القرون

الحديثة بين شاسع بقوله مطلب السعادة للفرد وجعل اللذة أساسها. اما الفلاسفة الانكليز فقالوا ان السعادة الحقيقية هي سعادة الجماعة او سعادة اكثرها وجعلوا أساسها المنفعة . ولذلك قيل ان شعارهم هو « الخير الاعظم للعدد الاعظم » . وفي ذلك يتم الاتقان الفلسفي والاجتماعي من اللذة الخاصة الانانية ، الى اللذة العامة فالمنفعة العامة او الخير الاعظم للعدد الاعظم .

فلما ظهرت نظرية التطور العضوي اتجه الرأي الى ان هدف التطور هو انشاء جسم اجتماعي حيّ نشيط صحيح، فالقياس لا يمكن ان يكون « الخير الاعظم» او اكبر قسط من المنفعة العامة بل يجب ان يكون « صحة الجسم الاجتماعي »

جميع هذه المسائل وعشرات غيرها مبسوطة في هذا الكتاب أوفى بسط ، في ملابساتها التاريخية والعلمية والفلسفية . ومن يراجع الفصل الذي نقتطفه عن هذا الكتاب في مقتطف دستير الماضي ، يعلم انهُ تحفة فلسفية ثمينة

موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته

يحق للاسرائيليين في العالم أجمع وفي الشرق خصوصاً ان يفتخروا بالفيلسوف العلامة والطبيب الشهير موسى بن ميمون الذي بزغ في اوائل القرن الثاني عشر فامهُ كان من اعظم علمائهم وفلاسفتهم في تلك العصور واعترافاً بغزارة علمه ومقامه الادبي أقامت جمعية التاريخ الاسرائيلية في القاهرة حفلة شائقة تذكاراً لمرور ٨٠٠ سنة على وفاته في العام المنصرم في دار الاوبرا الملكية اشترك فيها رجال العلم والادب من جميع الملل والنحل . وقد حذت حذوها جميع الاندية الاسرائيلية في جميع اقطار المسكونة لاحياء ذكرى هذا العالم الجليل لما كان لهُ من المكانة والاحترام والاجلال في قلوبهم وما زالت الطائفة الاسرائيلية في القاهرة الى يومنا هذا تقيم حفلة تذكارية كل عام في يوم وفاته في معبده الخاص في حي اليهود المعروف بكنيس يهود المغرب ويزورون ضريحه في طبريا في مثل هذا الوقت من جميع نواحي المعمورة

فصار من حكم الضرورة على كل من يعنى بتاريخ الفلسفة الاسلامية والآداب الشرقية والعبرية ولا سيما على كل اسرائيلي ان يطلع على تاريخ حياته ونشأته وما عانى من المصائب والنوائب وعلى مؤلفاته في الفلسفة والعلم والدين والطب وقد كان بمصنفاته من علماء اليهود الذين نقلوا مذاهب العرب الفلسفية الى الغربيين بالعبرية ثم الى اللاتينية ومن الذين سايروا بقسط وافر في عالم العلم عموماً مثل سعديا الفيومي وابن جبيرول وابن عزرا وغيرهم من أبناء جلدته في الاندلس وكان في مقدمة الائمة والاحبار الاسرائيليين الذين وضعوا الشروح الضافية على التوراة والتلمود في عقائد الديانة الاسرائيلية مثل « راشي وملين » . فأصبحت

مصنفاته قاعدة واساساً في التشريع الاسرائيلي ، ويراساً يعنى الكنائس يستنيرون بها » كالسراج » احد مؤلفاته وكان في آخر حياته رئيساً على الطائفة الاسرائيلية في مصر أفادها ارشادات دينية هامة واصلاحات لازمة في شؤونها

ولما كانت مكاتبنا العربية تكاد تكون خالية من المعلومات والبيانات الوافية التي تليق بمقام هذا الرجل الجليل وتأليفه وبحوثه الفلسفية كما يجب جاء الدكتور اسرائيل ولفنسون ابو ذوئب استاذ اللغات السامية بدار العلوم واتحفنا بكتابه « موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته » بعد بحوث دقيقة ومجهودات عظيمة وهو الكتاب الثالث من براعته من سلسلة كتب في تاريخ اليهود والعرب

تصفحت هذا الكتاب النفيس فوجدته منتهى الارب للبحث في موضوعات كهذه وكنت حائراً في خير الطرق لاستقاء المعلومات اللازمة لي في مباشرتي نشر تاريخ اليهود في مصر وسيرة حياة عظام رجالها ومصادر مراجعها فجاء كتابه لي « دلالة الحائرين » بمعنى الكلمة كاسم احد مؤلفات الميموني الشهير . وسد النقص الذي نحن في حاجة اليه

يقع الكتاب في اربعة ابواب في حياة موسى بن ميمون . في مؤلفاته الدينية . والفلسفية . والطبية . وقد أفاض في الباب الاول عن نشأته واوطانه وسيرة حياته . وأثبت انهُ لم يرتد عن عقيدته يوماً ما . وذكر في الباب الثاني كتبه الدينية في حسبان الميقات وشرح المشنى ورسالة تمهيدية لدرس الفلسفة والمنطق . ثم كتاب الفرائض بالعربية ثم « السراج وتثنية التوراة » المعروف باليد القوية يبحث في التشريع ثم اجابات موسى ووصية موسى وغيرها . ثم لخص في الباب الثالث بحوثاً فلسفية في كتابه الشهير « دلالة الحائرين » الذي كان له شأن عام وراج رواجاً عظيماً في تلك العصور وهو أشهر من نار على علم ثم استطرد كلامه في الرابع في قيمته الطبية ومصنفاته في الطب بالعربية وتبلغ نحو العشرة منها « فصول موسى » في الطب . وقد قمت بترجمته الى الانكليزية تلبيةً لرغبة الجمعية الميسونية في نيويورك . ثم رسائل في السموم والبواسير وتدبير الصحة وغيرها

ومن مطالع هذا الكتاب النفيس بلغته الفصيحة واسلوبه الرائع الآخذ وما ورد فيه من النصوص والادلة يتحقق من المجهود العظيم الذي بذله المؤلف في استقاء بحوثه وجمعها من مصنفات ومراجع متعددة في لغات مختلفة وقد ذكرها جميعاً باسهاب مما يثبت المامه التام بالفلسفة الاسلامية وسعة اطلاعه في الفرنسية والالمانية والانكليزية والعبرية وذكاء ونشاطاً وهمة توجب الاعجاب

الدكتور هلال فارحي

تراث الاسلام

لجنة الجامعيين لنشر العلم — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت مطبعة اكسفورد من نحو خمس سنوات كتاباً نفيساً للفاسفة كلُّها في «تراث الاسلام» تولى الاشراف على طبعه العلامتان السر توماس ارنولد رحمهُ الله والاستاذ الفرد غيّوم، وعهد في كتابة فصوله الى طائفة من اكبر المتوفرين على الدراسات الاسلامية في نواحيها المختلفة فكتب جب في الادب ونيكولسن في التصوف وغيّوم في الفلسفة والفقه وماكس مايرهوف في العلم والطب وكارا ده فو في الفلك والرياضة وارنولد في الفن الاسلامي وأثره في التصوير في اوربا وكرامرز في الجغرافية والتجارة وغيرهم في غيرها

وقد اقتنينا هذا الكتاب منذ صدر باللغة الانكليزية، وعوّلنا عليه في غير بحث واحد، وكان من بواعث حيرتنا احجام كتابنا وترجيحنا عن نقله الى العربية لا لان ما فيه جديد، ولكن لانهُ يدلُّ على ما لمآثر الحضارة الاسلامية من المكانة في نفوس الذين توغلوا في دراستها في الغرب ولانهُ يجمع في فصول منتظمة زبدة ما عرف عن تلك المآثر

من أول صفحة فيه الى آخر صفحة، اسماء اعلام في الطبقة الاولى بين اقطاب الفكر والفن في العالم. واذا اقتصرت على العلوم دون غيرها، وهي أثرث مشاع للامم، طالعتك اسماء باهرة مثل الخوارزمي والبتاني والبيروني والكندي والرازي وابن الهيثم والزهراوي وابن البيطار والقافقي. ان كوكبة كهذه الكوكبة من الرجال، مما تباهي به كلُّ امة في كل عصر. أما في الفن والادب والفلسفة والفقه والتجارة والجغرافية، فآثار الحضارة الاسلامية ماثلة امامنا في الخشب والرخام والنحاس والمساجد والقصور والشعر والمصطلحات الشائعة واعلام الأماكن المشهورة

لذلك تلقينا نبأ النزم على نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية فرحين مستبشرين. وكان لا بدَّ في الاقدام عليهِ من صدور نفسٍ عامرة بالثقة والعزم لان ترجمة هذه الفصول من ادق ما يتعرّض لهُ ناقل من اللغات الاعجمية الى العربية ولا سيما حيث يعرض المؤلفون لشرح المعاني الدقيقة في الادب والفلسفة. لذلك كانت لجنة الجامعيين لنشر العلم من خيرة الجماعات التي تتولى هذا العمل

وقد صدر حتى الآن جزآن من الترجمة العربية، يحتوي اولهما على المقدمة واربعة فصول تتناول اسبانيا والبرتغال. الحروب الصليبية. الادب. الفلسفة والالهيات. ويحتوي ثانيهما على ثلاثة فصول في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة. وقد تولى نقلهُ الدكتور زكي محمد حسن امين دار الآثار العربية. والجزآن مطبوعان طبعاً متقناً في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتب وكتيبات

١ — الأنظمة الدستورية والادارية والقضائية المقارنة : تأليف الدكتور عبد السلام ذهني بك والدكتور وايت ابراهيم — مطبعة الاعتماد

٢ — نظرات تاريخية دستورية : تأليف حسن صادق : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الدكتور عبد السلام ذهني بك المستشار والدكتور وايت ابرهيم الأستاذ بكلية الحقوق ، أشهر من أن يعرَّفا . فهما في كل ما يتعلّق بالشؤون القانونية من المراجع التي يعتمد عليها في مصر . وقد صحَّت نيتهما على اصدار مجموعة من الرسائل في الأنظمة الدستورية والادارية والقضائية المقارنة . وهذه رسالتهما الأولى وعنوانها « التطوُّرات الدستورية العالمية »

ان نظرة واحدة نلقيها على خريطة اوربا كما كانت قبل الحرب وكما هي الآن تبين لنا مدى التحوُّل الدستوري في ارجائها . فامبراطورية النمسا والمجر ، قامت على انقاضها جمهورية جديدة هي تشكوسلوفاكيا . اما النمسا فجمهورية اسماً ولكنها شبيهة بالدكتاتورية فعلاً . واما المجر فلا تزال مملكة بلا ملك ، ودستورية لا يحترم دستورها كلَّ الاحترام

والامبراطورية الالمانية انشئت جمهورية تعرف بجمهورية فيمار ثم تحوَّلت الى دولة يغلب عليها مبدأ الزعامة وهي دكتاتورية يمكن ان توضع وايطاليا في الفريق المعروف بدكتاتوريات اليمين ، حالة ان روسيا توضع في فريق دكتاتوريات اليسار

اما بولونيا التي انشئت بضم ما فرِّق منها على المانيا وروسيا والنمسا قبلاً فقد انشئت جمهورية ، بسط عليها قبلاً المارشال بلسودسكي يد الدكتاتور ، وقد خلفهُ الآن الى حدّ ما المارشال سمجلي ردز

من النادر ان تجد في اوربا بلاداً لم يمسَّها هذا التحول في اساليب الحكم ونظمه . فانبا الملكية تحولت جمهورية سنة ١٩٣١ وتداولتها ايدي احزاب اليسار المعتدلة ثم احزاب الوسط واليمين فأحزاب الجبهة الشعبية الى ان نشبت الحرب الاهلية . واليونان تقلبت من ملكية الى جمهورية الى دكتاتورية الى ملكية مراراً لا يمكن التثبت منها الاّ بالرجوع الى المؤلفات الخاصة بذلك . والامبراطورية البريطانية اصبحت بقانون وستمنستر جامعة امم ، مقام المملكة المتحدة فيها في ظل التاج لا يختلف عن مقام كندا او استراليا او جنوب افريقية

هذا من حيث نظام الحكم ، اما من حيث قواعد الحكم الدستوري كتمثيل النساء ، والتمثيل النسبي ، والانتخاب المباشر وغير المباشر والاستفتاء وحق حل البرلمان وصلة السلطات المختلفة بعضها ببعض وغيرها من الاصول الدستورية ، فقد مستها التحوُّل قليلاً او كثيراً بعد الحرب وقد عني المؤلفان الفاضلان بتفصيل هذه الشؤون تفصيلاً مقابلاً فأسديا بذلك مأثرة جديدة الى مآثرهما السابقة في تربيتنا السياسية

أما كتاب « نظرات تاريخية دستورية » فيشتمل على بحث في دساتير المانيا والنمسا وتشكوسلوفاكيا . والبحث في دستور المانيا يستغرق نحو نصف الكتاب . ففي أوله ملخص جيد للدستور الالماني الذي ظل نافذاً الى ثورة ١٩١٨ ويليه بحث في الحوادث التي سبقت دستور جمهورية فيمار الجديد ثم بحث في خصائص هذا الدستور وقواعده . وبهذا الحال لو أضاف المؤلف فصلاً ولو موجزاً عن خصائص نظام الحكم القائم في المانيا الآن حتى يستكمل للقارىء فهم التحوُّل من جمهورية فيمار الى النظام الثالث

وما يقال عن المانيا يقال عن النمسا ، فبحث المؤلف وافر في قواعد دستور جمهورية النمسا ولكن منذ وضع هذا الدستور عن الرف واصبح دلفوس نيابة الحاكم بأمره وتكمَّل بالاشتراكيين — مع ان « من يتصفح الدستور النمسوي يشعر خلاله بالأثر الاشتراكي لان الاشتراكيين في النمسا كما في غيرها من البلدان كانوا يميلون الى اضعاف السلطة التنفيذية ووضع السلطان في يد مجلس نيابي يمثل ارادة الشعب تمام التمثيل » — واقام الدولة على اساس نقابي اوفاشستي ثم بعد مصرعه حذا حذوه خلفه الدكتور شوشنج حذوه

أما دستور تشكوسلوفاكيا فيختلف عن دستور جمهورية المانيا وجمهورية النمسا في انه لا يزال نافذاً وقد احاطته رآسة ماساريك بسياج من التقاليد العالية ، وتشكوسلوفاكيا لا تزال جمهورية حقيقية على الرغم من قيامها عند ملتقى التيارات الاوربية المتناقضة . وامل الاحرار ان تبقى راسخة علم الدمقراطية في اوربا الوسطى والشرقية

***

وليس ثمة ريب في ان الحياة الدستورية النيابية تقتضي من جميع المشتغلين بالشؤون العامة عندنا الاطلاع على خصائص النظم الدستورية والنيابية في البلدان المختلفة . وفي هذين الكتابين مرشد لمن يبغي الاطلاع وتمهيد لمن يريد التوسُّع والتوفر

فهرس الجزء الثاني من المجلد التسعين

١٢٩ السماء والارض تتنفسان في المطاط

١٣٧ من أقاصيص بوشكين : لحليم دموي

١٤٦ قسم الطفيليات : حديث الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

١٤٩ دار الكتب : حديث الدكتور منصور فهمي بك

١٥٢ دار العلوم : حديث صادق جوهر بك

١٥٨ معهد التربية : حديث امين سامي حسونه

١٦١ البحر المتوسط في التاريخ

١٦٦ الكوارب الموجبة او البوزيترونات

١٦٩ مذاهب الفلسفة الرئيسية : لفليسون خوري

١٧٦ الغدد والحياة

١٨٣ لشر الخريطة : قصة الريادة

١٨٥ امفيون : مسرحية للاديب الكبير بول فاليري : نقلها خليل هنداوي

١٩٦ الحضارة الحثية نواحيها العقلية والاجتماعية : بقلم قيصر صادر

٢٠٣ مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الدمياطي

٢٠٦ المارستان النوري الكبير بدمشق : للدكتور سامي حداد

٢١٤ حيوانات مشهورة وصحة اسمائها : للفريق الدكتور امين المعلوف

٢١٩ حديقة المقتطف * أوجين أونيل . لفؤاد عيتاني . متعطفات الجدول : إلهي . تحت جنح الظلام : نقلها جورجي نيقولاوس

٢٢٧ سير الزمان * حبوط العقوبات . روسيا وخصومها : بقلم حنا خباز . قوى الدفاع الاوربية

---

٢٤٤ باب الاخبار العلمية * انطوى العام الماضي . العلم والاجتماع . هبة علمية كبيرة . تطبيق المزالطبيعي . زرع النبات في الماء . بلورات الفيروس . مائة مليون سجرة الفيتامين الجديد . النجوم المتفجرة . سديم آخر . آبرد النجوم . التغلب على التربتوكوكس . توليد الالوان في الاناييب . نقل الاعضاء وزرعها . تحويل المادة . وفيات الاعلام . جوائز نوبل . الماء وعدوى الفيلاريا بريشيد . اكتشاف عنصر جديد . أوتامو تو فيلسوف سلامنكه

٢٥١ مكتبة المقتطف * وحي القلم . لمحمود محمد تاكر . فلسفة اللغة والالم . موسى بن ميمون — حياته ومصنفاته . للدكتور هلال فارحي . تراث الاسلام . بحوث دستورية : كتابان .

مطبوعات جامعة بيروت الاميركية

دائرة الابحاث الاجتماعية

﴿مراجع ما نشر بعد الحرب العظمى عن بلدان الانتداب في الشرق الادنى﴾ لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ثمانية اجزاء اثنان منها يتضمنان بيان ما نشر في الكتب والنشرات الدورية باللغة العربية والستة الباقية تتضمن ما نشر في اللغات الاجنبية ثمن كلّ من الجزءين العربيين مجلداً بورق ٤٠ غ . م . مجلداً بقماش ٥٥ غ . م .

﴿النظام النقدي والصرافي في سوريا﴾ للاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد السياسي في الجامعة يصف جهاز النظام النقدي والصرافي وكيفية سيره مع تقدير حسناته وسيئاته في القيام بوظائفه الاقتصادية في البلاد واقتراح اصلاح عامّ على ضوء النظريات الاقتصادية الحديثة والحوادث الواقعة

صدر بالانكليزية والعربية . ثمن كل من الطبعتين : بورق ٤٠ غ . م . بقماش ٥٥ غ . م .

﴿النظام الاقتصادي في سوريا﴾ يبحث بحثاً عامّاً شاملاً في الاركان التي يقوم عليها كيان سوريا الاقتصادي بما فيه سكان البلاد ومرافقها الطبيعية وزراعتها وصناعتها وتجارتها وانظمتها المالية . اشترك في تأليفه عدد من اساتذة الجامعة مع محرّره الاستاذ سعيد حمادة استاذ الاقتصاد السياسي

صدر بالانكليزية في فبراير : ثمنهُ مجلداً بورق ٦٠ غ . م . بقماش ٧٥ غ . م . وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

﴿مؤهلات الاستقلال﴾ للاستاذ ولتر هوسن وتشر استاذ العلوم السياسية في الجامعة يتضمن بحثاً دقيقاً في مؤهلات الشعوب للحكم الذاتي

صدر بالانكليزية وثمنهُ مجلداً بورق ٤٠ غ . م . بقماش ٥٥ غ . م .

وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

تطلب هذه الكتب من الجامعة الاميركية . بيروت . لبنان او من

Oxford University Press

كتاب فلسفة اللذة والالم

ارسطبس وشيعته : اصحاب المذهب القوريني

في فلسفة اللذة والالم ، مع لمحة الى تاريخ المذهب وتطوره منذ نشأته الى الآن ،

مشفوعاً بمقررات شتى تدور حول اتخاذ اللذة الشريفة أساساً للسلوك

تأليف

اسماعيل مظهر

عضو المجمع المصري للثقافة العلمية

صدر في أواخر يناير الماضي ونشرته مكتبة النهضة المصرية

المجلة الجديدة

يحررها سلامة موسى : للتثقيف قبل التسلية

يصدر منها عدد شهري في ١١٢ صفحة كبيرة تزعتها التجديد

في الأدب والاجتماع والاقتصاد

ويصدر منها عدد اسبوعي في ٢٤ صفحة كبيرة يحتوي على مواد سهلة

للتثقيف قبل التسلية

الاشتراك سنة في العدد الشهري ٤٠ قرشاً في مصر والسودان

و ٥٥ قرشاً في الخارج

الاشتراك سنة في العدد الاسبوعي ٢٥ قرشاً في مصر والسودان

و ٥٠ قرشاً في الخارج

١٢ شارع نوبار — مصر

الى الناطقين بالضاد في جميع انحاء العالم

المكتبة الاقتصادية

بأول شارع الفجالة رقم ٧٦ بمصر

مستعدة لتلبية جميع الطلبات التي ترد اليها من الاقطار

الشاسعة باثمان لا تزاحم من كتب علمية وادبية وتاريخية وروائية

مبدأنا حسن الادارة وخدمة الجمهور

فرع خصوصي لمطالعة الكتب الشيقة والروايات القيمة بالاشتراك الشهري

ومن يشرف يرَ ما يسره

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ولما في النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً وعنوانها: Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة سياسية علمية

تصدر مرة في الشهر في بوانس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بوانس ايرس

قائمة سلسلة المطبوعات المصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة المصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

٣٥ القاموس المصري انكليزي مزين (طبعة ثانية)	١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري
٧٠ « « « « (طبعة ثالثة)	٥ خواطر حائر (الاستاذ الجن)
٧٠ « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)	٥ التعليم والتربية للدكتور محمد بك عبد الحميد
٣٥ « القاموس عربي انكليزي وبالعكس	١٥ الحب والزواج (للاستاذ فهمي عبد الله)
٣٠ موسى الجديد عربي انكليزي وبالعكس	١٥ دائرة وافق خلقهم « « «
٢٠ « « « عربي انكليزي فقط	٤٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥ « « « انكليزي عربي فقط	١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٧٠ « سفراط سيبرو عربي انكليزي (بالقطع)	٣٠ الامراض السلسلية وعلاجها للدكتور لطفي
٥٠ « « « انكليزي عربي (بالقطع)	٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
١٢٠ « « « « « وبالعكس	٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)	١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٢ الهدية المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (بالقطع)	١٠ تاييس « « « «
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)	٥ مكايد الحب في قصور الملوك (للسمندتيل داغر)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)	١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «	١٠ مشارع الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ من احاديث في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد)	١٢ رواية اموال الاسيادات ٤ مصور
١٥ روح الاشتراكية (تاليف فد لوبون وترجمة الاستاذ محمد كرد علي)	١٠ « فاتنة المهدي ٤ او امبراطورة السودان
١٥ روح السياسة « «	٨ « الانتقام الرهيب (اسعد خليل داغر)
١٠ الارض والمتفقات « «	٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٠ اصول حقوق الدستور « «	١٢ « باريزيت ٤ مصورة (توفيق عبد الله)
٨ الحضارة المصرية (تاريخ وتمدن)	١٢ « غرام الراهب او السحرة المصورة
١٥ حضارة مصر الحديثة (تاليف كبار رجال مصر)	٧٥ « روكامبول ٤ ٧ اجزاء (ظاهر يوس عبده)
١٠ الحركة الاشتراكية (تاليف الدكتور انطون)	٢٥ « ام روكامبول ٤ ٩ اجزاء «
١٥ ملك السبيل في مذهب الشيعة والارثاء	٢٠ « باردنيان ٤ ٣ اجزاء «
٨ اليوم والغد (للاستاذ سلامه موسى)	٢٠ « الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
١٠ مختارات « « «	٢٠ « الاميرة فوستا ٤ جزآن «
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «	٣٠ « عشاق فنيسيا ٤ جزآن «
٢٠ نابليون الاول وأصل الاصم شكيب ارسلان	١٦ « الساحر الاعظم ٤ اجزاء «
١٥ الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)	١٦ « كابتان ٤ جزآن «
١٠ المرأة الحديثة وكيف تسوسها (عبد الله حسين)	١٦ « الوصية الحمراء ٤ جزآن «
١٠ جريمة سلفستر بونار (انا تول فرانس)	١٦ « بائعة الخبز «
٥ المرأة بين الماضي والحاضر	١٢ « المدبرج ٤ جزآن «
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي	١٠ « فارس المك «
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني)	١٠ « ضحايا الانتقام «
١٠ نبوض الربح (« « « « «)	٨ « المرأة المفترسة «
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور	٥ « الشكرة الحمراء «
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)	٥ « مروحة الاسود «
١٠ الغربال في الادب العصري (تخاييل ضيقة)	٥ « شهداء الاخلاص «
٥ حكايات الاطفال ٤ اول (مصور بالالوان)	١٦ « دار العجائب جزآن (فولا ورزق الله)
٥ « « « ثاني « «	١٠ « فرنسوا الاول « «
٥ « « « ثالث « «	١٠ « المجنون فنون « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر	٨ « حورية « «
٢٥ جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)	٨ « اللامان الطريدان « «
٦ مراقي النجاح (الارشاد حريت بشير)	١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٥ مريم المجدلية (مورنس ميترلنك)	٥ النبي (« « «)
	٥ آلهة الاوض (« « «)

الى الناطقين بالضاد في جميع أنحاء العالم

المكتبة الاقتصادية

بأول شارع الفجالة رقم ٧٦ بمصر

مستعدة لتلبية جميع الطلبات التي ترد اليها من الاقطار

الشاسعة باثمان لا تزاحم من كتب علمية وادبية وتاريخية وروائية

مبدأنا حسن الادارة وخدمة الجمهور

فرع خصوصي لمطالعة الكتب الشيقة والروايات القيمة بالاشتراك الشهري

ومن يشرف برّ ما يسره

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ولمّ شتات الزملاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً وعنوانها: Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة ثقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	» » » » » (طبعة ثالثة)
٧٠	» عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	» المصور عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	موسى الحلبي عربي انكليزي روسكس
٢٠	» » عربي انكليزي فقط
١٥	» » انكليزي عربي فقط
٧٠	» سفراء سيرو عربي انكليزي (بالنقط)
٥٠	» » » انكليزي عربي (بالنقط)
١٠٠	» » » » وبالعكس
١٠	التحفة العصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالنقط)
١٠	انكاة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في ايقاد النزاع (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان » »
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة » »
١٠	الآراء والمعتقدات » »
١٠	اصول حقوق الدستورية » »
٨	الحضارة العصرية (لوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (لرمي مكدونالد)
١٥	منار السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	تطورات » » »
٨	نظرية التطور وأصل الانسان »
١٢	نابوليون فرانس في منفاه (للاميرة نازلي أرسلان)
١٥	الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبد الله حسين)
١٠	جريمة سنتر بوتار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني)
١٠	فيض الريح (» » » » »)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
١٠	الرجال في الادب العصري (تخاييل نفسية)
٥	حكايات الاطفال ١ اول (مصور بالالوان)
٥	» » ثان » »
٥	» » ثالث » »
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦	مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
٥	مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

ص	
١٠	الغريزة الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥	خواطر حائر (الاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة (للدكتور محمد بك عبد الحميد)
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكرى وانتى خلقهم » »
٥٠	علم الاجتماع (جبران كيران) »
١٥	اسرار الحياة الزوجية »
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها (للدكتور لطفي)
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات »
٣٠٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث »
١٥	الزبدة الحرة (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	تاييس » » »
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اموال الاستبداد ٤ مصورة
١٠	» فاتنة المهدي ٤ او استفادة السودان
٨	» الانتقام الشديد (اسعد خليل داغر)
٥	» فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	» باريزيت ٤ مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	» غرام الراهب او الساحرة المجنونة
٣٥	» روكامبول ٤ ١٧ جزء (ڤالنيوس عبده)
٢٥	» ام روكامبول ٤ ٥ اجزاء
٢٠	» باردليان ٤ ٣ اجزاء
٢٠	» الملكة آزايو ٤ اجزاء
٢٠	» الاميرة فوستا ٤ جزآن
٢٠	» عشاق فينيا ٤ جزآن
١٦	» الساحر العظيم ٤ اجزاء
١٦	» كاليتان ٤ جزآن
١٦	» الوصية الحمراء ٤ جزآن
١٦	» بائعة الخبز
١٢	» فلبرج ٤ جزآن
١٠	» ڤارس الملك
١٠	» ضحايا الانتقام
٨	» المرأة المغرية
٥	» المتكررة الحسناء
٥	» سروحة الاسود
٥	» شهداء الاخلاص
١٦	» دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	» قرنسوا الاول »
١٠	» الجنون فنون »
٨	» حورية »
٨	» الغلامان الطريدان »
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٥	النبي (» »)
٥	آلهة الارض (» »)

في الصفحات الثلاث التالية يرسم لنا الفنان سركيس كاتشاتوريان عن صور مرسومة ورسوم منقوشة على جدران طائفة من القصور والجسور الفارسية وهي ترتد في تاريخها الى القرن السابع عشر عندما بلغ الفن الفارسي الذروة في عهد انشاه عباس الأكبر (١٥٨٧ — ١٦٢٩) والخدمة التي أداها هذا المصور لنا هنا هي الاحتفاظ بهذه الآثار الفنية بعد ما امتدت اليها يد البلى

قارب مُحرف

وهي صورة منقوشة على جدار في « قصر عالي قابو » في مدينة اصفهان

الصيد

صورة منقوشة على جدار احد المنازل الارمنية في جلفه
وهي حي من أحياء اصفهان بناه الشاه عباس الكبير وأسكن فيه الأرمن

الخطوبة
وهي صورة منقوشة على جدار
في «قصر علي قابو» في اصفهان

أنت وأنا

ب احدى طائفة من الصور منقوشة على وكأن جسم
د باسم جسر «الله وردي خان» وبين اقواسه
ـ كان باني هذا الجسر احد قواد الشاه عباس